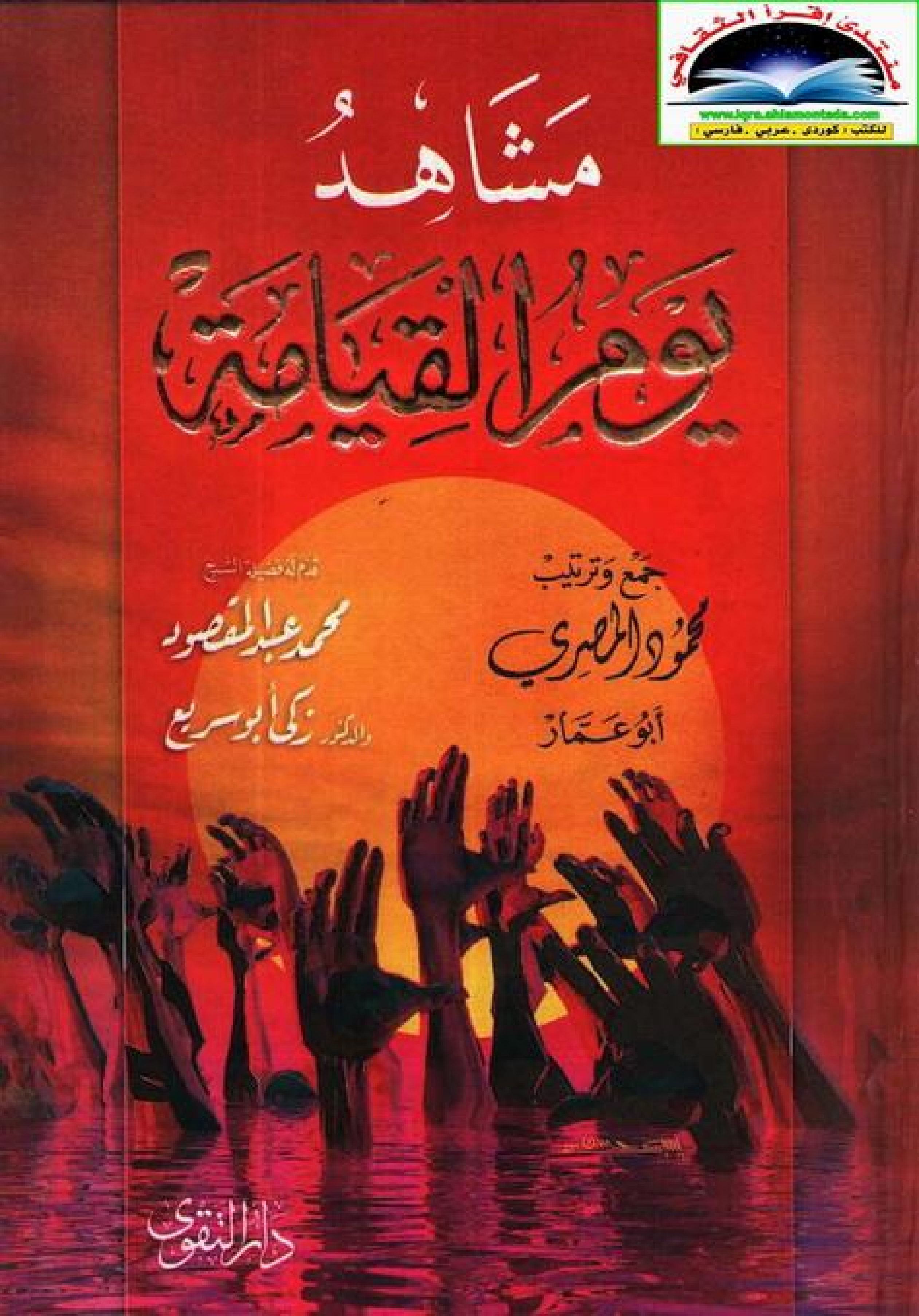

مشاهد
يوم القيامة
جمع وترتيب
محمود المصري
أبو عمار
قدم له فضيلة الشيخ
محمد عبد المقصود
والدكتور زكي أبو سريع
دار التقوى



# مشاهد يوم القيامة

جمع وترتيب

**محمود المصرى**

( أبو عمار )

قدّم له فضيلة الشيخ

**محمد عبد المقصود**

**د. زكى أبو سريع**

مكتبة التقوى

٥ ش ١٥ مايو منشية الحرية - شبرا الخيمة

ت: ٤٧٣١٨٢٤ - ٤٧١٥٥٠٦

دار التقــوى

الإدارة: ٤٧١٥٥٠٦

٥ ش ١٥ مايو منشية الحرية - شبرا الخيمة

رقم الايداع: ١٩٦٧٠ / ٢٠٠٤
الترقيم الدولى: 977.6092-54-3

التجهيز الفنى: إبراهيم حسن

ت: ٠١٢٢٩٤٤٧٩٦

# مقدمة فضيلة الشيخ/محمد عبد المقصود .... حفظه الله

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . . من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . . . اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (١) ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (٧١) ﴾ [الأحزاب : ٧٠ : ٧١]

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار وبعد.

فقد اطّلعت على رسالة الأخ الحبيب الشيخ/ **محمود المصرى (أبو عمار)** المسماة «**مشاهد يوم القيامة**» فألفيتها قيمة ومفيدة . . .

وهى تأخذ بأيدى القارئ من عالم المادة الجافة إلى عالم الحياة الحقة التى ينبغى للمسلم أن يعد لها الزاد كى ينجو بنفسه من الحسرة يوم الحسرة.

ويجب أن يعلم أن موازين الدنيا لن تنضبط فى حس مسلم حتى تنضبط موازين الآخرة فى مشاعره . . . . . وما التفريط الذى نحياه إلا وسببه عدم المعرفة الحقة لتفاصيل يوم الحسرة وإذا وجد فينقص معه التصور الحقيقى لهذه المعرفة التى تُحدث فى القلب مشاعر الحذر والخوف من جلال الجبار جل وعلا.

فالإيمان باليوم الآخر من شروط الإيمان فلا يصحّ إيمان بغير إيمان باليوم الآخر

.. ولكن الاطّلاع على ما يكون من أهوال هذا اليوم على جهة التفصيل يكون أفيد وأعمق تأثيراً فى قلب العبد المكلّف ... وخذ مثالاً على ذلك .

فالله عز وجل يقول : ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ كيف تتصور هذا الأمر ؟ لن تستطيع تصوره إلا إذا علمت أن الكافر يكون ضرسه يوم القيامة مثل جبل أُحد ويكون سُمك جلده اثنين وأربعين ذراعاً ومجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة ... وهذا ثابت فى الحديث أن النبى ﷺ قال: «إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار (المراد بهم: أحد الجبارين العماليق الذين عظم خلقهم وأوتوا بسطة فى الجسم) وإن ضرسه مثل أحد وإن مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة »[1].

ونقرأ أيضاً قوله تعالى: ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٤]

فما معنى كلمة كالح ؟

الكلاحة كما ذكرها المفسرون : أن تنحسر الشفة العليا وتتقلص حتى تصل إلى منتصف الرأس وأن تتدلى الشفة السفلى إلى السرة ... فتصور هذا المنظر والله إنه لشئ مخيف لا تجد تأثيره إلا بالاطّلاع على تفاصيله .

ولقد جاء هذا السفر «الكتاب» من بين يدى داعية رقيق القلب «نحسبه كذلك والله حسيبه ولا نزكى على الله أحداً» ليقوم بإزالة هذا الغبش الذى ران على القلوب من خلال عرضه لآيات القرآن وسنة المصطفى ﷺ على نحو يبعث الهمم فى القلوب الموات لتستعيد حياتها فى ظلال القرآن الوارفة والسنة العطرة.

والله نسأل العافية فى ديننا ودنيانا وحسن القبول عنده فهو ولى ذلك والقادر عليه .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

**أبو عبد الرحمن**

**محمد بن عبد المقصود**

---

(١) رواه الترمذى والحاكم عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٢١١٤).

# دعــوة مباركـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شــرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله ﷺ .

فى بداية هذا الكتاب المتــواضع أدعو نفسى وإخوانى إلى كثرة الاستــغفار، فإن المعاصى تحول بين العــبد وبين تدبر العلم، فإذا تاب العبد إلــى الله فإن الله يرزقه العلم النافع والعمل الصالح ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

والمعصــية تنكت فى القلب نكــتة سوداء، كمــا قال النبى ﷺ : «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتــة سوداء فى قلبه، فإن تــاب ونزع واستغفر صــقل قلبه، وإن زاد زادت حتى يعلو قلبه ذاك الرين الذى ذكره الله عز وجل فى القرآن: ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين : ١٤][1] .

وهذه الذنوب والمعاصى تحجب الخــير عن العبد ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ [النساء : ١٦٠]

وكذلك أدعــو نفسى وإخوانى إلى كــثرة الصلاة والسلام عــلى رسول الله ﷺ فإنه كما قال الإمام ابن الجوزى: «واعلمــوا رحمكم الله أن فى الصلاة على سيدنا محمد ﷺ عشــر كرامات: إحداهن صــلاة الملك الجبار، والثــانية شفاعــة النبى المختــار، والثالثة الاقــتداء بالملائكة الأبرار، والرابعــة مخالفــة المنافقيــن والكفار، والخامــسة محو الخطــايا والأوزار، والسادسة قــضاء الحوائج والأوطار، والســابعة تنوير الظواهر والأسرار، والثامنة النجاة من عذاب دار البوار، والتاسعة دخول دار الراحة والقرار، والعاشرة سلام الملك الغفار»[2] .

* * *

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٧) بإسناد حسن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) بستان الواعظين ورياض السامعين لابن الجوزى (ص ٣١٩) ط . مكتبة الإيمان .

# مقدمـــة

إن الله جل وعلا خلق الإنسان فى أجمل صورة ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين : ٤]... وأنعم عليه وأجزل لـه العطاء ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤] وكـرّمه على سـائر المخلوقـات ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٠] وشرّفه بأعظم الرسـالات ورضى له الإسلام دينا ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] .

وبعد كل هذا أمره بأن ينقاد له فى كل صغيرة وكبيرة ممتثلاً لأمر الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ [الأنعام : ١٦٢ : ١٦٣].

فمن سار على درب الحق وخالف درب الهوى والنفس والشيطان فسوف يعيش فى سعادة، وسوف يدخل جنة الدنـيا قبل أن يدخل جنة الآخرة ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣)﴾ [طه: ١٢٣]

يقول ابن عبـاس: «تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيـه ألا يضل فى الدنيا وألا يشقى فى الآخرة».

ويقول ابن تيمـية: «إن فى الدنيا جنة من لم يدخلهـا فلن يدخل جنة الآخرة. إنها جنة الإيمان».

ومن سار على درب الهوى والنفس والشيطان وخالف الصراط المستقيم، فإن له معيشة ضنكا فى الدنيا، وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤)﴾ [طه: ١٢٤]

ومن هنا كان لزامًـا على كل مَنْ عصى الله جل وعلا أن يقطف ثـمار الحسرة فى الدنيـا والآخرة، ولذا قال الحق تبـارك وتعالى ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ

الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم : ٣٩] فمن أراد أن يخرج من دائرة أهل الحسرة فلا بد أن يحقق العبودية لله جل وعلا ومن أراد أن يحقق العبودية لله فلابد أن يعرف مَنْ هو الله جل وعلا.

فإن أشرف العلوم هو علم المعرفة بالله جل وعلا.

ومن أراد معرفة الله فما عليه إلا أن ينظر إلى مخلوقات الله وبديع صنع الله ليعرف الصانع من صنعته سبحانه وتعالى.

ومن هنا ينبغي على كل مسلم أن يسعى ويجتهد ويكد ويتعب من أجل أن يحصل على لذة لا تفنى ولا تنتهى فى جنات النعيم

فالإنسان فى هذه الدنيا مسافر إلى الله يقطع المسافات والأوقات من أجل غاية واحدة، ألا وهى الوصول إلى دار القرار، إما إلى الجنة وإما إلى النار.

والعاقل هو الذى يعلم أن السفر كله مشقة وأنه لا راحة إلا بعد الوصول. وما عليه إلا أن يُعد الزاد لهذا السفر البعيد.

سفرى بعيد وزادى لا يبلّغنى    وقسمتى لم تزل والموت يطلبنى

﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾ [الانشقاق : ٦]

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧ : ٣٠]

وما إن ينتهى هذا السفر حتى يقف العبد بين يدى الله جل وعلا فيسأله عن كل صغيرة وكبيرة.

يقول الإمام ابن القيم: «فللعبد بين يدى الله موقفان: موقف بين يديه فى الصلاة، وموقف بين يديه يوم لقائه. فمن قام بحق الموقف الأول هُوِّن عليه الموقف الآخر، ومن استهان بهذا الموقف ولم يوفه حقه شُدِّد عليه ذلك الموقف».

قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً (٢٦) إِنَّ هَؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً﴾ [الإنسان: ٢٦ : ٢٧]

فمن أيقن أنه موقوف بين يدى الله فلابد أن يعلم أنه بين يديه مسئول ومن علم أنه بين يديه مسئول فليعد للسؤال جوابًا!!

# حال الأمة المسلمة اليوم

إن المتأمل فى حالنا نحن المسلمين اليوم وحال زماننا وما ظهر فيه من الآفات والفتن، وما حصل فيه من تكالب الناس على الدنيا وزخرفها حتى ظن أهلها أنهم قادرون عليها أو مخلدون فيها - إن المتأمل فى ذلك ليشعر بالرهبة والإشفاق والخوف الشديد من عواقب تلك الحالة، فقد قست منا القلوب وتجمدت الدموع داخل العيون، وهُجر كتاب علام الغيوب، بل قُرئ القرآن والقلوب لاهية ساهية فى لُجج الدنيا وأوديتها سابحة - كيف لا وقد زينّا جدران بيوتنا بآيات القرآن غير متبعين تلك الآيات ثم لم نزين حياتنا بالعمل بالقرآن، فيقرأه أكثر الناس على الأموات ثم لا يحكّمونه فى الأحياء... بل جُعلت البركة فى مجرد حمله وتلاوته وتُركت بركته الحقيقية المتمثلة فى اتباعه وتحكيمه امتثالا لقول الله ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام : ١٥٥].

فغفلنا ولم نشعر أننا غفلنا وهذه لعَمْر الله أدهى وأمرّ فينا.

وكَثُر القلق وغلب الهم والحزن وصاحب ذلك الأرق - ومُكر مكرٌ شديدٌ بالليل والنهار بأساليب ووسائل خبيثة ماكرة تزين الفاحشة وتصد عن الآخرة ففشت الفواحش والمظالم ونيل من الأعراض وأكلت الأموال وظهرت صورٌ صارخة من الحسد والبغضاء والفُرقة والخلاف حتى بين كبراء الفضل والإحسان، وعندها استُضعف المسلمون وتبجح وتسلط الملحدون والمجرمون.

وقل الاهتمام والاعتناء بركيزة الوعظ والتذكير، فضعف الوازع الإيمانى فى قلوب الناس.

وكيف يعيش فى البستان غرسٌ  إذا ما عُطّلت عنه السواقى

وهبّت رياح المعصية فأطفأت شموع الخشية من قلوبنا، وطال علينا الأمد فعلا القلوب قسوة كما قست قلوب أهل الكتاب فهى كالحجارة أو أشد قسوة، وأسأنا

فهم الدين الذى هو سر تميزنا وبقائنا فشُغلنا بالشكل عن الجوهر وبالقالب عن القلب، وبالمبنى عن المعنى بذكرياتٍ مجيدة وتواريخ فريدة نحتفل بها مبتدعين غير متبعين، وأحيانًا نهتم بطبع بعض الكتب الشرعية مفتخرين ثم نتمرد على مضمونها مستهزئين، فأصبح حالنا كالذى يُقبِّل يد والده ولا يسمع نصحه، فإن هذا لهو البلاء المبين. وإنا لنخشى أن نصبح فى زمرة من قال الله فيهم ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدنيا﴾ [الأعراف: ٥١] .

وأسوأ ما تمر به أمة أن يصبح اللهو فيها دينًا والدين فيها لهوًا، ثم لا تَسمع فيها نُصحًا!!!

لهذا كله كان لابد من الوقوف على بعض مشاهد الحسرة فى الأخرى لعل النفوس تستيقظ وتخشع وتذل، فتبادر إلى الحى فليس هناك أمرٌ هو أشد دفعًا للنفوس إلى فعل الخير من أمر الآخرة، والوقوف بين يدى مَنْ له الأولى والآخرة، فكل ضعف سببه الغفلة عن ذكر الآخرة، ففى ذكر الآخرة سعادة وطمأنينة وسدٌ منيع دون الهم والغم وعدم السكينة.

وعلام يحزن طالب الآخرة؟!

هل يحزن على أمرٍ مهين يفنى عما قريب؟! كلا فالآخرة خيرٌ وأبقى.

إن المؤمن باليوم الآخر لا تؤثر فيه المصائب لأنه موقن أن المصائب إن لم تزل عنه زال عنها بالموت لا محالة، فلا تذهب نفسه على الدنيا حسرات.

وذكر اليوم الآخر يطهر القلوب من الحسد والفرقة والاختلاف، ويهدد الظلمة ليرعووا ويعزى المظلومين ليسكنوا، فالكل سيأخذ حقه لا محالة حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء : ٤٧]

يقول تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم : ٣٩]

إنه إنذارٌ وإخبار وتخويف وترهيب ليوم الحسرة حين يُقضى الأمر.

يوم يُجمع الأولون والآخـرون فى موقف واحد يُسألون عن أعمـالهم فمن آمن واتبع فسوف يسعد سعادة لا يشـقى بعدها أبدا، ومن تمرد وعصى شقى شقاوة لا يسعـد بعدها أبدا، وخسر نـفسه وأهله، وتحسـر وندم ندامة تتقطع منـها القلوب وتتصدع منها الأفئدة أسفًا.

ومن أجل ذلك فلقـد اجتهدت فى جمـع بعض المشاهد «وهى قليل من كـثير» التى تصور لنا مدى الحسرة التى يجنيها الإنسان فى الدنيا والآخرة على تفريطه فى جنب الله جل وعلا ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴾ [الزمر : ٥٦] .

**والله أسأل أن ينفعنى وإياكم بتلك الكلمات فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.**

**كتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار**

**محمود المصرى**

**( أبو عمار )**

# مشاهد الحسرة فى الدنيا والآخرة

إن المؤمن حينما يقف أمام تلك الآية العظيمة من كتاب الله ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ يعلم أن الحسرة واقعة لا محالة على كل إنسان يوم القيامة مؤمنًا كان أو كافرًا، فالمؤمن يتحسر لأنه لم يزدد من طاعة الله، والكافر يتحسر لأنه لم يؤمن بالله جل وعلا.

ولذا.. فإن أردنا أن نتحدث عن تلك المشاهد فلابد أن نبدأ من الحديث عن مشاهد الحسرة فى الدنيا، فهى التى تجلب على الإنسان الحسرة التامة فى الآخرة. فالدنيا دارُ ممر وهى مزرعة الآخرة، فما زرعناه هنا سنحصده هناك.

## فقد محبة الله (جل وعلا)

إن أعظم حسرة يقف القلم عاجزًا عن وصفها هى الحسرة على فقد محبة الله جل وعلا . وإن الإنسان إذا وقع فى دائرة الكفر فَقَدَ المحبة كلها بلا رجعة إلا أن يتوب من كفره ويجتهد فى طاعة الله جل وعلا، وأما إن كان مؤمنًا ولكنه كان مقصرًا فى أداء بعض النوافل، فإنه بذلك يفقد قدرًا عظيمًا من محبة الله جل وعلا وذلك بقدر تقصيره فى تلك الطاعة.

ولقد وضّح الله جل وعلا ذلك فى الحديث القدسى حيث يقول: (من عادى لى وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحبَ إلىّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى لأعطينّه، وإن استعاذنى لأعيذنّه، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته)[1].

فانظر يا أخى إلى تلك المحبة التى تحدث بين الله وبين العبد، والسبب فى ذلك هو التقرب إلى الله بالنوافل التى هى سبب من أهم الأسباب التى تجلب محبة الله جل وعلا، ومن ثَم فإنك تتحصل على خيرَى الدنيا والآخرة.... كما

(١) أخرجه البخارى عن أبى هريرة ــ باب التواضع ــ كتاب الرقاق.

قال الله تعالى: (كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يُبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه).

بل إنه من تمام الموافقة بين الله وبين العبد أن الله جل وعلا يخبر أنه ما تردد فى شىء تردده عن نفس عبده المؤمن (أى عن قبض نفس عبده المؤمن)، كما ورد فى رواية أخرى: (وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس المؤمن)... فلماذا؟ لأن العبد يكره الموت، والخالق جل وعلا يكره مساءته.

بل إنه بعد كل تلك الموافقات الربانية التى لا تدانيها الدنيا بما فيها، فإن الله يُعلن فى السماء والأرض إعلانًا سماويًا أرضيًا أنه يحبك أيها المؤمن!!!

ففى الحديث يقول النبى ﷺ: «إن اللّه تبارك وتعالى إذا أحب عبدًا دعا جبريل عليه السلام فقال: إنى أحب فلانًا فأحبه قال: فيحبه جبريل، ثم ينادى فى السماء، فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء. قال: ثم يوضع له القَبول فى الأرض، وإذا أبغض الله عبدًا دعا جبريل عليه السلام، فيقول: إنى أبغض فلانًا فأبغضه. قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادى فى أهل السماء: إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه، فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء فى الأرض»[١].

فيا لها من حسرةٍ يا عبد الله إن فقدت محبة الله جل وعلا، فإنه من وجد الله فماذا فقد، ومَنْ فقد محبة الله فماذا وجد؟! ويا لها من حسرة أخرى إن لم تفقد محبة الله جل وعلا فحسب، بل كنت ممن يبغضهم الله جل وعلا وملائكته والمؤمنون!!

## كيف تنال محبة الله (جل وعلا)

لقد ذكر الإمام ابن القيم فى كتابه مدارج السالكين[٢] عشرة أسباب تجلب محبة الله جل وعلا.. فسوف نذكرها إن شاء الله مع الشرح اليسير.

١ ـ قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به كتدبر الكتاب الذى يحفظه العبد ويشرحه ليتفهم مراد صاحبه منه.

---

(١) أخرجه مسلم عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (١٧٠٥).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ١٧ ـ ١٨)

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾[فاطر : ٢٩] .

٢ ـ التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة. وقد أسلفنا الحديث عنها في الحديث القدسي: «وما يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه. . . .».

٣ ـ دوام ذكره على كل حال: باللسان والقلب والعمل والحال، فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

فمن المعلوم أن مَن أحب شيئًا أكثر من ذكره، فالذى يحب إنسانًا لا يمل من ذكره أو سماع سيرته أبدًا (ولله المثل الأعلى) فإن محبتك لله جل وعلا تجعلك لا تمل أبدًا من ذكره، أما الذى لا يذكر الله كثيرًا فهو لا يحب الله المحبة التى تليق بجلاله، ولذا قال جل وعلا عن المنافقين ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء : ١٤٢] وأما الذى لا يذكر الله أبدًا فهو ميت. . قال ﷺ: «مثل البيت الذى يُذكر الله فيه والبيت الذى لا يُذكر الله فيه مثل الحى والميت»[١] وفى رواية البخارى: قال ﷺ: «مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكره مثل الحى والميت».

## والأذكار خمسة أنواع

* ذكر الله عند ورود أمر. . فإذا جاء أمر الله وسرت عليه فأنت ذاكرٌ لله.
* ذكر الله عند ورود نهى. . فإذا جاء نهى اللّه وتركته فأنت ذاكرٌ للّه.
* ذكر الله فى الأحوال والمناسبات . . عند دخول المنزل والخروج منه، وعند الطعام وبعد الطعام. . . . . . . . . . . . . إلخ
* ذكر الله المقيد بالعدد. . ومثال ذلك قول النبى ﷺ «من قال: سبحان وبحمده فى يوم مائة مرة حُطت خطاياه وإن كانت مثل زَبَد البحر»[٢].

(١) متفق عليه عن أبى موسى ـ صحيح الجامع (٥٨٢٧).
(٢) متفق عليه عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٦٤٣١).

* ذكر الله المطلق . . وله فضل عظيم كما ورد فى الحديث أن رجلاً قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علىَّ فأخبرنى بشىء أتشبث به. قال: «لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله»(١).

وفى هذا يقول العلماء: إن هذا الحديث من دلائل النبوة ومن إعجازه. . فإنه قد جمع له الدين كله فى كلمة واحدة، فإن الذى يذكر الله هو الذى يحب الله ويحبه الله، وفى ذلك يقول ﷺ: «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن والتوبة معروضة بعد»(٢).

فالذى يذكر الله جل وعلا لا يذكره وهو يزنى أو يسرق. . . فذكر الله يربط العبد بالله، أما الغفلة عن الذكر تجعل القلوب قاسية ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢].

٤ ـ إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى والتسنم إلى محابه وإن صعب المرتقى؛ لأنه لابد أن يحدث تعارض بين الشرع والهوى، ولابد أن يكون الشيطان والنفس والدنيا مع الهوى. فأنت فى هذا المقام مطالَب بأن تؤثر أمر الله ورضاه على كل شىء. فإن كان الشيطان يأمر بالغناء فإن الله يأمر بسماع وتلاوة القرآن، وإن كان الشيطان يأمر بالنوم عن صلاة الفجر، فإن الله يأمر بالمحافظة على صلاة الفجر. . . . . . . . . . . . . . .

٥ ـ مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفتها، وتقلبه فى رياض هذه المعرفة ومباديها، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة. ولهذا كانت المعطلة والفرعونية والجهمية قُطّاع الطريق على القلوب بينها وبين الوصول إلى المحبوب. . . ومطالعة القلب لأسماء الله وصفاته تجعله يعمل بآثار تلك الأسماء والصفات.

فمثلاً. . . من علم أن الله هو الرزاق، فلابد ألا يطلب الرزق إلا بطاعة الله

---

(١) رواه الترمذى وأحمد عن عبد الله بن بشر وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٧٠٠).

(٢) أخرجه مسلم عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٧٧٠٦).

جل وعلا، فإن عُرضت عليه المعصية فى صورة بيع بعض المحرمات فإنه يتركها فى التو واللحظة؛ لأنه يعلم أن الله هو الذى يرزق وإن كانت تلك السلعة رائجة تجلب الربح الوفير، إلا أنها تمحق بركة الكسب؛ لأن الله حرمها وحرم بيعها. . . وإذا علمت أن الله هو القوى الجبار العزيز. . فإنك تصدع بكلمة الحق ولا تخشى إلا الله جل وعلا لأنك توقن أن القوة لله جميعًا.

٦ ــ مشاهدة بره وإحسانه وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة، فإنها داعية إلى محبته، فمن تأمل فى نعم الله الكثيرة فإن ذلك يحمله على كثرة الشكر والمزيد من الطاعة ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم : ٣٤] فالحق تبارك وتعالى أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، وكفى بالإسلام نعمة فى وسط هذا الحشد الهائل من قوافل الكفر والإلحاد التى تسعى فى الأرض بالفساد والإفساد. . وكذلك فقد أنعم الله علينا بأن سخّر لنا ما فى السماوات وما فى الأرض ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان : ٢٠]

﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار : ٦ : ٨]. ولك أن تتخيل يا أخى عافاك الله (إنسانًا أعمى) كيف يعيش وكيف يأكل ويشرب. . وقد أنعم الله عليك بنعمة البصر، ألا يكون ذلك حاديًا[1] لك إلى محبة الله جل وعلا. . .

ولكن كما قلنا إن نعم الله جل وعلا التي لا تُعد ولا تُحصى يكفينا منها والله نعمة الإسلام، فهى النعمة التى رضيها الله لنا وقبلها الله منا، وجعلها الله سببًا لدخولنا الجنة، فقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة : ٣]

٧ ــ انكسار القلب بكليته بين يدى الله تعالى. . وذلك لأنك عبدٌ. . والعبد لابد أن ينكسر أمام سيده، ألا وهو الله جل وعلا، ولذلك فإن أنين المذنبين أحب

---

(١) حدا الإبل: زجرها من خلفها وساقها أى: ألا يكون ذلك حادياً لك إلى محبة الله جل وعلا.

إلى الله من زجل المسبّحين . . . . . . . . قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾[المؤمنون: ٦٠] وقد أثنى الله على هذا الصنف من الناس فقال: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[الأنفال : ٢]

٨ ـ الخلوة به وقت النزول الإلهى لمناجاته وتلاوة كلامه والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه، ثم ختام ذلك بالاستغفار والتوبة. وبخاصة فى الثلث الأخير من الليل، كما ثبت فى الحديث: «ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضى ثلث الليل الأول، فيقول: أنا الملك أنا الملك من ذا الذى يدعونى فأستجيب له؟ من ذا الذى يسألنى فأعطيه؟ من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر»[١].

٩ ـ مجالسة المحبين الصادقين والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما يُنتقى أطايب الثمر. . . . . . . . . . ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام وعلمت أن فيه مزيداً لحالك ومنفعة لغيرك.

قال ﷺ: «ثلاثٌ من كن فيه وجد حلاوة الإيمان - وذكر منها - وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله»[٢]، . . . . . وقال ﷺ: «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان»[٣].

فحذار يا أخى أن تجلس مع من يبغضهم الله جل وعلا أو أن تحبهم، فإن الولاء والبراء أصلٌ من أصول الإيمان، فلابد أن تحب من يحبهم الله، وأن تبغض من يبغضهم الله ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[المجادلة : ٢٢].

---

(١) أخرجه مسلم والترمذى عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٨١٦٥).
(٢) متفق عليه عن أنس ـ صحيح الجامع (٣٠٤٤).
(٣) رواه أبو داود والضياء عن أبى أمامة ـ صحيح الجامع (٥٩٦٥) ـ الصحيحة (٣٨٠).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [المائدة: ٥٥].

وكم من صاحب أردى صاحبه فى نار جهنم؛ وذلك لأنهما لم يجتمعا إلا على حب الدنيا وفعل المعاصى، ولم يجمعهما المحبة من أجل الله.

ولقد أعطانا الله المثال من القرآن مصوراً لنا حال الندم والتأسف لكل من صاحب الأشقياء، فقال جل وعلا مخبراً عن واحد منهم، وهو عقبة بن أبى معيط الذى سمع كلام صاحبه وذهب ليؤذى النبى ﷺ إرضاءً لهذا الصاحب السيىء....... وإن كانت الآيات تتحدث عن كل من سار على فعل هذا الرجل، فقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً ﴾ [الفرقان ٢٧ : ٢٩].

فليكن هذا المشهد حادياً لنا على مجالسة أهل الصلاح والتقوى الذين يحبون الله ويحبهم الله ويحب من أحبهم ويرحم من جلس معهم، فقال سبحانه لملائكته فى الحديث القدسى عن القوم الذين جلسوا لذكر الله: «فأشهدكم أنى قد غفرت لهم، فيقول مَلك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة فيقول: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»[1] فغفر الله لرجل ليس من الصالحين لمجرد جلوسه مع أهل الصلاح ........ فكيف برحمته ومغفرته لأهل الصلاح ؟ .

١٠ ــ مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله - عز وجل - فإن كان الذى يحول بينك وبين الله هو رفيق السوء فابتعد عنه، وإن كانت الوظيفة التى حرمها الله (كالعمل فى مصانع الخمور والدخان...) فاتركها وابتغ الرزق الحلال، وإن كانت معصية تقع فيها دائماً فاتركها وجاهد نفسك وتوجه إلى الله أن يعينك على تركها... ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت : ٦٩]

ومباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله مراتبها عشر:

١ ــ العلاقة. ٢ ـ الإرادة . ٣ ـ الصبابة . ٤ ـ الغرام.

٥ ـ الوداد. ٦ ـ الشغف . ٧ ـ العشق . ٨ ـ التتيم.

---

(١) متفق عليه عن أبى هريرة ــ صحيح الجامع (٢١٧٣).

٩ ـ التعبد .  ١٠ ـ الخلة .

ولها آثار وثمرات جليلة جميلة كثيرة: كالشوق والأنس واليقين والرغبة فى الطاعة وكراهة المعصية ونحوها.

فمن هذه الأسباب العشرة وصل المحبون إلى منازل المحبة، ودخلوا على الحبيب.......... وملاك ذلك كله أمران: استعداد الروح لهذا الشأن، وانفتاح عين البصيرة........... « فاللهم ارزقنا محبتك » .

## الحسرة على فقد صحبة النبى ﷺ

إنه مما لا شك فيه أنه ما من مسلم فى هذه الحياة الدنيا إلا ويتمنى أن لو عاش فى عصر النبوة ورأى النبى محمدًا ﷺ فتلك مكرمة لا تدانيها كل المكارم، فإن الصحابة الذين كانوا معه ﷺ تعلموا على يديه الخير الكثير، وكان أحدهم إذا أخطأ يجد الموجّه الأول ﷺ يصلح له مساره ويبين له طريقه، بل كان النبى يبشر هذا بالجنة، وذاك بمحبة الله، وهذا بدخول الجنة بغير حساب، فكان الخير واضحًا، والشر كذلك، أما الآن فقد اختلطت الأوراق وأصبح الرجل الصالح فى ظل هذه الغربة يشك حتى فى نفسه بل ويظن أحيانًا من كثرة الفساد من حوله أنه ربما يكون مخطئًا فما إن يفتح كتاب الله وسنة رسول الله ويقرأ فيهما حتى يدرك، بل ويوقن أنه على الجادة وعلى طريق الحق. فإذا كان الأمر كذلك فكيف بمن عاش مع النبى ﷺ وتلقّى الكلام مباشرة من فم الحبيب ﷺ، ولذلك فنحن قد حُرمنا من كل هذا الخير بموت النبى ﷺ، وإن من أعظم المصائب هى المصيبة فى الدين فهى من أعظم مصائب الدنيا والآخرة وهى نهاية الخسران الذى لا ربح معه، والحرمان الذى لا طمع معه.

يقول شُريح: إنى لأُصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات وأشكره إذ لم تكن أعظم مما هى، وإذ رزقنى الصبر عليها، وإذ وفقنى الاسترجاع لما أرجوه فيها من الثواب، وإذ لم يجعلها فى دينى.

وأعظم المصائب فى الدين (موت النبى ﷺ)[1]؛ لأن المصيبة بموته أعظم من

(١) فى الحديث: «إن الله إذا أراد أن يرحم أمة قبض نبيها قبلها» أخرجه مسلم.
قال المناوى فى «الفيض» (٢/٢٠٦ ـ ٢٠٧): «وإنما كان موت النبى ﷺ قبل أمته رحمة لأنه يكون مصيبة عظيمة لهم ثم يتمسكون بشرعه بعده فتضاعف أجورهم»ا. هـ.

كل مصيبة يصاب بها المسلم؛ لأن بموته انقطع الوحى من السماء إلى يوم القيامة وانقطعت النبوات وكان موته أول ظهور الشر والفساد بارتداد العرب عن الدين، فهو أول انقطاع عُرى الدين ونقصانه، وفيها غاية التسلية عن كل مصيبة تصيب العبد وغير ذلك من الأمور التى لا أحصيها.

قال أنس بن مالك ﷺ: ما نفضنا أيدينا من التراب من قبر رسول الله ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا.... فماذا نقول نحن فى أزمنة الفتنة التى نعيشها.

وتالله لو اجتمعت على الإنسان مصائب الدنيا من كل حَدَبٍ وصَوب لما كان ذلك يساوى شيئًا من مصيبته فى فقد النبى ﷺ،........ قال ﷺ: «إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبته بى، فإنها من أعظم المصائب»[1].

| | |
|---|---|
| فاصبر لكل مصيبةٍ وتجلدِ | واعلم بأن المرء غير مخلدِ |
| واصبر كما صبر الكرام فإنها | نوب تنوب اليوم تُكشف فى غدِ |
| أوَ ما ترى أن المصائب جمة | وترى المنية للعباد بمرصدِ |
| من لم يُصب ممن ترى بمصيبةٍ | هذا سبيلٌ لست عنه بأوحدِ |
| فإذا ذكرت مصيبةً ومصابها | فاذكر مُصابك بالنبى محمدِ |

وعلى الرغم من ذلك فإن النبى ﷺ بيننا بشريعته الحية التى من سار عليها فلن يضل أبدًا، فقد قال ﷺ: «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتى ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض»[2].

وقد أخبر النبى ﷺ عن الأجر العظيم لمن تمسك بدينه فى زمان الفتن فقال ﷺ: «يأتى على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر»[3].

ومن المعلوم أن عِظم الجزاء يترتب على عظم البلاء، وأن زيادة الأجر تترتب على زيادة المشقة، ويؤيد ذلك ما رواه الترمذى عن أبى أمية الشعبانى قال: أتيت أبا ثعلبة الخشنى فقلت له: كيف تصنع فى هذه الآية؟ قال: أى آيةَ. قلت قول

(١) رواه البيهقى عن ابن عباس وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٤٧).
(٢) رواه الحاكم عن أبى هريرة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٩٣٧).
(٣) رواه الترمذى عن أنس وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨٠٠٢).

الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] قال: أما والله لقد سألت عنها خبيرًا... سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحًا مطاعًا وهوى متبعًا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام، فإن من ورائكم أيامًا الصابر فيهن مثل القابض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون كعملكم»، وفى رواية: قيل يا رسول الله: أجر خمسين رجلاً منا أو منهم؟ قال: «بل أجر خمسين منكم»[(١)]. فيا له من أجر عظيم!!!

فتمسكوا يا إخوانى بشرع الله وسنة رسول الله ﷺ عسى أن يجبر الله كسرنا فى فقد النبى ﷺ بأن يجزل لنا الأجر فى الدنيا وأن يجمعنا به فى جنته فلقد اشتاقت قلوبنا قبل أعيننا إلى رؤية النبى ﷺ.......... وصدق الحبيب إذ يقول: «أشد أمتى لى حبًا قومٌ يكونون بعدى يود أحدهم أنه فقد أهله وماله وأنه رآنى»[(٢)].

وأخيرًا يا من تريد الفوز بمحبة النبى ﷺ والقرب منه فى الجنة عليك أن تكون متبعًا لسنته متجملاً بأحسن الأخلاق، فقد قال ﷺ: «إن أحبكم إلىَّ وأقربكم منى فى الآخرة مجالس أحاسنكم أخلاقًا»[(٣)].

## نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس

فحسرة الإنسان على ضياع الأوقات بلا منفعة تعود عليه فى دينه ودنياه حسرة شديدة ومريرة وكذلك حسرته على ضياع صحته وشبابه فى معصية اللّه جل وعلا بدلاً من أن يغتنم شبابه فى طاعة اللّه فتلك أيضًا حسرة شديدة.

---

(١) رواه الترمذى عن أبى أمية الشعبانى وقال هذا حديث حسن غريب ـ وأورده ابن كثير فى تفسيره (١٠٣/٢)

(٢) رواه أحمد عن أبى ذر وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٠٠٣).

(٣) رواه أحمد وابن حبان عن أبى ثعلبة الخشنى ـ صحيح الجامع (١٥٣٥).

قال ﷺ: «اغتنم خمسًا قبل خمسٍ : حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك» (١).

وقال ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» (٢). أى أنه لا يغتنمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما.

ـ ومن المعلوم أن الغَبن يقتضى الحسرة فى الدنيا والآخرة.

ولذا قال أحد السلف الصالح:

«يا ابن آدم إنما أنت أيام فإذا ذهب يومك ذهب بعضك».

ـ فهذا العمر هو كنزك الذي لا ينبغى أن تفرط فيه فاحرص على الأوقات والساعات واجعلها فى طاعة رب البريات ممتثلاً قول الحق تبارك وتعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام : ١٦٢ : ١٦٣]

أرانى كل يوم فى انتقاص ... وبُعد لا يزول وطول هجر
وأيامٌ تمر بغير شىء ... وعمر المرء فى الأيام يسرى
ألا خُطوا على قبرى كتابًا ... وقولوا قبر ذى ظلمٍ وغدر
أتى الدنيا وفارقها فقيرًا ... وكل فتىً على ذا النهج يجرى
وقولوا حين أُدفن أى عبد ... أتى مولاه فى ذل وفقر

قال عمر ﷺ: التؤدة فى كل شئ خير إلا فى أعمال الخير للآخرة.

وقال المنذر: سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه، ويحك بادرى قبل أن يأتيك الأمر، ويحك بادرى قبل أن يأتيك الأمر ! حتى كرر ذلك سبعين مرة أسمعه ولا يرانى. وكان الحسن يقول فى موعظته: المبادرة المبادرة فإنما هى الأنفاس لو حُبست انقطعت عنكم أعمالكم التى تتقربون بها إلى الله عز وجل، رحم الله امرءًا نظر

(١) رواه الحاكم والبيهقى عن ابن عباس ـ صحيح الجامع (١٠٧٧).
(٢) أخرجه البخارى والترمذى عن ابن عباس ـ صحيح الجامع (٦٧٧٨).

إلى نفسه وبكى على عدد ذنوبه! ثم قرأ هذه الآية ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾[مريم :٨٤]

يعني الأنفاس، آخر العدد خروج نفسك، آخر العدد فراق أهلك، آخر العدد دخولك في قبرك..... واجتهد أبو موسى الأشعرى قبل موته اجتهاداً شديداً، فقيل له لو أمسكت أو رفقت بنفسك بعض الرفق؟ فقال : إن الخيل إذا أرسلت فقاربت رأس مجراها أخرجت جميع ما عندها والذى بقى من أجلى أقل من ذلك! قال: فلم يزل على ذلك حتى مات. وكان يقول لامرأته: شدى رحلك فليس على جهنم معبرة.

فحتم على ذى حزم يؤمن بالله واليوم الآخر ألا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها فى حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها، فإن كل نَفَس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن أن يُشترى بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآباد، فانقباض هذه الأنفاس ضائعة أو مصروفة إلى ما يجلب الهلاك خسران عظيم هائل لا تسمح به نفس عاقل.

فإذا أصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغى أن يفرغ قلبه ساعة لمشارطة النفس. فيقول للنفس : ما لى بضاعة إلا العمر ومهما فنى فقد فنى رأس المال ووقع اليأس عن التجارة وطلب الربح، وهذا اليوم الجديد قد أمهلنى الله فيه وأنسأ فى أجلى وأنعم علىَّ به ولو توفانى لكنت أتمنى أن يرجعنى إلى الدنيا يومًا واحداً حتى أعمل فيه صالحًا، فاحسبى أنك قد توفيت ثم قد رُددتِ فإياك ثم إياك أن تضيعى هذا اليوم فإن كل نَفَس من الأنفاس جوهرة ثمينة، واعلمى يانفس أنّ اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة، وقد ورد فى الخبر: «أنه يُنشر للعبد بكل يوم وليلة أربع وعشرون خزانة مصفوفة، فيُفتح له منها خزانة فيراها مملوءة نوراً من حسناته التى عملها فى تلك الساعة فيناله من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الأنوار التى هى وسيلته عند الملك الجبار ما لو وُزع على أهل النار لأدهشهم ذلك الفرح عن الإحساس بألم النار، ويُفتح له خزانة أخرى سوداء مظلمة يفوح نتنها ويغشاه ظلامها وهى الساعة التى عصى فيها ربه فيناله من الهول والفزع ما لو قُسم على أهل الجنة لتنغص عليهم نعيمها، ويفتح له خزانة أخرى فارغة ليس فيها

ما يسره ولا ما يسوؤه[١] وهى الساعة التى نام فيها أو غفل أو اشتغل بشئ من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها ويناله من غبن ذلك ما يناله القادر على الربح الكثير والمُلك الكبير إذا أهمله وتساهل فيه حتى فاته، وناهيك به حسرة وغبنًا، وهكذا تُعرض عليه خزائن أوقاته طول عمره فيقول لنفسه : اجتهدى اليوم فى أن تعّمرى خزانتك ولا تدعيها فارغة عن كنوزك التى هى أسباب ملكك ولا تميلى إلى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك من درجات عليين ما يدركه غيرك وتبقى عندك حسرة لا تفارقك وإن دخلت الجنة، فألم الغبن وحسرته لا يُطاق وإن كان دون ألم النار. وقد قال بعضهم : هَبْ أنّ المسئ قد عُفى عنه أليس قد فاته ثواب المحسنين؟! أشار به إلى الغبن والحسرة..... قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾ [التغابن : ٩] فهذه وصيته لنفسه فى أوقاته.[٢]

ـ ولذا يوضح النبى ﷺ مدى الحسرة على التفريط فى عبادة اللّه فيقول «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون اللّه تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان ذلك المجلس عليهم حسرة يوم القيامة»[٣].

ويقول أيضًا: «ما من ساعةٍ تمر بابن آدم لم يذكر اللّه فيها إلا حسر عليها يوم القيامة»[٤]

ولذا فما علينا إلا أن نسعى ونسرع الخُطا فى طاعة اللّه جل وعلا.

وأن نعلم علم اليقين أننا موقوفون بين يدى اللّه وسيسألنا عن كل صغيرة وكبيرة.

قال تعالى : ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٤٩] .

---

(١) قال العراقى فى «تخريج الإحياء» (٤/ ٣٩٥) لم أجد له أصلاً .

(٢) مختصر منهاج القاصدين صـ ٣٧٠، ٣٧١ بتصرف.

(٣) رواه أبو داود والحاكم عن أبى هريرة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٧٥٠)

(٤) رواه البيهقى فى شعب الإيمان عن عائشة وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٧٢٠) .

وقال ﷺ : «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمس عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وماذا عمل فيما علم؟».(١)

فها هى الفرصة أمامك يا أخى فأقبل على الله وقل بلسان الحال والمقال ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤] وسوف تجنى الثمار فى الدنيا والآخرة وقد وعدك الله عز وجل بالخير كل الخير إذا تفرغت لعبادته.

قال تعالى «يا ابن آدم تفرغ لعبادتى أملأ صدرك غنىً وأسدّ فقرك وإن لا تفعل ملأت يديك شغلاً ولم أسّد فقرك»(٢) .

* * *

**وصدق من قال:**

إلى كم لا تفيق من التصابى ... وهذا العمر يؤذن بالذهاب
ويرضى بالقليل المرء حظا ... ويزهد فى الكثير من الثواب
فقد ما غرّت الدنيا أناساً ... كما غُرّ الحُصَّين بالشراب
تمنيهم غروراً باطلات ... وتخدعهم بآمال كذاب
كأنك لا ترى فى كل يوم ... جنائز تستحث إلى الخراب
خُلقت من التراب وعن قريب ... ستلحق - غير شكٍ - بالتراب
وتحيا بعد موتك كى تجازى ... بما قدمت فى يوم الحساب
فإن تك بالمسئ بقبح فعلٍ ... فحسبك بالعقاب مع العذاب
وإن كنت الذى قدمت خيراً ... جُزيت به غداً حُسن المآب

* * *

(١) رواه الترمذى عن ابن مسعود وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٢٩٩) ورواه الترمذى عن أبى برزة بطرف (لا تزول قدما عبد حتى يُسأل عن أربع.......) صحيح الجامع (٧٣٠٠).

(٢) رواه الترمذى وابن ماجة وأحمد عن أبى هريرة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٩١٤).

# طلوع الشمس من المغرب

إنها علامة من علامات الساعة الكبرى وهى علامة يراها المؤمنون والكافرون فتكون الحسرة على المؤمنين الذين فرطوا فى طاعة الله وحسرة على الكافرين الذين كفروا بربهم لأن الشمس إذا طلعت من مغربها فإن المؤمن لا يستطيع أن يكسب فى إيمانه خيرًا وأما الكافر فإنه لا يُقبل إيمانه فى تلك الساعة.

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

ويقول النبى ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت من مغربها ورآها الناس آمنوا جميعًا فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل» (١).

وحقًا إنها حسرة شديدة حينما يريد الإنسان المؤمن أن يزداد فى إيمانه وفى طاعته لله جل وعلا فلا يستطيع ويريد الكافر أن يؤمن فلا يُقبل إيمانه.

فنسأل الله أن يحفظنا جميعًا.

فيا أخى المؤمن لا تجعل الأيام تمضى من غير أن تزداد فى طاعة الله جل وعلا .... يقول أحد السلف الصالح رافقت الإمام أحمد عشرين سنة فوالله ما رأيته يومًا إلا وهو أفضل من اليوم الذى يسبقه...... هكذا كان سلفنا الصالح فى زيادة لأنهم أيقنوا أنهم مسافرون إلى اللّه ولا راحة إلا بعد الوصول فأخذوا الزاد لتلك الرحلة الشاقة الطويلة قبل أن يجدوا أنفسهم بلا زاد ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧].

فتزودوا واستكثروا من الزاد قبل أن يأتى يوم الحسرة على فوات الزاد.

* * *

(١) متفق عليه عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٧٤١٢).

# خــروج الدابــة

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل: ٨٢] .

وهذه العــلامة يراها المــؤمنون أيضـًا وهــى قرينة طلــوع الشمس من مــغربــها وصاحبتها إما أن تسبق طلوع الشــمس من مغربها أو يسبقها . . . . . قال ﷺ «إن أول الآيات خروجـًـا طلوع الشمس من مغــربها وخروج الدابة علــى الناس ضحىً وأيتهما ما كان قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبًا»[١] .

ولعل السبب فى اقتــرانهما - والله أعلم - أن إحدى العلامتين يُــغلق بطلوعها باب التوبة وتأتى الأخرى فتؤكد غلقه.

فالشمس تطــلع من مغربها فى الصبــاح فيُغلق باب التوبة ويُخــتم للناس بماهم عليه حين طــلوعها ثم تظهــر الدابة فى ضحى هذا اليــوم فتؤكد غلــق باب التوبة بوسم المؤمنين والكافرين جميعـًـا. . . . . قال ابن حجر «والحكمة فى ذلك أن عند طلوع الشمس من المغرب يُغــلق باب التوبة فتخرج الدابة فتمــيز المؤمن من الكافر تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة».

فها هى الفــرصة سانحة أمامك لــتتوب ولترجع إلى الله قــبل أن تخرج الدابة وأنت [illegible] فى أى الفريقين ستكون.

مع المؤمنين أم مع الكافرين ـ والفــتنة وقتها ستكون شديدة فــإننا اليوم لا نعرف المؤمن من الكافــر إلا بظاهر الأعمــال والأقوال أما عند نزول الــدابة فإنها ســتضع علامة للمؤمن على جبــهته وعلامة للكافر على أنفه فيتنــادى الناس فيما بينهم «يا مؤمن. . يا كافر» فيــا لها من فتنة شديدة فقد انكشف المســتور وفُضح أهل الكفر والنفاق والفجور .

قال ابن جرير عن ابــن الزبير أنه وصف الدابة فيمــا وصف. . . قال: ثم تقول الدابة لهم يا فلان أبشر أنت من أهل الجنة ويا فلان أنت من أهل النار فذلك قوله

---

(١) رواه مسلم وأحمد عن ابن عمرو ـ باب أول الآيات طلوع الشمس من مغربها ـ كتاب الفتنة

تعالى ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل : ٨٢].

فبينما الناس فى أعظم المساجد على اللّه خرمة وأكرمها - المسجد الحرام - لم يرعـهم إلا وهى ترغو - تـصيح - بين الركن والمقام تنفض عـن رأسها الـتراب تستقبل المشرق فتصيح صيحة تُنفذه، والمغرب تصيح صيحة تنفذه فارفضّ - تَفرّق - الناس عنها شتى ومـعًا وتثبت عصابةٌ من المؤمنين قد عـرفوا أنها دابة اللّه وأنهم لن يعجزوا اللّه فبدأت بهم فجلت وجـوههم حتى جعلتها كالكوكب الدُرى وولت فى الأرض لا يدركهـا طالب ولا ينجو مـنها هارب حتى إن الرجـل ليتعّـوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول : يا فلان الآن تصلى فيُقبل عليها فتسمه فى وجهه ثم تنطـلق، . . . . روى ابن ماجـة عن أبى هريرة قـال: قال رسـول اللّه ﷺ : «تخرج دابة الأرض ومعها عصا موسى وخاتم سلـيمان فتخطم أنف الكافر بالعصا وتجلو وجه المؤمن بالخاتم. حتى إن أهل الخوان الواحد (المائدة) لـيجتمعون فيقول هذا يامؤمن وهذا يا كافر»(١)

فتلك هى دابة اللّه خامسة العلامـات الكبرى. . . . . . يقول عبد اللّه بن عمرو بن العاص أن هذه الدابة هى الجسّاسة المذكورة فى حديث تميم الدارى(٢).

فاحرص ياأخى على أن تكون ممن تختمهم الدابة بخاتم الإيمان على جبهته ولا تكون ممن تسمـهم الدابة بالعصا على أنوفهم فـتكون الحسرة والفضيـحة فى الدنيا والآخرة.

## يتبـع الميـت ثلاثـة

قال ﷺ « يتبع الميت ثلاثةٌ : أهله وعمله وماله فيرجع اثنان ويبقى واحدٌ يرجع أهله وماله ويبقى عمله»(٣)

---

(١) رواه أبو داود الطيالسى وأحمد وابن ماجة كلهم عن حماد بن سلمة عن أبى هريرة.
(٢) انظر شرح النووى على صحيح مسلم.
(٣) متفق عليه عن أنس ـ صحيح الجامع (٨٠١٧).

عندما تقرأ هذا الحديث تجد نفسك أمام حقيقة ثابتة لاتتبدل ولا تتغير ألا وهى أنه لا ينفعك إلا عملك الصالح فالمال لا ينفع إلا إذا جعلته للّه جل وعلا. . . . . . . قال أبو ذر ﷺ انتهيت إلى النبى وهو جالس فى ظل الكعبة فلما رآنى قال «الأخسرون ورب الكعبة».

قال فجئت حتى جلست فلم أتقار أن قمت[1] فقلت يارسول اللّه فداك أبى وأمى مَن هم؟ قال هم الأكثرون أموالاً إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا «من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله» وقليلٌ ما هم. ما من صاحب إبل ولا بقرٍ ولا غنمٍ لا يؤدى زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما نفدت أُخراها عادت عليه أُولاها حتى يُقضى بين الناس»[2].

فيا صاحب المال ألا تعمّر به قبرك؟ ألا تنقذ به نفسك؟ ألا تعتق به رقبتك من نار جهنم؟ فإن النبى ﷺ قال : «فاتقوا النار ولو بشق تمره»[3]

ويامن تعتقد نفع الآباء والأجداد والأولياء اعلم يا أخى رحمك اللّه أنك محاسَب عن نفسك أنت . . . . . . قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[الإسراء : ١٣ : ١٤] يُقال لك اقرأ كتابك أنت !!!

فأنت مسئول عن نفسك ومحاسَب عن عملك فابدأ من الآن واغتنم العمر والشباب والساعات فى طاعة اللّه جل جلاله ولا تضيع تلك الكنوز فتندم عليها.

قال ﷺ: «نعمتان مغبونٌ فيهما كثيٌر من الناس الصحة والفراغ»[4].

ولعلك تعلم جيداً كيف مات عم النبى (أبو طالب) ولم ينطق بكلمة التوحيد فهو فى عداد الكافرين بل ومن المخلدين فى النار على الرغم من أنه عم النبى

---

(١)أى لم يمكنى القرار والثبات حتى قمت .

(٢)متفق عليه عن أبى ذر ـ صحيح الجامع (٧٠٤٦).

(٣)متفق عليه عن عدى بن حاتم ـ صحيح الجامع (٥٧٩٨).

(٤)أخرجه البخارى والترمذى وابن ماجة عن ابن عباس ـ صحيح الجامع (٦٧٧٨).

ومن أحب الناس لقلب النبى ﷺ .

بل إن اللّه يخبرنا عن نبى اللّه نوح وقصته مع ابنه﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾

[هود : ٤٢ :٤٣]

فهذا نبى من أنبياء اللّه وعلى الرغم من ذلك مات ابنه على الكفر.

بل يضرب اللّه لنا الأمثال فى القرآن للعظة والعبرة «وضرب اللّه مثلاً للذين كفروا» فياترُى مَن هم الذين كفروا وأصبحوا مثلاً لكل كافر على وجه الأرض!! «امرأة نوح وامرأة لوط» زوجة نبى اللّه نوح وزوجة نبى اللّه لوط عليهما السلام!!!

﴿ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم : ١٠]

فلم ينفعهما أنهما زوجتا نبيين من أنبياء اللّه طالما أنهما كفرتا باللّه جل وعلا.

وعلى النقيض من ذلك ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ (التحريم: ١١)!!!!

﴿ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحريم : ١١]

فهذه زوجة من يقول أنا ربكم الأعلى !! هذه زوجة من يقول ما علمت لكم من إله غيرى!! وعلى الرغم من ذلك آمنت وأصبحت مثلاً للمؤمنات. بل وخلّد اللّه ذكّرها فى أشرف كتاب ألا وهو القرآن الكريم .

فلو كانت الأنساب تنفع الإنسان لكان أبو لهب عم النبى فى الجنة ولكنه فى الدرك الأسفل من النار. . . فى الوقت الذى يقول فيه النبى ﷺ «سلمان منا آل البيت» ولذا فأنت مسئول عن نفسك ولابد أن تستكثر من الأعمال الصالحة ولا تعتمد على صلاح الآباء والأجداد.

فهـا هى الأم انظر ماذا تصـنع فى الآخرة بطفلهـا وابنها !!! يقـول الحق جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[الحج ١ : ٢]

وها هو الوالد ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[لقمان : ٣٣] .

وها هى القرابة ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[عبس : ٣٤: ٣٧]

**أنا فى القبـر رهينٌ قد تبـرأ الأهـل منّى**
**أسلمونى بذنوبى حيث أن لم يعفوا عنّى**
**فارحم اليوم مـشيبى وارحم اللهم سنّى**
**وارحم اللهم ضعفى لا تخيّب اليوم ظنّى**

بل يخبـر الحق تبارك وتعالى أن سـيد الأولين والآخرين مـحمد ﷺ لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف : ١٨٨]

ويقول الله جل وعلا ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾[سبأ : ١٣]

أى اعملوا آل داود ولا تعتمدوا على صلاح أبـيكم داود فإن صلاحه يعود عليه هو.

ولما نزل قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشًا فـعمّ وخَصّ فقال: «يا معـشر قريش أنقذوا أنفسـكم من النار فإنى لا

أملك لكم من اللّه ضرًا ولا نفعًا يامعشر بنى عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار فإنى لا أملك لكم من اللّه ضرًا ولا نفعًا يا معشر بنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار فإنى لا أملك لكم ضرًا ولا نفعًا يا فاطمة بنت محمد أنقذى نفسك من النار فإنى لا أملك لك ضرًا ولا نفعًا إن لك رحمًا وسأبلّها ببلالها»(١)

فهذا حال النبى مع نفسه وحاله مع ابنته وقرة عينه وحاله مع عمه فمن هنا لابد أن نوقن أنه لا ينفع إلا العمل الصالح الذى سيبقى معنا فى قبورنا فمن تجهز بالعمل الصالح فهو السعيد ومن غرته الأمانى وخرج من الدنيا بلا عمل فهو الذى يجنى الحسرة فى الدنيا والآخرة وعند دخول قبره يرجع المال ويرجع الأهل ويبقى التفريط فى حق اللّه وتبقى الذنوب والمعاصى فيالها من حسرة.

فيا أخى الحبيب إذا علمت كل هذا فاسعَ لتعتق رقبتك من النار ولا تنس اليوم الذى يتبعك فيه مالك وأهلك وعملك فيرجع مالك وأهلك ويبقى عملك فأين عملك؟!

## مشهد السكرات ونداء ملك الموت

ياله من مشهدٍ مهيب يتحدد من خلاله مصير العبد إما إلى ظلٍ ظليل وإما إلى شرٍ مقيل.

**يقول صاحب الإحياء رحمه اللّه:**

اعلم أنه لو لم يكن بين يدى العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها، لكان جديرًا بأن يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته، وحقيقًا بأن يطول فيه فكره ويعظم له استعداده، لا سيما وهو فى كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء: كربٌ بيد سواك لا تدرى متى يغشاك. وقال لقمان لابنه: يابنى أمرٌ لا تدرى متى يلقاك استعد له قبل أن يفجأك. والعجب أن الإنسان لو كان فى أعظم اللذات وأطيب مجالس اللهو

---

(١) أخرجه الترمذى وأحمد عن أبى هريرة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٩٨٣).

فانتظر أن يدخل عليه أسد فيضربه خمس ضربات لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه، وهو فى كل نفس بصدد أن يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وهو عنه غافل، فما لهذا سبب إلا الجهل والغرور...... واعلم أن شدة الألم فى سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة إلا من ذاقها.

والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع أجزائه، حتى لم يبق جزء من أجزاء الروح المنتشر فى أعماق البدن إلا وقد حل به الألم فألم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع أجزائه فإنه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الأعصاب وجزء من الأجزاء ومفصل من المفاصل ومن أصل كل شعرة وبشرة من الفرق إلى القدم، فلا تسأل عن كربه، حتى قالوا: إن الموت لأشد من ضربٍ بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف إذا كان المقاول المباشر نفس الروح؟ وإنما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته فى قلبه وفى لسانه، إنما انقطع صوت الميت وصياحه من شدة ألمه لأن الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه، وبلغ كل موضع منه فهدّ كل قوة وضعف كل جارحة فلم يترك له قوة الاستغاثة.

أما العقل : فقد غشيه وشوّشه، وأما اللسان فقد أبكمه، وأما الأطراف فقد ضعفها ويود لو قدر على الاستراحة بالأنين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك، فإن بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خوارًا وغرغرة من حلقه وصدره، وقد تغير لونه واربّد حتى ظهر منه التراب الذى هو أصل فطرته، وقد جُذب منه كل عرق على حياله، فالألم منتشر فى داخله وخارجه، حتى ترتفع الحدقتان إلى أعالى أجفانه، وتتقلص الشفتان، ويتقلص اللسان إلى أصله، وترتفع الأنثيان إلى أعالى موضعهما، وتخضر أنامله.

فلا تسل عن بدن يُجذب منه كل عرق من عروقه ! ولو كان المجذوب عرقًا واحدًا لكان ألمه عظيمًا فكيف والمجذوب نفس الروح المتألم؟ لا من عرق واحد بل من جميع العروق. ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجيًا فتبرد أولاً قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه، ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكُربة بعد كربة حتى يبلغ بها إلى

الحلقوم، فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها ويُغلق دونه باب التوبة وتحيط به الحسرة والندامة، قال رسول الله ﷺ «إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»(١)

وقال مجاهد فى قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾[النساء : ١٨]

قال : إذا عاين الرسل فعند ذلك تبدو له صفحة وجه ملك الموت فلا تسأل عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته! ولذلك كان رسول الله ﷺ يقول : «اللّهم هون علىّ سكرات الموت» والناس إنما لا يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به فإن الأشياء قبل وقوعها إنما تُدرك بنور النبوة والولاية، ولذلك عظم خوف الأنبياء والأولياء من الموت حتى قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين ادعوا اللّه تعالى أن يهون علىّ هذه السكرة - يعنى الموت – فقد خفت الموت مخافة حتى أوقفنى خوفى من الموت على الموت. . . . . . . . وروى أن نفرًا من بنى إسرائيل مروا بمقبرة فقال بعضهم لبعض : لو دعوتم اللّه تعالى أن يخرج لكم من هذه المقبرة ميتًا تسألونه ؟ فدعوا اللّه تعالى فإذا هم برجل قد قام وبين عينيه السجود قد خرج من القبور فقال : يا قوم ما أردتم منى لقد ذقت الموت منذ خمسين سنة ما سكنت مرارة الموت من قلبى. . . . . وقالت عائشة رضي الله عنها لا أغبط أحد يهون عليه الموت بعد الذى رأيت من شدة موت رسول اللّه ﷺ.

وكان علىّ كرم اللّه وجهه يحض على القتال ويقول : إن لم تُقتلوا تموتوا والذى نفسى بيده لألف ضربة بالسيف أهون علىّ من موت على فراش. وقال الأوزاعى: بلغنا أنَّ الميت يجد ألم الموت ما لم يُبعث من قبره. وقال شداد بن أوس: الموت أفظع هول فى الدنيا والآخرة على المؤمن، وهو أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلى فى القدور، ولو أن الميت رجع فأخبر أهل الدنيا بالموت ما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم. وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: إذا بقى على المؤمن من درجاته شئ لم يبلغها بعمله شُدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت

(١)رواه الترمذى وأحمد وابن ماجة عن ابن عمر وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٩٠٣).

وكربه درجته فى الجنة، وإذا كان للكافر معروف لم يُجز به هون عليه فى الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير إلى النار. وعن بعضهم: أنه كان يسأل كثيرًا من المرضى كيف تجدون الموت؟ فلما مرض قيل له: فأنت كيف تجده؟ فقال: كأن السموات مطبقة على الأرض وكأن نفسى يخرج من ثقب إبرة. وقال ﷺ: «موت الفجأة أخذة أسف»[1]،... وروى أنّ إبراهيم عليه السلام لما مات قال اللّه تعالى له: كيف وجدت الموت يا خليلى قال: كسفود جُعل فى صوف رطب ثم جُذب. فقال: أما إنا قد هونّا عليك. وروى عن موسى عليه السلام أنه لما صارت روحه إلى اللّه تعالى قال له ربه: ياموسى كيف وجدت الموت، قال: وجدت نفسى كالعصفور حين يُقلى على المقلَى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير. وروى عنه أنه قال: وجدت نفسى كشاة حية تُسلخ بيد القصاب. وروى عن النبى ﷺ أنه كان بين يديه ركوة فيها ماء فجعل يدخل يده فى الماء فيمسح بها وجهه ويقول: «لا إله إلا اللّه إن للموت لسكرات» وفى رواية «اللهم أعنى على سكرات الموت»[2].

وفاطمة رضي الله عنها تقول واكرباه لكربك يا أبتاه! وهو يقول «لا كرب على أبيك بعد اليوم»[3].

وقال عمر رضى اللّه عنه لكعب الأحبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال: نعم يا أمير المؤمنين إن الموت كغصن كثير الشوك أُدخل فى جوف رجل وأخذت كل شوكة بعرق، ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى. فهذه سكرات الموت على أولياء اللّه وأحبابه فما حالنا ونحن المنهمكون فى المعاصى.

## دواهى الموت ثلاث

**الأولى**: شدة النزع كما ذكرناه.

**الداهية الثانية**: مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على

---

(١) رواه أحمد وأبو داود عن عبيد اللّه بن خالد وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٦٣١).

(٢) أخرجه البخارى عن عائشة (٦٥١٠) باب سكرات الموت ـ كتاب الرقاق. وأما الزيادة فى قوله «اللّهم أعنّى على سكرات الموت» فهى عن أصحاب السنن سوى أبى داود بسند حسن

(٣) أخرجه البخارى عن أنس (٤٤٦٢) باب مرض النبى ﷺ ووفاته ـ كتاب المغازى.

القلب؛ فلو رأى صورته التى يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته. فقد رُوى عن إبراهيم الخليل ﷺ أنه قال لملك الموت: هل تستطيع أن ترينى صورتك التى تقبض عليها روح الفاجر؟ قال : لا تطيق ذلك، قال بلى قال: فأعرض عنى..... فأعرض عنه. ثم التفت فإذا هو برجل أسود قائم الشعر، منتن الريح، أسود الثياب، يخرج من فيه ومناخيره لهيب النار والدخان، فُغشى على إبراهيم ﷺ. ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى فقال: يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند الموت إلا صورة وجهك لكان حسبه (أى يكفيه)، وروى أبو هريرة عن النبى ﷺ: «إن داود ﷺ كان رجلاً غيورًا وكان إذا خرج أغلق الأبواب، فأغلق ذات يوم وخرج فأشرفت امرأته فإذا هى برجل فى الدار فقالت : من أدخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقين منه عناء؟ فجاء داود فرآه فقال : من أنت؟ فقال: أنا الذى لا أهاب الملوك ولا يمنع منى الحجاب، فقال: فأنت واللّه إذن ملك الموت ولزم داود ﷺ مكانه»[1]

وروى أنّ عيسى ﷺ مرَّ بجمجمة فضربها برجله فقال : تكلمى بإذن اللّه فقالت: يا روح اللّه أنا ملك زمان كذا وكذا وبينا أنا جالس فى ملكى على تاجى وحولى جنودى وحشمى على سرير مُلكى، إذ بدا لى ملك الموت فزال منى كل عضو على حياله، ثم، خرجت نفسى إليه، فيا ليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة! ويا ليت ما كان من ذلك الأنس كان وحشة.

فهذه داهية يلقاها العصاة ويُكفاها المطيعون، فقد حكى الأنبياء مجرد سكرة النزع دون الروعة التى يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك، ولو رآها فى منامه ليلة لتنغص عليه بقية عمره! فكيف برؤيته فى مثل تلك الحال؟.

وأما المطيع فإنه يراه فى أحسن صورة وأجملها، فقد روى عكرمة عن ابن عباس أن إبراهيم ﷺ كان رجلاً غيورًا وكان له بيت يتعبد فيه، فإذا خرج أغلقه، فرجع ذات يوم فدخل فإذا برجلٍ فى جوف البيت فقال: من أدخلك دارى؟ فقال:

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤١٩) باسناد جيد نحوه ــ وابن أبى الدنيا فى كتاب الموت بلفظه.

أدخلنيهـا ربها! فقال: أنـا ربها. فقال: أدخلـنيها من هو أملك بهـا منى ومنك، فقـال: هل أنت من الملائكة؟ قـال: أنا ملك الموت قـال: هل تستطـيع أن ترينى الصورة التـى تقبض فيـها روح المؤمن؟ قال: نعـم، فأعرِض عنى، فـأعرض ثم التفت فإذا هو بشاب فـذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطـيب ريحه، فقال: يا ملك الموت، لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك كان حسبه (يكفيه).

ومنه مشاهدة الملـكين الحافظين. قال وهيب: بلغنا أنه ما مـن ميت يموت حتى يتراءى له ملكاه الكاتبان عمله، فإن كان مطـيعًا قالا له: جزاك اللّه عنا خيرًا فرب مجلس صدق أجلستنا وعمل صالح أحـضرتنا، وإن كان فاجرًا قالا له: لا جزاك اللّه عنا خيرًا فرب مـجلس سوء أجلستنا وعمل غير صالح أحضـرتنا وكلام قبيح أسمعتنا فلا جزاك اللّه عنا خيرًا. فذلك شخوص بصر الميت إليهما ولا يرجع إلى الدنيا أبدًا. فو اللّه يا أخى. إنها اللحظة الحاسمة فى حياة المؤمن والكافر.

إنها اللحظة التى يسـمع فيها النداء الذى يبشره بالرحمـة أو النداء الذى يتوعده بالعذاب.

ولك أن تتخيل أيها الحبيب أن ملك الموت قد دخل عليك الآن وسينادى عليك ويقول. « يا أيتـها النفس الـ . . . . . . . . . . » . وأنت بين تـلك الكربات وتلك الحسـرات تسأل نفسك يا تُـرى بأى نداء سوف يُنادى علىَّ؟ هل سـيقول يا أيتـها النفس المطمئنة اخـرجى إلى مغفرة من اللّه ورضوان ؟! أم سينادى ويـقول يا أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى سخط من اللّه وغضب؟!.

فإذا جاءك النـداء الأول: (يا أيتها النفس المطمـئنة اخرجى إلى مغـفرة من الله ورضوان) فذاك هـو الفوز الذى لا فوز بعده، وتـلك هى البشرى التى لا تدانـيها الدنيا بما عليها.

وأما إن جاءك النداء الثانى عـياذًا بالله (أيتها النفس الخبيـثة اخرجى إلى سخط من الله وغضب)، فتـلك هى الحسرة التى لا حسرة تدانيهـا فى هذه الدنيا. . إنه الوعيد والعذاب الذى لا ينتهى أبدًا.

ذُكر فى بعض الأخبار أن الميت ينادى عليه إذا وُضع على المغتسل: أين لسانك الفصيح ما أسكتك؟ أين صوتك الشجى ما أخرسك؟ أين ريحك العطر ما أنتنك؟ أين حركاتك ما أسكنك؟ أين أموالك الكثيرة ما أفقرك؟ الويل لك إن كنت عاصيًا، والبشرى لك إن كنت طائعا، وتناديه الملائكه إذا وضع فى القبر: يا عبد الله أنت تركت الدنيا أم الدنيا تركتك؟ أنت جمعت الدنيا أم الدنيا جمعتك؟

عباد الله لا تغفلوا عن ذكر الموت، وتفكروا فيه قبل الفوت، فوالله ما بين أحدكم وبين طول الأسف، والندامة على ما قد سلف، إلا أن تنزل به المنية، غدوة أو عشية، فعظ نفسك قبل حلول الرزية. . . . . . ، ولقد قيل فى قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [المنافقون: ١٠]

قيل: الأجل القريب عند كشف الغطاء، يقول العبد عند الموت: يا ملك الموت أخرنى يوما أعمل فيه صالحا لنفسى، فيقول ملك الموت: فنيت الأيام فلا يوم، فيقول أخرنى ساعة، فيقول: فنيت الساعات فلا ساعة، فيقول: اتركنى أتكلم، فيقول فرغ كلامك فلا كلام، فتبلغ الروح الحلقوم فيؤخذ بكظمه فتقطع الأوقات والأعمال ويبقى عدد الأنفاس ليشهد فيها المعاينة عند كشف الغطاء فيحتد بصره فإذا كان فى آخر نفس زهقت نفسه فيدركه ما سبقت له من شقاوة أو سعادة.

أما عن **الداهية الثالثة** فهى مشاهدة العُصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة؛ فإنهم فى حال السكرات قد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج أرواحهم، ولن تخرج أرواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت بإحدى البشريين: إما أبشر يا عدوّ الله بالنار، أو أبشر يا ولى الله بالجنة، ومن هنا كان خوف أرباب الألباب.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» فقلت: يا نبى الله: أكراهية الموت؟ فكلنا يكره الموت. قال: «ليس كذلك ولكن المؤمن إذا بُشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بُشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء

الله وكره الله لقاءه»[1].

## وإليك بعض القصص الذى يبين لنا مشاهد الحسرة والفرحة عند لقاء الموت

قال أشعث بن أسلم: سأل إبراهيم عليه السلام ملك الموت - واسمه عزرائيل وله عينان، عين فى وجهه وعين فى قفاه - فقال: يا ملك الموت ما تصنع. إذا كان نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بأرض والتقى الزحفان كيف تصنع؟ قال: أدعو الأرواح بإذن الله فتكون بين أصبعى هاتين.

وقال سليمان بن داود عليهما السلام لملك الموت عليه السلام: ما لى أراك لا تعدل بين الناس تأخذ هذا وتدع هذا؟ قال: ما أنا بذلك بأعلم منك! إنما هى صحف أو كتب تُلقَى إلىّ فيها أسماء، . . . . . وقال وهب بن منبه كان ملك من الملوك أراد أن يركب إلى أرض، فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما أعجبه - بعد مرات - وطلب دابة فأتى بها فلم تعجبه، حتى أتى بدواب فركب أحسنها؛ فجاء إبليس فنفخ فى منخره نفخة فملأه كِبرًا. ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر إلى الناس كبرًا فجاءه رجل رث الهيئة فسلم عليه فلم يرد عليه السلام، فأخذ بلجام دابته فقال: أرسل اللجام فقد تعاطيت أمرًا عظيمًا! قال: إن لى إليك حاجة قال: اصبر حتى أنزل قال: لا الآن، فقهره على لجام دابته فقال اذكرها! قال، هو سر، فأدنى له رأسه فسارّه وقال، أنا ملك الموت! فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال: دعنى حتى أرجع إلى أهلى وأقضى حاجتى وأودعهم، قال لا والله لا ترى أهلك وثقلك أبدًا! فقبض روحه فخرّ كأنه خشبة، ثم مضى ــ ملك الموت ــ فلقى عبدًا مؤمنًا فى تلك الحال فسلم عليه فرد عليه السلام فقال: إن لى إليك حاجة أذكرها فى أذنك فقال هات. . . . فسارّه وقال أنا ملك الموت! فقال: أهلاً وسهلاً بمن طالت غيبته علىّ فوالله ما كان فى الأرض غائب أحب إلىّ أن ألقاه منك! فقال ملك الموت! اقض حاجتك التى خرجت لها، فقال ما لى حاجة أكبر عندى ولا أحب من لقاء الله تعالى! قال فاختر على أى حال

(١) أخرجه مسلم عن عائشة - باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه - كتاب الجنائز.

شئت أن أقبض روحك! فقال: تقدر على ذلك؟ قال نعم إنى أُمرت بذلك، قال: فدعني حتى أتوضأ وأصلى ثم اقبض روحى وأنا ساجد، فقبض روحه وهو ساجد.

قال عطاء بن يسار: إذا كانت ليلة النصف من شعبان دُفع إلى ملك الموت صحيفة فيقال: اقبض فى هذه السنة من فى هذه الصحيفة قال: فإن العبد ليغرس الغراس وينكح الأزواج ويبنى البنيان، وإن اسمه فى تلك الصحيفة وهو لا يدرى.

وقال الحسن: ما من يوم إلا وملك الموت يتصفح كل بيت ثلاث مرات فمن وجده منهم قد استوفى رزقه وانقضى أجله قبض روحه، فإذا قبض روحه أقبل أهله برنّة وبكاء، فيأخذ ملك الموت بعضادتى الباب فيقول: والله ما أكلت له رزقًا ولا أفنيت له عمرًا، ولا انتقصت له أجلاً، وإن لى فيكم لعودة بعد عودة حتى لا أبقى منكم أحدا. قال الحسن فوالله لو يرون مقامه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم.

وعن الأعمش عن خيثمة قال: دخل ملك الموت على سليمان بن داود عليه السلام فجعل ينظر إلى رجل من جُلسائه يديم النظر إليه، فلما خرج قال الرجل: من هذا؟ قال: هذا ملك الموت، قال: لقد رأيته ينظر إلىَّ كأنه يريدنى قال: فماذا تريد؟ قال أريد أن تخلصنى منه فتأمر الريح حتى تحملنى إلى أقصى الهند! ففعلت الريح ذلك، ثم قال سليمان لملك الموت بعد أن أتاه ثانية: رأيتك تديم النظر إلى واحد من جلسائى قال: نعم كنت أتعجب منه لأنى كنت أُمرت أن أقبضه بأقصى الهند فى ساعة قريبة وكان عندك فعجبت من ذلك[1]!

فيا أخى الحبيب ألا تغتنم العمر فى طاعة الله جل وعلا قبل أن تسمع هذا النداء الذى يقرع القلوب والأسماع.

**أيا عبدُ كم يراك الله عاصيا**

**حريصًا على الدنيا وللموت ناسيا**

---

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي جـ٥ - باب في سكرات الموت وشدته - صـ ١٣٩ : ١٤٩ بتصرف.

أنسيت لقاء الله واللحد والثرى
ويوماً عبوساً تشيب فيه النواصيا
لو أن المرء لم يلبس ثياباً من التُقى
تجرد عُريانًا ولو كان كاسيا
ولو أن الدنيا تدوم لأهلها
لكان رسول الله حياً وباقيا
لكنها تفنى ويفنى نعيمُها
وتبقى الذنوب والمعاصى كما هى

فهذه الدنيا التى تحرص على جمعها وتبذل الأوقات والساعات فى سبيل جمع حُطامها لو عُرضت عليك (بكل ما فيها من ذهب وفضة وقصورٍ وأنهار وأشجار) عند الموت لقلت بلسان الحال والمقال لا أريد إلا رحمة الله عز وجل، ولا أريد إلا النجاة من عذاب الله جل وعلا.

فإن كان الأمر كذلك فكيف تحرص على جزء يسير من الدنيا التى لو عُرضت عليك عند الموت بأكملها لأعرضت عنها !!!

قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

[الحديد: ٢٠]

بل إنه مما يجعل الإنسان يزداد حسرة بعد حسرة أنه بعد أن ينادى ملك الموت على الكافر ويقول: «يا أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى سخط من الله وغضب» فإن روحه لا تفتح لها السماء أبدا، ويؤيد ذلك ما رواه ابن جرير عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ ذكر قبض روح الفاجر وأنه يُصعد بها إلى السماء فيصعدون بها فلا تمر على ملك من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الخبيثة؟

فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التى كان يُدعى بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء فيستفتحــون بابها له فلا يُفتح له ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿لا تفتح لهم أبواب السماء﴾[1].

وهذا تفسير قــول الحق تبارك وتعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (٤٠) لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٠: ٤١]

وعلى النقيض فإن المؤمن يصعدون بــروحه فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذه الروح الطيــبة؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أســمائه التى كانوا يسمونــه بها فى الدنيا حتى ينــتهوا به إلى السمــاء الدنيا فيستــفتحون له فيُــفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها حتى ينتهى إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدى فى عليين. . . إلى آخر الحديث.

فيا حــسرتا على من عصى الله ويا حــسرتا على من كفر باللــه حين تغلق فى وجهه الســماوات. . . . . . ويا سعادة المؤمن حــين تفتح له السماوات وتحــتفل به ملائكة السماوات السبع إحتفالاً سمــاويًا ملائكيًا، ثم يشهد له الحق تبارك وتعالى بالصدق «أن صدق عبدى فافرشوه من الجــنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة فيأتيه من روحها وطيبها»[2].

## باب فى كلام المحتضرين من الخلفاء والأمراء والصالحين

لما حضرت عبد الملك بن مروان الوفــاة نظر إلى غسّال بجانب دمشق يلوى ثوبًا بيده ثم يضرب به المغسلة، فقال عبد الملك: ليتنى كنت غسالاً آكل من كسب يدى يومًا بيوم ولـم آل من أمر الــدنيا شيئًا، فبلغ ذلك أبا حازم فــقال: الحمد لله الذى

---

(١) رواه أحمد وأبــو داود وابن خزيمة والحاكم والبيــهقى والضيــاء عن البراء، وصححــه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٧٦) ــ وهذا جزء من الحديث ــ.

(٢) رواه أحمد وأبو داود عن البراء وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٧٦).

جعلهم إذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه، وإذا حضرنا الموت لم نتمنّ ما هم فيه......... وقيل لعبد الملك بن مروان فى مرضه الذى مات فيه: كيف تجدك يا أمير المؤمنين؟ قال: أجدنى كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]. ثم مات.

وقالت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان - امرأة عمر بن عبد العزيز -: كنت أسمع عمر فى مرضه الذى مات فيه يقول: اللهم أخف عليهم موتى ولو ساعة من نهار. فلما كان اليوم الذى قُبض فيه خرجت من عنده فجلست فى بيت آخر - بينى وبينه باب وهو فى قبة له - فسمعته يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣)﴾ [القصص: ٨٣].

ثم هدأ فجعلت لا أسمع حركة ولا كلامًا فقلت لوصيفٍ له: انظر أنائم هو؟ فلما دخل صاح، فوثبت فإذا هو ميت.

وروى أنه لما ثقل عمر بن عبد العزيز دعى له طبيب فلما نظر إليه قال: أرى الرجل قد سُقى السم ولا آمن عليه الموت فرفع عمر بصره وقال: ولا تأمن الموت أيضًا على من لم يُسق السم! قال الطبيب: هل أحسست بذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم قد عرفت ذلك حين وقع فى بطنى قال: فتعالج يا أمير المؤمنين فإنى أخاف أن تذهب نفسك، قال: ربى خير مذهوب إليه، والله لو علمت أن شفائى عند شحمة أذنى ما رفعت يدى إلى أذنى فتناولته. اللهم خر لعمر فى لقائك فلم يلبث إلا أيامًا حتى مات.... وقيل لما حضرته الوفاة: بكى فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ أبشر فقد أحيا الله بك سننًا وأظهر بك عدلاً! فبكى ثم قال: أليس أوقف فأُسأل عن أمر هذا الخلق، فوالله لو عدلت فيهم لخفت على نفسى أن لا تقوم بحجتها بين يدى الله إلا أن يلقنها الله حجتها، فكيف بكثيرٍ مما ضيعنا؟ وفاضت عيناه، فلم يلبث إلا يسيرًا حتى مات: ولما قرب وقت موته قال: أجلسونى! فأجلسوه فقال: أنا الذى أمرتنى فقصرت ونهيتنى فعصيت - ثلاث مرات - ولكن لا إله إلا الله، ثم رفع رأسه فأحدّ النظر فقيل له فى ذلك فقال:

إنى لأرى حضرة؛ ما هم بإنس ولا جن ثم قُبض رحمه الله.

وحُكى عن هارون الرشيد أنه انتقى أكفانه بيده عند الموت، وكان ينظر إليها ويقول ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٨: ٢٩]

وفرش المأمون رمادًا واضطجع عليه وكان يقول: يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه.

ولما حضرت معاذا رضي الله عنه الوفاة قال: اللهم إنى كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أنى لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجرى الأنهار ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالرُكب عند حلق الذكر. ولما اشتد به النزع ونزع نزعًا لم ينزعه أحد كان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال رب ما أخنقنى خنقك فوعزتك إنك تعلم أن قلبى يحبك.

ولما حضرت سلمان الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك؟ قال: ما أبكى جزعًا على الدنيا، ولكن عهد إلينا رسول الله ﷺ أن يكون زاد أحدنا من الدنيا كزاد الراكب. فلما مات سلمان نظروا فى جميع ما ترك فإذا قيمته بضعة عشر درهمًا.

ولما حضرت بلالاً الوفاة قالت امرأته: واحزناه فقال: بل واطرباه! غدًا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه.

وقيل: فتح عبد الله بن المبارك عينه عند الوفاة وضحك وقال: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١]

ولما حضرت إبراهيم النخعى الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك؟ قال: أنتظر من الله رسولاً يبشرنى بالجنة أو بالنار.

ولما حضرت ابن المنكدر الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك؟ فقال: والله ما أبكى لذنب أعلم أنى أتيته؛ ولكن أخاف أنى أتيت شيئًا حسبته هينًا وهو عند الله عظيم.......... ولما حضرت عامر بن عبد القيس الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك؟ قال ما أبكى جزعًا من الموت ولا حرصًا على الدنيا، ولكن أبكى على ما

يفوتنى من ظمأ الهواجر وعلى قيام الليل فى الشتاء.

## دخول القبر

فالقبر إما أن يكون روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، والعبد إما أن يكون فى نعيم أو فى عذاب وكل ذلك يحصل لروحه وبدنه لأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعّمة أو معذبة وتتصل بالبدن ويحصل له معها النعيم أوالعذاب.

### الأدلة على عذاب القبر ونعيمه من الكتاب والسنة

والأدلة على عذاب القبر ونعيمه كثيرة وهى أشهر من أن تُذكر وإليك بعضها:

**أما أدلة الكتاب** فمن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧: ٣٠] وقد قال طائفة من المفسرين: يُقال لها ذلك عند الموت لأنه خطاب للنفس التى تجردت عن البدن وخرجت منه.

ومن الأدلة كذلك قوله عز وجل: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥: ٤٦].

فذكر الله عز وجل عذاب الدارين دار البرزخ ودار القرار ذكرًا صريحا لا يحتمل غيره.

ومنها قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (٤٥) يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٦) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الطور: ٤٥: ٤٧].

فهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره فى الدنيا وأن يراد به عذابهم فى البرزخ وهو أظهر لأن كثيرًا منهم مات ولم يعذب فى الدنيا.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[السجدة: ٢١].

وقد احتج بهذه الآية ابن عباس رضي الله عنهما على عذاب القبر، وهذا مما يدل على فقهه في القرآن ودقة فهمه فيه، فإنه سبحانه أخبر أن لهم عذابين أدنى وأكبر، فأخبر أنه يذيقهم بعض الأدنى ليرجعوا، فدل على أنهم بقي لهم من الأدنى بقية يعذبون بها بعد عذاب الدنيا، فدل على إثبات عذاب القبر فتأمله.

ومنها قوله تعالى: ﴿فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾[الواقعة: ٨٣: ٩٦].

فذكر الله عز وجل ها هنا أحكام الأرواح عند الموت، وذكر في أول السورة أحكامها يوم المعاد الأكبر، وقدم ذلك على هذا تقديم الغاية للعناية، إذ هي أهم وأولى بالذكر، وجعلهم عند الموت ثلاثة أقسام كما جعلهم في الآخرة ثلاثة أقسام.

## وأما عن أدلة السنة في إثبات عذاب القبر فهي كثيرة منها:

حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مر بقبرين يعذبان فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير: أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة، ثم أخذ جريدة رطبة فشقها بنصفين ثم غرز في كل قبر واحدة. فقالوا: يا رسول الله لِمَ صنعت هذا؟ فقال: لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا»(١).

---

(١) أخرجه البخاري عن ابن عباس (٣/ ٢٦٤) باب الجريدة على القبر - كتاب الجنائز (طبعة الريان).

وحديث زيد بن ثابت قال: بينما رسول الله ﷺ فى حائط لبنى النجار على بغلة له ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أقبرٌ ستة أو خمسة أو أربعة فقال: «من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟ فقال رجل: أنا. قال: فمتى مات هؤلاء؟ قال: ماتوا فى الإشراك. فقال: إن هذه الأمة تُبتلى فى قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يُسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه ثم أقبل علينا بوجهه فقال: تعوذوا بالله من عذاب النار. قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، قال: تعوذوا باللّه من عذاب القبر، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال: تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال: تعوذوا بالله من فتنة الدجال، قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال»(١).

وحديث أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع يقول: اللهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال»(٢).

## ومنها الأحاديث فى سؤال القبر:

كحديث قتادة عن أنس رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إن الميت إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع خفق نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد؟ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله. قال: فيقول: انظر مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة، قال رسول الله ﷺ فيراهما جميعا - قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح له قبره سبعون ذراعا، ويملأ عليه خضرا إلى يوم يبعثون، ثم رجع إلى حديث أنس - قال: «فأما الكافر والمنافق فيقولان له ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول: لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس، فيقولان: لا دريت ولا تليت، ثم يُضرب بمطراق من حديد بين أذنيه

---

(١) أخرجه مسلم عن زيد بن ثابت (١٧/ ٢٩٤) - باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه - كتاب الجنة.

(٢) رواه أحمد وابن ماجه عن أبى هريرة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٩٩).

فيصيح صيحة فيسمعها من عليها غير الثقلين»(١).

وعن البراء بن عازب عن النبي ﷺ قال: «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت» قال: نزلت في عذاب القبر. فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله ونبيي محمد ﷺ فذلك قوله عز وجل ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ (إبراهيم: ٢٧)(٢).

ومما ينبغي أن يُعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ الذي قال الله تعالى: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[المؤمنون: ١٠٠].

فكل من مات وهو مستحق للعذاب فله نصيب منه قُبر أو لم يقبر، فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار رمادا ونُسف في الهواء أو غرق في البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور(٣).

## ومنها الأحاديث التي تبين صوراً من عذاب القبر:

فمن ذلك حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال من رأى منكم الليلة رؤيا؟ قال: فإن رأى أحد رؤيا قصها فيقول: ما شاء الله فسألنا يوما فقال هل رأى أحد منكم رؤيا؟ قلنا: لا، قال: لكني رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي وأخرجاني إلى الأرض المقدسة فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب من حديد يدخله في شدقه حتى يبلغ قفاه ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك ويلتئم شدقه هذا فيصنع مثله قلت ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجلٌ قائم على رأسه بصخرة أو فهر فيشدخ بها رأسه، فإذا ضربه تدهده الحجر فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو فعاد إليه فضربه، قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق فانطلقنا إلى ثَقْبٍ مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع، يوقد

---

(١) أخرجه مسلم عن أنس (١٧/ ٢٩٥) باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه - كتاب الجنة.

(٢) أخرجه مسلم عن البراء بن عازب (١٧/ ٢٩٧) التخريج السابق.

(٣) البحر الرائق في الزهد والرقائق - أحمد فريد صـ ٢٧٥ : ٢٧٨ بتصرف.

تحته نار فإذا فيه رجال ونساء عراة فيأتيهم اللهب من تحتهم فإذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا يخرجوا فإذا خمدت رجعوا فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة فأقبل الرجل الذى فى النهر فإذا أراد أن يخرج رُمى بحجر فى فيه ــ أى فى فمه ــ فرده حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رُمى فى فيه بحجر فرجع كما كان، فقلت ما هذا؟ فقالا: انطلق فانطلقنا، حتى أتينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة، وفى أصلها شيخ وصبيان، وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها، فصعدا بى الشجرة وأدخلانى داراً لم أرَ قَطُّ أحسن منها، فيها شيوخ وشبان، ثم صعدا بى فأدخلانى داراً هى أحسن وأفضل قلت: طوفتمانى الليلة فأخبرانى عما رأيت. قالا: نعم: الذى رأيته يشق شدقه فكذابٌ يحدث بالكذبة فتُحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيُصنع به ما رأيت إلى يوم القيامة، والذى رأيته يُشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار يُفعل به إلى يوم القيامة والذى رأيت فى الثقب فهم الزناة، والذى رأيته فى النهر فآكل الربا، وأما الشيخ الذى فى أصل الشجرة فإبراهيم والصبيان حوله فأولاد الناس، والذى يوقد النار فمالك خازن النار، والدار الأولى دار عامة المؤمنين، وأما هذه الدار فدار الشهداء وأنا جبريل، وهذا ميكائيل فارفع رأسك فرفعت رأسى فإذا قصر مثل السحابة قالا: ذلك منزلك. قلت: دعاني أدخل منزلي. قالا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله فلو استكملته أتيت منزلك»[1].

فهذا النص صحيح صريح يبين لنا صوراً من عذاب القبر كما فسره به العلماء، وكذلك المشاهد التي رآها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء إن صحت فإنها تبين صورا أخري لنعيم القبر وعذابه. . . . .، وبعد أن تحدثنا عن أدلة عذاب القبر ونعيمه بإيجاز شديد لابد أن نعلم أن كل واحدٍ منا لن يخرج عن أحد حالين، إما أن يُنعم في قبره، وإما أن يعذب في قبره، ولذا قال الحبيب ﷺ: «كل أهل الجنة

(١)متفق عليه عن سمرة بن جندب - صحيح الجامع (٣٤٦٢).

يري مقعده من النار، فيقول: لولا أن الله هداني فيكون له شكر. وكل أهل النار يري مقعده من الجنة فيقول: لو أن الله هداني فيكون عليه حسرة»[1].

إنها الحسرة الدائمة؛ لأنه أيقن أنه لن يرجع إلى الدنيا فيعمل صالحا ينجيه من هذا العذاب ولذا فإنه يصرخ فى القبر ويقول: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ فيأتيه الجواب الحق: ﴿كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ أى ليس لها قيمة؛ لأن الذى قالها ليس له قيمة عند الله جل وعلا: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

ومن أجل ذلك يحذرنا الله فى كتابه من قبل أن نجد أنفسنا فى تلك الحسرات، فيقول جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٩: ١١].

فاحرص يا أخى على أن تملأ قبرك بنور العمل الصالح وبنور القرآن والإحسان إلى الوالدين واليتامى والجيران والمحافظة على الصلوات.

قف بالقبور وقل على ساحتها ... مَن منكم المغموم فى ظلماتها
ومن المكرَّم منكم فى قفرها ... قد ذاق برد الأمن فى روعاتها
أما السكون لدى العيون فواحد ... لا يستبين الفضل فى درجاتها
لو جاوبوك لأخبروك بألسنٍ ... تصف الحقائق بعد من حالاتها
أما المطيع فنازلٌ فى روضة ... يُفضى إلى ما شاء من راحاتها
والمجرم الطاغى بها متقلبٌ ... فى حفرة يأوى على حيّاتها
وعقارب تسعى إليه فروحه ... فى شدة التعذيب من لدغاتها

(١) رواه أحمد والحاكم عن أبي هريرة – وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٥١٤).

# بيان حال القبر وأقاويلهم عند القبور وما يلقاه الميت فى القبر إلى نفخة الصور

كان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته، فسئل عن ذلك وقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكى! وتبكى إذا وقفت على قبر؟ فقال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه»[1].

وقيل إن عمرو بن العاص نظر إلى المقبرة فنزل وصلى ركعتين، فقيل له هذا شيء لم تكن تصنعه؟ فقال: ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه فأحببت أن أتقرّب إلى الله بهما.

وقال مجاهد: أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول: أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة، هذا ما أعددت لك فما أعددت لى؟.....

وقال أبو ذر: ألا أخبركم بيوم فقرى، يوم أوضع فى قبرى.

وكان أبو الدرداء يقعد إلى القبور، فقيل له فى ذلك فقال: أجلس إلى قوم يُذكروني معادى، وإذا قمت لم يغتابونى.

وكان جعفر بن محمد يأتى القبور ليلاً ويقول: يا أهل القبور مالى إذا دعوتكم لا تجيبونى! ثم يقول: حيل والله بينهم وبين جوابى وكأنى بى أكون مثلهم ثم يستقبل الصلاة إلى طلوع الفجر.

وقال عمر بن عبدالعزيز لبعض جلسائه: يا فلان لقد أرقت الليلة أتفكر فى القبر وساكنه، وإنك لو رأيت الميت بعد ثلاثة فى قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك به! ولرأيت بيتًا تجول فيه الهوام ويجرى فيه الصديد وتخترقه الديدان مع تغير الريح وبلى الأكفان، بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب، قال: ثم شهق شهقة خرّ مغشيًا عليه.

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه عن عثمان وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٦٨٤).

وقال سفيان: من أكثر من ذكـر القبر وجده روضة من رياض الجنة، ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار.

وكان الربيع بن خثيم قد حفر فى داره قبراً، فكان إذا وجد فى قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكـث ما شاء الله ثم يقول: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ يرددها، ثم يرد على نفسه ويقول: يا ربيع قد رجعت فاعمل.

وقالت امـرأة من الصالحـات لما عوتبت فى كـثرة زيارتهـا للمقـابر: إن القلب القاسى إذا جفا لم يلنه إلا رسوم البلى، وإنى لآتى القبور فكأنى أنظر وقد خرجوا من بين أطباقها، وكأنى أنظر إلى تلك الوجوه المتـعفرة وإلى تلك الأجسام المتغيرة وإلى تلك الأجفـان الدسمة، فيـا لها من نظرة لو أشربـها العباد قلوبـهم ما أنكل مرارتهـا للأنفس وأشد تلفـها للأبدان. . . . . . ، بل ينـبغى أن يحضـر من صورة الميت ما ذكره عمر بن عبد العزيز، حيث دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورته لكثرة الجهاد والعبادة فقال له عمر: يا فلان لو رأيتنى بعد ثلاث وقد أُدخلت قبرى وقد خرجت الحدقتـان فسالتا على الخدين وتقلصت الشـفتان عن الأسنان. وخرج الصديد من الـفم وانفتح الفم، ونتأ البـطن فعلا الصدر وخـرج الصُلب من الدبر وخرج الدود والصديد من المناخر لرأيت أعجب مما تراه الآن.

# شدائد يـوم القيامـة

قال ﷺ: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ و ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ و ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾» (١).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾

---

(١) رواه أحمد والترمذى والحاكم عن ابن عمر، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٩٣).

وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير: ١ – ٢٩]

إنها الشدائد التى يلاقيها الناس فى يوم القيامة.

هذا اليوم العظيم شأنه المديد زمانه القاهر سلطانه القريب أوانه يوم ترى السماء فيه قد انفطرت والكواكب من هوله قد انتثرت والنجوم الزواهر قد انكدرت والشمس قد كُورت والجبال قد سُيرت والعشار قد عُطلت والوحوش قد حُشرت والبحار قد سُجرت، وقد وصف اللّه بعض دواهيها وأكثر من أساميها لتقف على كثرة معانيها.

فمثّل لنفسك وقد بُعثت من قبرك مبهورًا من شدة الصاعقة شاخص العين نحو النداء وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التى طال فيها بلاؤهم وقد أزعجهم الرعب مضافًا إلى ما كان عندهم من الهموم والغموم وشدة الانتظار لعاقبة الأمر...... قال تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]

فيا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم حيث أُغلقت الأبواب وأُرخيت الستور واستترت عن الخلائق فقارفت الفجور وظننت أن يوم الفصل بعيد.

﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ١: ٣]

فأكثر الناس لم يدخل الإيمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويداء أفئدتهم ويدل على ذلك شدة تشمرهم واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم بحر جهنم وزمهريرها مع ما تكتنفه من المصاعب والأهوال، بل إذا سُئلوا عن اليوم الآخر نطقت به ألسنتهم ثم غفلت عنه قلوبهم. . . . .

ومن أُخبر، بأن ما بين يديه من الطعام مسموم فقال لصاحبه - الذي أخبر - صدقت، ثم مد يديه لتناوله؛ كان مصدقًا بلسانه ومكذبًا بعمله وتكذيب العمل أبلغ من تكذيب اللسان. وقد قال النبى ﷺ: «قال اللّه تعالى شتمنى ابن آدم وما ينبغى له أن يشتمنى، وكذبنى وما ينبغى له أن يكذبنى، أما شَتْمه إياى فيقول إن لى ولدًا وأما تكذيبه فقوله لن يعيدنى كما بدأنى»[1].

قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ٨: ١٠]

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۝ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ۝ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٤٨: ٥٢]

فلو لم يكن بين يدى الموتى إلا هول تلك النفخة لكان ذلك جديراً بأن يتقى فإنها نفخة وصيحة يُصعق بها من فى السموات والأرض ـ يعنى يموتون بها ـ إلا من شاء اللّه وهم بعض الملائكة.

قال ﷺ: «كيف أنتم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وأصغى السمع ينتظر متى يؤمر بالنفخ فينفخ قالوا: كيف نصنع؟ قال: قولوا: حسبنا اللّه ونعم الوكيل على اللّه توكلنا»[2]

---

(١) أخرجه البخارى وأحمد عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٤٣٢٣).

(٢) رواه أحمد والترمذى والحاكم عن أبى سعيد وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٥٩٢).

فتفكر فى الخلائق وذلهم. وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفًا من هذه الصعقة، وانتظارًا لما يقضى عليهم من سعـادة أو شقاوة، وأنت فيما بينهم منكسر كانكسارهم متحـير كتحيرهـم بل إن كنت فى الدنيا من المتـرفين والأغنياء المتنعمين فـملـــوك الأرض فى ذلـك اليـوم أذل أهـــل أرض الجـمـع وأصـغـرهـــم وأحقـرهم. . . . . . . يوطئون بالأقدام مـثل الذر، وعند ذلك تقبـل الوحوش من البرارى والجبال منكسـه رؤوسها مختلطة بالخلائق بعد توحشـها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست بها، ولكن حشرتهم شدة الصعقة وهول النفخة، وشغلهم ذلك عن الهـرب من الخلق والتوحـش منهم وذلك قوله تـعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥]

ثم أقبلت الشياطين المردة بعد تمردها وعتوها وأذعنت خاشعة من هيبة العرض على الله تعالى تصديقًا لقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٨].

فتـفكر فى حـالك وحال قلبـك هنالك. ثم انظر كـيف يُساقـون بعد البـعث والنشور حفاة عراة غرلاً إلى أرض المحشر وهى أرض بيضاء قاع صفصف لا ترى فيـها عوجًـا ولا أمتًا، ولا ترى عـليها ربوة يـختفى الإنسـان وراءها، ولا وهدة ينخفض عن الأعين فـيها. بل هو صعيدٌ واحـد بسيط لا تفاوت فيه يسـاقون إليه زمرًا، فـسبحـان من جمع الخـلائق على اخـتلاف أصنافـهم من أقطار الأرض إذ ساقهم بالراجفة تـتبعها الرادفة، والراجفة هى النفخـة الأولى والرادفة هى النفخة الثانيـة، وحقيقٌ لتـلك القلوب أن تكون يومئـذ واجفة ولتلك الأبـصار أن تكون خاشعة، قال رسول الله ﷺ: «يُحشر الناس يوم القيامـة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقى ليس فيها معلم لأحد»[1].

فانظر يا مسكين فى هول ذلك اليوم وشـدته، فإنه إذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثـرت من فوقهم نجوم السماء وطُمس ضوء الشـمس والقمر، وأظلمت

---

(١) متفق عليه عن سهل بن سعد ـ صحيح الجامع (٨٠٤٤).

الأرض لخمود سراجها. فبينا هم كذلك إذ دارت السماء من فوق رؤوسهم وانشقت مع غلظها وشدتها خمسمائة عام، والملائكة قيام على حافاتها وأرجائها فيا هول صوت انشقاقها فى سمعك ويا هيبةً ليومٍ تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدتها! ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة تخالطها صُفرة فصارت وردة كالدهان، وصارت السماء كالمهل وصارت الجبال كالعهن، واشتبك الناس كالفراش المبثوث وهم حفاة عراة مشاة......... فعن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول «يُحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً» قلت: يارسول الله النساء والرجال جميعًا ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: «يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض»(١).

فأعظم بيومٍ تنكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك النظر والالتفات كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم فلا قدرة لهم على الالتفاف إلى غيرهم وعن أنس أن رجلاً قال: يا نبى الله كيف يُحشر الكافر على وجهه؟ قال: أليس الذى أمشاه على رجلين فى الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة»؟ قال قتادة: بلى وعزة ربنا (٢).

إنه اليوم الذى قال عنه الحق جل وعلا ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا ﴾ [طه ١٠٥:١٠٧]

إنه اليوم الذي قال عنه الحق تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج: ١ : ٢]

وقال فيه ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) ﴾ [طه: ١٢٤ : ١٢٦]

---

(١) أخرجه مسلم والنسائى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ صحيح الجامع (٨٠٤٣).
(٢) أخرجه البخارى عن أنس (١١/ ٣٨٥) باب الحشر ـ كتاب الرقاق.

قال ابن كثير: قال لم حشرتنى أعـمى وقد كنت بصيراً في الدنيا. قال كذلك أتتك آياتنا فنـسيتها وكـذلك اليوم تُنسى...... أى لما أعـرضت عن آيات اللّه وعاملتها معاملة من لم يذكرها بعد بلاغها تناسيتها وأعرضت عنها وأغفلتها كذلك نعاملك معاملة من ينساه.

﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾(الأعراف: ٥١)(١).

يقول النبى ﷺ: «يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقال له ألم أجعل لك سمعًا وبصرًا ومالاً وولدًا وسـخرت لك الأنعـام والحرث وتركتك ترأس وتـربع..... فكنت تظن أنك ملاقى يومك هذا؟ فيقول: لا فيقول له: اليوم أنساك كما نسيتنى(٢).

ثم تفـكر فى ازدحام الخـلائق واجـتمـاعهم، حـتى ازدحم على المـوقف أهل السمـوات السبع والأرضين السبع مـن ملك وجن وشيطان ووحش وسـبع وطير، فأشرقت عـليهم الشمس وقد تـضاعف حرها وتبدلت عـما كانت عليـه من خفة أمرها. ثم أدنيت من رؤوس العالمين كـقاب قوسين، فلم يبق على الأرض ظل إلا ظل رب العالمين. فـمن بين مستظلٍ بالعـرش وبين مضح لحر الشمس قـد صهرته بحرها واشـتد كربه وغمـه من وهجها، ثم تدافعـت الخلائق ودفع بعضهم بـعضًا لشدة الزحام واخـتلاف الأقدام، وانضاف إليـه شدة الخجلة والحياء من الافـتضاح والاختزاء عـند العرض على جبـار السماء فاجـتمع وهج الشمس وحـر الأنفاس واحتراق القلوب بنار الحـياء والخوف ففاض العرق من أصل كل شـعرة حتى سأل على صعيد القـيامة. ثم ارتفع على أبدانهم على قدر منازلهم عند اللّـه، فبعضهم بلغ العرق ركبتيـه. وبعضهم حقويه، وبعضهم إلى شحمـة أذنيه.، وبعضهم كاد يغيب فيه......... قال ابـن عمر: قال رسول اللّه ﷺ «يوم يقوم الناس لرب العالمين، حتى يغيب أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه»(٣).

وعن سليم بن عامـر ﷺ قال حدثنى المقداد بن الأسود قال سـمعت رسول اللّه

(١) تفسير ابن كثير (٥/٣١٧).

(٢) رواه الترمذى وأحمد عن أبى هريرة وأبى سعيد وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٩٩٧).

(٣) أخرجه البـخارى عن ابن عمر ( ١١/ ٤٠٠) باب ألا يظـن أولئك أنهم مبعوثون لـيوم عظيم ـ كتاب الرقاق.

ﷺ يقول «تُدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم مقدار ميل - قال سليم بن عامر: فوالله ما أدرى ما يعنى بالميل أمسافة الأرض أو الميل الذى تُكحل به العين - قال «فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا» قال: وأشار رسول الله ﷺ إلى فيه[1].

فتأمل يا مسكين فى عرق أهل المحشر وشدة كربهم، وفيهم من ينادى فيقول رب أرحنى من هذا الكرب والانتظار ولو إلى النار...... وكل ذلك. ولم يلقوا بعد حسابًا ولا عقابًا... فإنك واحد منهم ولا تدرى إلى أين يبلغ بك العرق؟

واعلم أن كل عَرَق لم يُخرجه التعب فى سبيل الله ـ من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد فى قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة فى أمر بمعروف ونهى عن منكر ـ فسيخرجه الحياء والخوف فى صعيد القيامة ويطول فيه الكرب ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم أن تعب العرق فى تحمل مصاعب الطاعات أهون أمرًا وأقصر زمانًا من عرق الكرب والإنتظار فى القيامة، فإنه يوم عظيمة شدته طويلة مُدته.

يوم تقف فيه الخلائق شاخصة أبصارهم منفطرة قلوبهم لا يكلمَون ولا يُنظر فى أمورهم، ويقفون ثلاثمائة عام لا يأكلون فيه أكلة ولا يشربون فيه شربة ولا يجدون فيه روح نسيم. قال كعب وقتادة: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين:٦] قال: يقومون مقدار ثلاثمائة عام.

وقال الحسن: ما ظنك بيوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لا يأكلون فيها أكلة ولا يشربون فيها شربة، حتى إذا انقطعت أعناقهم عطشًا واحترقت أجوافهم جوعًا إنصُرف بهم إلى النار فسقوا من عين آنيه قد آن حرها واشتد لفحها، فلما بلغ المجهود منهم مالا طاقة لهم به كلم بعضهم بعض فى طلب من يكرم على مولاه ليشفع فى حقهم فلم يتعلقوا بنبى إلا دفعهم وقال: دعونى! نفسى نفسى؟ شغلنى أمرى عن أمر غيرى. واعتذر كل واحد بشدة غضب الله تعالى وقال: قد غضب اليوم ربنا غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا

(١) أخرجه مسلم عن المقداد بن الأسود ـ صحيح الجامع (٢٩٣٣).

يغضب بعده مثله، حتى يشفع نبينا ﷺ لمن يؤذن له فيه: ﴿يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾ [طه: ١٠٩].

فتأمل فى طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه حتى يخف عليك انتظار الصبر عن المعاصى فى عمرك المختصر.

# صفة يوم القيامة ودواهيه

فاستعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شأنه، المديد زمانه، القاهر سلطانه، القريب أوانه، يوم ترى السماء فيه قد انفطرت، والكواكب من هوله قد انتثرت، والنجوم الزواهر قد انكدرت، والشمس قد كورت، والجبال قد سُيرت، والعشار قد عُطلت، والوحوش قد حُشرت، والبحار قد سُجرت، والنفوس إلى الأبدان قد زوجت، والجحيم قد سُعرت، والجنة قد أزلفت، والجبال قد نُسفت، والأرض قد مُدت، يوم ترى الأرض قد زلزلت فيه زلزالها، وأخرجت الأرض أثقالها، يومئذ يصدر الناس أشتاتًا ليروا أعمالهم، يوم تُحمل الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة، يومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهى يومئذ واهية، والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية، يومئذ تُعرضون لا تخفى منكم خافية، يوم تسير الجبال وترى الأرض بارزة. يوم تُرج الأرض فيه رجًا وتبس الجبال بسًا فكانت هباءً منبثًا، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش، يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حملٍ حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب اللّه شديد، يوم تُبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا للّه الواحد القهار، يوم تُنسف فيه الجبال نسفًا فتترك قاعًا صفصفًا لا ترى فيها عوجًا ولا أمتا، يوم ترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب، يوم تنشق فيه السماء فتكون وردة كالدهان، فيومئذ لا يُسأل عن ذنبه إنس ولا جان، يوم يُمنع فيه العاصى من الكلام، ولايسأل فيه عن الإجرام بل يؤخذ بالنواصى والأقدام، يوم تجد كل نفس ما عملت من خيرٍ محضرًا وما عملت من سوء تود لو أنّ بينها وبينه أمدًا بعيدًا، يوم تعلم فيه كل نفس ما أحضرت وتشهد ما قدمت وأخرت يوم تخرس فيه الألسن وتنطق الجوارح يومٌ شيَّب ذكره سيد المرسلين إذ قال له الصديق ﷺ: أراك قد شبت يا رسول اللّه قال:

«شيبتنى هود وأخواتها»[1].

وهى الواقعة والمرسلات وعم يتسألون وإذا الشمس كورت، فيا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم، حيث أُغلقت الأبواب وأرخيت الستور، واستترت عن الخلائق فقارفت الفجور، فماذا تفعل وقد شهدت عليك جوارحك؟ فالويل كل الويل لنا معشر الغافلين، يرسل اللّه لنا سيد المرسلين وينزل عليه الكتاب المبين، ويخبرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين، ثم يعرفنا غفلتنا ويقول: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١: ٣] ثم يعرفنا قُرب القيامة فيقول: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦ - ٧] ثم يكون أحسن أحوالنا أن نتخذ دراسة هذا القرآن عملاً فلا نتدبر معانيه ولا ننظر فى كثرة أوصاف هذا اليوم وأساميه ولا نستعد للتخلص من دواهيه. فنعوذ باللّه من هذه الغفلة إن لم يدركنا اللّه بواسع رحمته[2].

مثّل لقلبك أيها المغرور ... يوم القيامة والسماء تمورُ
قد كُورت شمس النهار وأضعفت ... حراً على روس العباد تقورُ
وإذا الجبال تعلقت بأصولها ... فرأيتها مثل السحاب تسيرُ
وإذا النجوم تساقطت وتناثرت ... وتبدلت بعد الضياء كدورُ
وإذا العشار تعطلت عن أهلها ... خلت الديار فما بها معمورُ
وإذا الوحوش لدى القيامة أُحضرت ... وتقول للأملاك أين نسيرُ
فيقال سيروا تشهدون فضائحًا ... وعجائبًا قد أُحضرت وأمورُ
وإذا الجنين بأمه متعلقٌ ... خوف الحساب وقلبه مذعورُ
هذا بلا ذنب يخاف لهوله ... كيف المقيم على الذنوب دهورُ؟؟

(١) رواه الطبرانى فى الكبير عن عقبة بن عامر وعن أبى جحيفة ـ صحيح الجامع (٣٧٢٠).
(٢) إحياء علوم الدين للإمام الغزالى - صفة نفخ الصور وأرض المحشر - كتاب ذكر الموت - بتصرف.

وفى المقابل يـا عبد اللّه فهناك أصـناف من المؤمنين يكونون فى الظل فـقد قال رسول اللّه ﷺ «سبعـة يظلهم اللّه فى ظله يوم لا ظل إلا ظلـه. الإمام العادل وشاب نشـأ فى عبادة اللّه ورجـل قلبه معلق فى المـساجد ورجلان تحـابا فى اللّه اجتمعا عليـه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجـمال فقال إنى أخاف اللّه ورجل تصدق بصدقـة فأخفاها حتى لا تعلم شماله مـا تنفق يمينه ورجل ذكر اللّه خاليًا ففاضت عيناه » [1].

وهؤلاء السبـعة يأكلون من زيـادة كبد الحوت. تلـك الوجبة التى أعـدها لهم الرحـمن جل وعلا وإذا أرادوا الماء شـربوا من حـوض النبى ﷺ الذى قـال عنه «حوضى مسيرة شهر وزواياه سـواء وماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من يشرب منه فلا يظمأ أبدًا »[2].

قال: وقالـت أسماء بنت أبى بكر ﭫ قـال رسول اللّه ﷺ «إنى على الحوض حتى أنـظر من يرد علىَّ منكم وسـيؤخـذ أناس من دونى فأقـول يارب منى ومن أمتى؟ فـيقال: أما شـعرت ما عمـلوا بعدك واللّه ما بـرحوا بعدك يرجـعون على أعقـابهم». قال: فكان ابـن أبى مُليكة يقـول: اللهم إنا نعوذ بـك أن نرجع على أعقابنا أو أن نُفتن عن ديننا [3].

إن النبى ﷺ يخـبر فى هذا الحـديث عن أناسٍ يأتون علـى الحوض فتـردهم الملائكة لأنـهم خالفـوا شرع اللّه وتـركوا سنة رسـول اللّه ﷺ فلم يسـجدوا للّه سجدة ولم يشغلوا أنـفسهم بطاعة اللّه فكان الجزاء من جنس العـمل فكما ابتعدوا عن طاعة اللّه أبعدتهم الملائكة عن حوض رسول اللّه ﷺ فيالها من حسرة تتفطر لها القلوب الحية والضمائر المتيقظة.

فيا أخى الحبيب لـقد أخبرنا النبى ﷺ عن السبعة الذين ينـجيهم اللّه عز وجل من هول المحشر وحر الشمس وعـذاب الجوع والعطش فاحرص على أن تكون من هؤلاء السبعة فإن الكربات لشديدة وإن اليوم لطويل وإن الهول لعظيم واللّه إن لم

(١) متفق عليه عن أبى هريرة ــ صحيح الجامع (٣٦٠٣)

(٢) متفق عليه عن ابن عمرو ــ صحيح الجامع (٣١٦١).

(٣) متفق عليه عن أسماء بنت أبى بكر ــ صحيح الجامع (٢٤٦٧).

تكن منهم ستكون حسرة ما بعدها حسرة تود يومها أن تُرد إلى الدنيا مرة أخرى لتكون من هؤلاء السبعة ـ فأنت الآن فى الدنيا فاعمل قبل يوم الحسرة.

## مجىء جهنم

تأمل فى حال الخلائق وقد قاسوا من دواهى القيامة ما قاسوا، فبينما هم فى كربها وأهوالها وقوفًا، ينتظرون حقيقة أنبائها، وتشفيع شفعائها، إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شُعب، وأظلت عليهم نار ذات لهب، وسمعوا لها زفيراً وجرجرة تُفصح عن شدة الغيظ والغضب، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب، وجثت الأمم على الركب، حتى أشفق الأتقياء من سوء المنقلب. وخرج المنادى من الزبانية قائلا: أين فلان بن فلان المسوف نفسه فى الدنيا بطول الأمل، المضيع عمره فى سوء العمل؟ فيبادرونه بمقامع من حديد، ويستقبلونه بعظائم التهديد، ويسوقونه إلى العذاب الشديد، وينكسونه فى قعر الجحيم، ويقولون له: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أنت الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] فأسكنوه داراً ضيقة الأرجاء، مظلمة المسالك، مبهمة المهالك، يخلد فيها الأسير، ويوقد فيها السعير، شرابهم فيها الحميم، ومستقرهم الجحيم، الزبانية تقمعهم، والهاوية تجمعهم، أمانيهم فيها الهلاك، وما لهم منها فكاك، قد شُدت أقدامهم إلى النواصى، واسودت وجوههم من ظلمة المعاصى، ينادون من أكنافها ويصيحون فى نواحيها وأطرافها: يا مالك قد حق علينا الوعيد، يا مالك قد أثقلنا الحديد، يامالك قد نضجت منا الجلود، يامالك أخرجنا منها فإنا لا نعود، فتقول لهم الزبانية: هيهات هيهات لا خروج لكم من دار الهوان. فلا ينجيهم الندم، ولا يغنيهم الأسف فهم غرقى فى النار، طعامهم نار، وشرابهم نار، ولباسهم نار، ومهادهم نار فهم بين مقطعات النيران، وسرابيل القطران، وضرب المقامع وثقل السلاسل، فهم يتجلجلون فى مضائقها، ويتحطمون في دركاتها، ويضطربون بين غواشيها، تغلى بهم النار كغلى القدور، ويهتفون بالويل والعويل، ومهما دعوا بالثبور صُبّ من فوق رؤوسهم الحميم، يُصهر به ما فى بطونهم والجلود، ولهم مقامع من حديد، تهشم بها جباههم، فيتفجر الصديد من أفواههم، وتنقطع من العطش أكبادهم، وتسيل على الخدود أحداقهم، كلما نضجت جلودهم بُدلوا جلوداً غيرها. . . . وكسرت عظامهم،

وجُدعت آذانهم وأُعميت أبصارهم وأُبكمت ألسنتهم وغُلت أيديهم إلى أعناقهم وجمع بين نواصيهم وأقدامهم، وهم يمشون على النار بوجوههم، ويطأون حسك الحديد(١) بأحداقهم، فلهيب النار سار في بواطن أجزائهم، وحيات الهاوية وعقاربها متشبثةٌ بظواهر أعضائهم. هذا بعض جملة أحوالهم.(٢).

قال ﷺ «يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران وأذنان يسمعان ولسان ينطق يقول: إنى وكلت بثلاثة........ بكل جبارٍ عنيد وبكل من دعا مع اللّه إلهًا آخر وبالمصورين»(٣).

وقال ﷺ «يؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»(٤). فياله من مشهدٍ مهيب تتفطر منه القلوب فإذا جئ بجهنم لا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل إلاّ جثى على ركبتيه وقال: يارب سلم سلم.

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ [الفجر: ٢١: ٢٤]

تأمل معى هذه الحسرة الشديدة لكل من فرط فى حق اللّه جل وعلا ــ أو رأى جهنم فإنه يصرخ ويقول: (يا ليتنى قدمت لحياتى) كلمة يقولها كل من فرط فى الصلاة وكل من عق والديه وكل من ظلم العباد وكل من حارب اللّه جل وعلا وتقولها كل من تركت حجابها وخرجت سافرة متبرجة ناسيةً قول اللّه جل وعلا.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٩]

وناسيةً قول رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساءٌ كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن

(١) الحَسَكُ: نبات له ورق وعند ورقه شوك صلب ذو ثلاث شُعب ويعمل على مثال شوكه أداة للحرب من حديد أو قصب فيلقى حول المعسكر ويسمى باسمه. القاموس المحيط (ص ١٢٠٩).

(٢) إحياء علوم الدين (٤/ ٥٦٣ ــ ٥٦٤) بتصرف.

(٣) رواه أحمد والترمذى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨٠٥١) الصحيحة (٢٥١٢).

(٤) رواه مسلم عن ابن مسعود ــ كتاب صفه النار ـ صحيح الجامع (٨٠٠١).

كأسنمة البُخت المائلة لايدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»(١).

أما آن الأوان يا أختاه أن تلبسى حجابك ليكون حجابًا لك من النار. . . . . أما آن الأوان لتلبسى لباس الستر والعفاف وتنقادى لأمر اللّه وأمر رسول اللّه ﷺ حتى لا تكونى من أهل النار الذين أخبر عنهم النبى ﷺ فى الحديث السابق. . . .إنها كلمة فى أذن كل فتاة مسلمة تؤمن باللّه واليوم الآخر - يا أختاه أنقذى نفسك من النار قبل أن تصرخى وتقولى: «يا ليتنى قدمت لحياتى».

فها هى الفرصة أمامك فتوبى إلى اللّه وأسرعى الخُطا ولسان حالك ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤] واسجدى بين يدى اللّه عز وجل واطلبى منه المغفرة والرحمة فهو القائل ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠].

ويا من تظلم وتتجبر لا تنس هذا المشهد المهيب عند مجئ جهنم فتب إلى اللّه وتحلل من المظالم. قبل أن تصرخ وتقول: «يا ليتنى قدمت لحياتى» فتندم حيث لا ينفع الندم ولا تُدفع النِقم.

إنها النار!!! التى أوقد عليها ألف عام حتى أحمرت وألف عام حتى ابيضت وألف عام حتى اسودت فهى سوداء قاتمة !! يصل الحجر إلى قعرها بعد سبعين سنة!!.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال كنا مع رسول اللّه ﷺ إذ سمع وجبة(٢) فقال النبى ﷺ: «أتدرون ما هذا ؟» قلنا اللّه ورسوله أعلم قال: «هذا حجر رُمى به فى النار منذ سبعين خريفًا فهو يهوى فى النار الآن حتى انتهى إلى قعرها»(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قرأ هذه الآية ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

قال رسول اللّه ﷺ: «لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لأفسدت

(١) أخرجه مسلم عن أبى هريرة ــ صحيح الجامع (٣٧٩٩). (٢) وجبة أى سقطة.

(٣) أخرجه مسلم ــ باب فى بُعد قعر جهنم ــ كتاب صفة النار.

على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن تكون طعامه؟»[(١)] .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إن أهون أهل النار عذابًا من له نعلان وشراكان من نار يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل ما يرى أن أحدًا أشد منه عذابًا وإنه لأهونهم عذابًا»[(٢)] .

فبعد كل هذا ألا يكون ذلك حاديًا لنا لنتوب إلى الله ونرجع إلى الجادة ونغتنم الساعات قبل أن نأتى يوم القيامة ويصرخ كل واحد منا ويقول «ياليتنى قدمت لحياتى».

فهيا نقدم لحياتنا ما ينجينا يوم الحشر وهيا نمتثل قول الحق تبارك وتعالى ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]

# فتنة الأتباع والمتبوعين

إنه مشهد الخزى الـذي تتفطر له القلوب المؤمنة إنها اللحظة الحاسمة التى يتبرأ فيها أهل الطغيان من الأتباع الذى اتبعوهم فى كفرهم وضلالهم.

وكانت البداية فى الحياة الدنيا كما سطرها الله فى كتابه ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [العنكبوت: ١٢]

وهذه هى البداية وهذا هو دأب أهل الضلال فى مكرهم بأهل الإيمان فهم يطلبون منهم أن يتبعوهم فى كفرهم ويعطونهم العهود والمواثيق أنهم سيحملون خطاياهم يوم القيامة «وهذا على سبيل المكر والخداع» فمن تبعهم من المؤمنين فى الدنيا فسوف يذوق الحسرة الدائمة التى لا تنقطع فى الآخرة ولذا قال الله جل وعلا ردًا على هؤلاء الكافرين: ﴿وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ⑫ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت: ١٢، ١٣].

---

(١) رواه أحمد والترمذى عن ابن عباس وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢٥٠).

(٢) رواه مسلم ـ باب فى أهون أهل النار عذابًا ـ كتاب صفة النار.

ولكى يزداد الأمـر وضوحًـا وجلاءًا فإن الحـق تبارك وتعـالى يصور لـنا تلك المشاهد محذراً لنا من اتـباع أهل الباطل ومحذراً لنا من حسرات يوم القـيامة فقال جل وعلا ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴾ [إبراهيم: ٢١].

أى قال الأتبـاع وهم ضعاف الإيمان للكبـراء والكفار ﴿ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ﴾ لقد سرنا وراءكم فى كل مـا يغضب اللّه جل وعلا ومـا عصينا أمركم أبدًا بل عـصينا اللّه مـن أجل أن ترضـوا عنا ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾ يسألونـهم هل ستدفـعون عنا شيـئًا من عذاب اللّه كـما أطعناكم فى سـخط اللّه ﴿ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ [إبراهيم: ٢١]

## فيا لها من حسرة شديدة!!!

وما زالت المشاهد تتوالى وتتوالى ـ يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴾ [غافر: ٤٧]. فإذا بالسادة أذلة قد عنت وجوههم للحى القيوم ولا يملكون لأنفسهم شيئًا ولا يستـطيعون وهم يقولون ﴿ إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٨].

فكم من ظالم يردد ﴿ اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ⑫ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٢، ١٣].

فالعقلاء بمقالتهم لا يغترون وإن فـعلوا فهم فى العذاب والخزى والحسرة يومئذ مشتركون.

وتصـور معى يا أخى هـذا الجو من الحـسرة والخـزى والندامة والمخـيمـة على المستضعفين والمستكبرين ـ فالأتباع الضعفاء يتهمون زعماءهم بالحيلولة بينهم وبين الإيمان. . . . والمسـتكبـرون يقـولون لأتبـاعهـم أنتم المجـرمون دعـوناكم فكـنتم مجيبين. . . . . فلو رأيتهم إذ وقفوا بـين يدى ربهم من غير إرادة منهم ولا اختيار ترهقهم ذلة وهم ينتظرون الجزاء!!

يتراجعون فيرجع بعضهم إلى بعضٍ القـول ويلوم بعضهم بعضًا ويؤنب بعضهم

بعضا، ويُلقي بعضهم تبعة ما هم فيه على بعضٍ فيقول أتباع الضلال الذين استُضعفوا لقادة الضلال الذين استكبروا ﴿لَوْلا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٣١].

يقولونها جاهلين بها صادعين في وقتٍ لم يكونوا في الدنيا بقادرين على تلك المواجهة، فكان يمنعهم الذل والضعف والاستسلام وبيع الحرية التي وهبها الله لهم والكرامة التي منحهم الله إياها.

فاليوم في تلك الحسرة قد سقطت القيم الزائفة وواجهوا العذاب فهم يقولونها غير خائفين ﴿لَوْلا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ لقد كنتم حائلاً بيننا وبين الإيمان لقد زينتم لنا الفسق والكفران فأنتم المجرمون وبالعذاب أنتم جديرون وله مستحقون..... وفي تلك اللحظات يضيق الذين استكبروا بهم ذرعا فهم في البلاء سواء.... وعندها يردون عليهم في ذلة مصحوبة بفظاظة وفحشاء ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم﴾ الله أكبر!! كانوا في الدنيا لا يقيمون للضعفاء وزنا ولا يأخذون لهم رأيًا ولا يعتبرون لهم وجودا ولا يحتملون منهم مخالفة أو حتى مناقشة، أما اليوم فى تلك الحسرة فهم يسألونهم فى ذل وحقار ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ [سبأ : ٣٢].

وهذا اعتراف منهم بأنهم زينوا لهم الإجرام والكفر ولكنهم لم يقهروهم عليه بل لقد كان الضعفاء مستعدين لقبول هذا الكفر والإجرام.

وتأتى الردود الحاسمة من المستضعفين الذين لم يكونوا فى الدنيا قادرين على أن ينطقوا بكلمة واحدة، ولكن بعد أن سقطت القناعات الزائفة وظهرت الحقائق واضحة وضوح الشمس فى رابعة النهار قالوا: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا﴾ [سبأ: ٣٣].

أى أن مكركم لم يفتر ليلاً ولا نهاراً فى الصد عن الهدى فأنتم تزينون لنا الضلال وتشجعوننا على الفساد وتقولون إنه الحق ثم تقدحون فى الحق وتزعمون أنه باطل فما زال مكركم بنا حتى أغويتمونا وفتنتمونا!!

وتالله يا إخوانى إن صور المكر تتنوع وتتغير من عصر لآخر ففى وقت نزول القرآن كانت تتخذ أشكالاً من الأشعار فى المنتديات الجاهلية توجه بها التهم

الباطلة لرسول الله ﷺ ومن معه أو لصد الناس عن سماع الحق، أو لإثارة نعرة القوميات والآباء والأجداد، لكن ماذا يساوى هذا المكر بالنسبة للمكر فى زماننا الحاضر فما يكاد التلفاز وما فيه من الرذيلة يبث على مدى الأربع وعشرين ساعة الرذيلة فى بيوت المسلمين وينهاهم عن كل فضيلة وما يكاد التلفاز يُغلق حتى يأتى دور الفيديو ثم يأتى البث المباشر ثم المجلة الهابطة والقصة الخليعة، وهكذا ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ ولكننا نسأل أنفسنا هذا السؤال: هل يُعذر المسلم لمعايشة هذا المكر؟!

كلا والله لا يُعذر لأنه هو الذى أتى به إلى بيته واستأنس بكل ما فيه من الرذيلة ﴿ أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴾.

ويرد هؤلاء المستضعفون ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾.

ومن هنا ندرك أن هذا الحوار البائس لا ينفع هؤلاء ولا هؤلاء إلا براءة بعضهم من بعض لأنه قد علم كل واحد منهم أنه ظالمٌ لنفسه مستحقٌ للعذاب فندم حين لا ينفع الندم وتمنى أن لو كان على الحق والإيمان ﴿ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سبأ: ٣٣]، فقضى الأمر وسكت الحوار وانتهى الجدل.

وفى سورة البقرة يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]، أى مع هذا الدليل الظاهر المفيد لعظيم سلطان الله وجليل قدرته وُجد فى الناس من يتخذ معه سبحانه ندًا يعبده من الأصنام ويحبه «كحب الله»، أى كحب المؤمنين لله. . . . أو كما يحب المشركون الله يحبون أندادهم ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾، أى أشد فى حبهم لله من حب الكفار للأنداد ﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

أى ولو أن الذين ظلموا بمحبتهم الأنداد كحب الله لو يرون حالهم عند رؤيتهم العذاب يوم القيامة ومعاينتهم قوة الله وبطشه وعجز آلهتهم عن أن تدفع عنهم شيئا من عذاب الله ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا ﴾ أى تبرأ السادة والرؤساء وأئمة الكفر

ممن تبعهم على الكفر ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾ يعنى التابعين والمتبوعين ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ [البقرة : ١٦٦] الصلات والعلاقات التى كانوا يتواصلون بها فى الدنيا من الرحم وغيره ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]

ففى هذا المشهد يتمنى الأتباع أن يعودوا إلى الدنيا ويعملوا صالحًا ويتبرأوا من أئمة الكفر كما تبرأوا منهم فى الآخرة، ولكن هيهات هيهات ويا لها من حسرة!!!

فها نحن الآن فى الدنيا فلنعمل صالحا ولا نُطع أحدا فى معصية الله فإنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، وإن كان هذا المخلوق هو الأب أو الأم ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]. فما ظنك بمن سواهم، فلابد أن نتبرأ من كل من يحارب الله ورسوله ولا نصحب إلا الأخيار والصالحين، فإن الله قد ذكر فى كتابه أن المحبة فى الآخرة لا تكون إلا بين أهل التقوى فقال جل وعلا :

﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف : ٦٧].

بل إن الحسرة التى نجنيها من صحبة الأشرار لتجعل الإنسان يبكى الدماء بدل الدموع فى هذا اليوم العصيب.

فها هو عقبة بن أبى معيط، قال ابن عباس فى رواية عطاء الخراسانى: كان أُبى بن خلف يحضر النبى ﷺ ويجالسه ويستمع إلى كلامه من غير أن يؤمن به فزجره عقبة بن أبى معيط عن ذلك فنزل قول الله عز وجل ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ...﴾ [الفرقان: ٢٧].

وقال الشعبى: وكان عقبة خليلاً لأمية بن خلف فأسلم عقبة فقال أمية: وجهى من وجهك حرام إن تابعت محمداً ﷺ ... وكفر وارتد لرضا أمية فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية.

وقال آخرون: إن أبيّ بن خلف وعقبة بن أبى معيط كانا متحالفين وكان عقبة لا يقدم من سفر إلا صنع طعاما فدعا إليه أشراف قومه وكان يكثر مجالسة النبى

ﷺ فقدم من سفره ذات يوم فصنع طعـاما فدعا الناس ودعا رسول الله ﷺ إلى طعامه فلما قرّب الطعام قال رسول الله ﷺ : «ما أنا بآكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله» فقال عقبة: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فأكل رسول الله ﷺ من طعامه وكان أُبيّ بن خلف غـائبًا فلما أُخبر بقصته قال: صبأت يا عقبة؟ قال: والله ما صبأت ولكن دخل عليّ رجل فأبى أن يطعم من طعامى إلا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتى ولم يطعم فشهدت فطعم. قال أبيّ: ما أنـا بالذى رضى منك أبداً إلا أن تأتيه فتبـزق فى وجهه وتطأ عنقه. ففعل ذلك عـقبة فأخذ رحم دابة فألقاها بين كتفـيه فقال رسول الله ﷺ : «لا ألقاك خارجًا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف»، فـقتل عقبة يوم بدر صبراً. وأما أبى بن خلف فقتله النبى ﷺ يوم أُحد فى المبارزة فأنزل الله تعالى فيهما هذه الآية.

وقال الضحـاك : لما بزق عقبة فى وجـه رسول الله ﷺ عاد بزاقه فـى وجهه فتشعب شـعبتين فأحرق خديه وكان أثـر ذلك فيه حتى الموت ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾

[الفرقان: ٢٧ : ٢٩].[1]

## وفى المقابل هاهو مؤمن فى الجنة يحكى عن قرين له فى الدنيا دخل النار

قال الله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلاَّ مَوْتَتَنَا الأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾

[الصافات: ٥٠ : ٦١]

---

(١) أسباب النزول للواحدي (صـ ٢٥١، ٢٥٢).

قال السدى: كان شريكان فى بنى إسرائيل، أحدهما مؤمن والآخر كافر، فافترقا على ستة آلاف دينار، لكل واحد منهما ثلاثة آلاف دينار، ثم افترقا فمكثا ما شاء الله تعالى أن يمكثا، ثم التقيا، فقال الكافر للمؤمن: ما صنعت فى مالك؟ أضربت به شيئًا، اتجرت به فى شيء؟ فقال له المؤمن: لا، فما صنعت أنت؟ فقال اشتريت به أرضًا ونخلاً وثماراً وأنهاراً بألف دينار - قال - فقال له المؤمن: أو فعلت؟ قال: نعم، قال: فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله تعالى أن يصلى، فلما انصرف أخذ ألف دينار فوضعها بين يديه، ثم قال: اللهم إن فلانًا - يعنى شريكه الكافر - اشترى أرضًا ونخلاً وثماراً وأنهاراً بألف دينار ثم يموت غدًا ويتركها. اللهم إنى اشتريت منك بهذه الألف دينار أرضًا ونخلاً وثماراً وأنهاراً فى الجنة، قال: ثم أصبح فقسمها فى المساكين، قال: ثم مكثا ما شاء الله تعالى أن يمكثا، ثم التقيا، فقال الكافر للمؤمن: ما صنعت فى مالك أضربت به فى شيء؟ أتجرت به فى شيء؟ قال: لا، قال: فما صنعت أنت؟ قال: كانت ضيعتى قد اشتدت علىّ مؤنتها، فاشتريت رقيقًا بألف دينار، يقومون لى فيها ويعملون لى فيها، فقال له المؤمن: أو فعلت؟ قال: نعم، قال: فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله تعالى أن يصلى، فلما انصرف أخذ ألف دينار فوضعها بين يديه ثم قال: اللهم إن فلانًا - يعنى شريكه الكافر - اشترى رقيقًا من رقيق الدنيا بألف دينار يموت غداً فيتركهم أو يموتون فيتركونه، اللهم إنى اشتريت منك بهذه الألف الدينار رقيقا فى الجنة. قال: ثم أصبح، فقسمها فى المساكين قال: ثم مكثا ما شاء الله تعالى أن يمكثا، ثم التقيا، فقال الكافر للمؤمن: ما صنعت فى مالك أضربت به فى شيء. أتجرت به فى شيء؟ قال: لا، فما صنعت أنت؟ قال: كان أمرى كله قد تم إلا شيئًا واحدًا، فلانة قد مات عنها زوجها فأصدقتها ألف دينار، فجاءتنى بها ومثلها معها، فقال له المؤمن: أو فعلت؟ قال: نعم، قال: فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله تعالى أن يصلى، فلما انصرف أخذ الألف الدينار الباقية فوضعها بين يديه، وقال: اللهم إن فلانًا - يعنى شريكه الكافر - تزوج زوجة من أزواج الدنيا بألف دينار، فيموت غدًا فيتركها أو تموت غدًا فتتركه، اللهم وإنى أخطب إليك بهذه الألف الدينار حوراء عيناء فى الجنة - قال - ثم أصبح فقسمها بين المساكين - قال -

فبقى المؤمن ليس عنده شيء، فخرج شريكه الكافر وهو راكب، فلما رآه عرفه، فوقف عليه وسلم عليه وصافحه، ثم قال له: ألم تأخذ من المال مثل ما أخذت؟ قال: بلى، قال: وهذا حالى وهذا حالك؟ قال: بلى. قال: أخبرنى ما صنعت فى مالك؟ قال: أقرضته، قال: من؟ قال: الملئ الوفى، قال: من؟ قال: الله ربى، قال، فانتزع يده من يده، ثم قال: ﴿أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۝٥٢ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات: ٥٢ : ٥٣]؟ قال السدى: محاسبون، قال: فانطلق الكافر وتركه، فلما رآه المؤمن وليس يلوى عليه رجع وتركه وجعل يعيش المؤمن فى شدة من الزمان، ويعيش الكافر فى رخاء من الزمان قال: فإذا كان يوم القيامة وأدخل الله تعالى المؤمن الجنة، يمر فإذا هو بأرض ونخل وثمار وأنهار فيقول: لمن هذا؟ فيقال: هذا لك، فيقول: يا سبحان الله، أو بلغ من فضل عملى أن أثاب بمثل هذا؟ قال، ثم يمر، فإذا هو برقيق لا تحصى عدتهم، فيقول: لمن هذا؟ فيقال: هؤلاء لك، فيقول: يا سبحان الله أو بلغ من فضل عملى أن أثاب بمثل هذا؟ قال: ثم يمر، فإذا هو بقبة من ياقوتة حمراء مجوفة فيها حوراء عيناء، فيقول: لمن هذه؟ فيقال: هذه لك، فيقول: يا سبحان الله أو بَلغ من فضل عملى أن أُثاب بمثل هذا؟! قال: ثم يذكر المؤمن شريكه الكافر، فيقول: ﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝٥١ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۝٥٢ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾، قال، فالجنة عالية، والنار هاوية، قال: فيريه الله تعالى شريكه فى وسط الجحيم من بين أهل النار، فإذا رآه المؤمن عرفه، فيقول: ﴿تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝٥٦ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۝٥٧ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٥٩ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝٦٠ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ بمثل ما قد مُنَّ عليه، قال: فيتذكر المؤمن ما مر عليه فى الدنيا من شدة، فلا يذكر مما مر عليه فى الدنيا من الشدة أشد عليه من الموت... أخرجه ابن أبى حاتم[1].

نعم فالكل يوم القيامة سوف يتبرأ حتى إن أصحاب الرحم يفرون من بعضهم البعض.

---

(١) تفسير ابن كثير ـ (جـ ٤ صـ ١٠، ١١) بتصرف.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [عبس : ٣٤ : ٣٧].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢) ﴾ [الحج: ١ : ٢].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٣٣) ﴾ [لقمان: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴾ [المعارج: ١١: ١٤].

فيا إخوانى إنه لا نجاة من أهوال يوم القيامة إلا بالعمل الصالح والسير على ما سار عليه النبى ﷺ وأصحابه ﷺ، فلابد أن نصحب الأخيار ونترك الفجار، فما أردى الناس فى النار إلا شرار الناس!!

ومن كمال رحمة الحق تبارك وتعالى أنه أخبرنا بتلك المشاهد التى ستقع يوم القيامة من أجل أن نحذر ونخشى على أنفسنا الوقوع فى تلك المشاهد التى تجلب الحسرة وعلى الرغم من ذلك، فإن الكثير والكثير من بنى جلدتنا يقتحمون فى النار غير معتبرين بكل ما سمعوا عن تلك الأهوال!!

فيا مَنْ نسيت أو تناسيت تلك المشاهد - اقرأ القرآن ففيه النجاة كل النجاة فهو يحذرك من الوقوع مع أتباع الشيطان ويرغبك فى مصاحبة جند الرحمن الذين يتنعمون فى الجنان حيث يتلذذون بالحور الحسان مع ما يدخره لهم الرحمن من الرضوان. فالنجاة النجاة أو الهلاك والحسرة!!

* * *

# الوقوف بين يدى الله (عز وجل)

تذكَّر وقوفك يوم العرض عُريانا
مستوحشًا قَلِقَ الأحشاء حيرانا
والنار تَلهب من غيظٍ ومن حَنقٍ
على العُصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدُ على مَهَلٍ
فهل ترى فيه حرفًا غير ما كانا
فلما قرأت ولم تُنكر قراءته
وأقررت إقرار مَنْ عرف الأشياء عِرفانا
نادى الجليل خذوه يا ملائكتى
وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطشانا
المشركون غداً فى النار يلتهبوا
والموحدون بدار الُخلد سكّانا

إنه مشهد عظيم لا يستطيع إنسان أن يعلم مدى رهبته فإن الإنسان إذا ما وقف أمام ملك من ملوك الدنيا فإنه يرتجف فؤاده خوفًا وفزعًا أن يصدر منه ما يُغضب صاحب السلطان فما ظنكم بالوقوف بين يدى الواحد الديان ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١].

فبينما أنت فى أرض المحشر إذ يأتيك النداء «أين فلان ابن فلان» فيُلقى الله فى روعك أنك أنت المقصود من بين الخلائق فتقبل على عرش الواحد الديان ويا له من موقف عصيب.

قال ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه تُرجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة

طيبة»(١).

فأعظم به من موقف وأعظِم به من سـائل سبحانه وتعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾[الحاقة : ١٨].

يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: «أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتـديًا به؟ فيقول نعم؟ فيقول اللـه: كذبت قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك فى ظهر آدم أن لا تشرك بى شيئًا فأبيت إلا أن تشرك»(٢).

ولهذا قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُوْلَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾[آل عمران: ٩١]. أما قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ ﴾، أى من مات على الكفر فلن يُقبل منه خير أبدًا، ولو كان قد أنفق ملء الأرض ذهبًـا فيما يراه قربة، كمـا سئل النبى ﷺ عن عبد الله بن جدعـان - وكان يقرى الضـيف ويفك العانـى (الأسير) ويطعم الـطعام - هل ينفعـه ذلك؟ فقال: «لا! إنه لم يقل يومًـا من الدهر: رب اغفر لى خطيـئتى يوم الدين»، وكذلـك لو افتدى بملء الأرض أيضًـا ذهبًا ما قُبـل منه كما قـال تعالى: ﴿ ولا يُقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ﴾[البقرة :١٢٣]، وقال: ﴿ لا بيع فيه ولا خلال ﴾[إبراهيم ٣١]، وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[المائدة: ٣٦].

ولو افـتدى نفـسه من الله بمـلء الأرض ذهبًا، بوزن جـبالهـا وتلالها وترابـها ورمالها وسهلها ووعرها وبرها وبحرها.

وقال ﷺ: «يؤتَى بالرجل يوم القيامة من أهل الجنة فيقول له: يا ابن آدم كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أى رب! خير منزلٍ فـيقول: سل وتمنَّ. فيقول: يارب ما أسأل ولا أتمنى إلا أن تردنى إلى الدنيا فأُقتلَ فى سبيلك عشر مرات.... لما يرى

(١) متفق عليه عن عدي بن حاتم ـ صحيح الجامع (٥٧٩٨).
(٢) متفق عليه عن أنس ـ صحيح الجامع (٨١٢٣).

من فضــل الشهادة. . . . . ويـؤتى بالرجل من أهل النـار فيقـول له: يا ابن آدم: كيف وجدت مـنزلك؟ فيقول: أى رب! شرَّ مـنزلٍ فيقول له: أتفـتدى منه بطلاع الأرض ذهبًا؟ فيقول: أى رب: نعم فيقول: كذبتَ قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل فيُردُّ إلى النار»(١).

فهذا موقـف عصيب لكل من أشرك بالله جل وعـلا. . . . . . ، أما المؤمن فله موقف يسـير أمام الله جل وعــلا، ولكن والله لو أننا سنقف أمـام الله جل وعلا لمناقشة الحســاب فقط وقد علمنا أننا من أهل الجنة لكان الموقف عصـيبا فكيف بنا ونحن لا نعلـم مصيـرنا إلى جنةٍ أم إلى نار، والحـال كما قـال النبى ﷺ: «من نوقش الحساب عُذِّب»(٢).

| | |
|---|---|
| يا واحــداً صمــداً بغيـر قريــن | ارحم ضـراعة عـبـدك المسكــينِ |
| واعطف علىَّ إذا وقفــت مـروعًا | حيـران بين يديـك يـوم الديــنِ |
| يا حسـرتى بين العبـاد إذا هُمُـو | خافـوا الحساب فخفَّ عنهـم دونـى |
| مـا حيلتـى فـى نشـر صحيفتـى | إذ قيـل لـى خُذهـا بغيـر يميـنِ |
| مـا حيلتى عند الحســاب وهولـه | إذ قـصّرت بـى قوتـى ويقينـى |
| لا حيلــة عنـــدى ولا موئـــل | إن خـاننى طمعى وحُســن ظنونــى |
| يــارب لا تتــرك عـبــدك هالكا | وارحـم بفضـلك عَبرتـى وشجونى |

وعن صفوان بن محرز قال: قال رجل لابن عـمر ﷺ: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول فى النجوى؟ قـال: سمعته يقول: «يُدنَى المؤمن يوم القـيامة من ربه عز وجل حتى يضـع عليه كنفه فـيقرره بذنوبه فيـقول: هل تعرف؟ فـيقول: أى رب أعرف. قـال: فإنى قد سـترتها عليك فـى الدنيا وإنى أغفـرها لك اليوم فـيُعطى صحيفة حـسناته وأما الكفار والمنافقون فـينادى بهم على رؤوس الخلائق : هؤلاء الذين كذبوا على الله»(٣).

---

(١) رواه أحمد ومسلم والنسائي عن أنس - صحيح الجامع (٧٩٩٦).

(٢) متفق عليه عن عائشة - صحيح الجامع (٦٥٧٨).

(٣) أخرجه مسلم - باب في النجوى وتقرير العبد بذنوبه - كتاب التوبة.

فيا لها من حسرة شديدة أن يقف الكافر والمنافق فى أرض المحشر أمام كل الخلائق من لدُن آدم إلى قيام الساعة وينادى عليه أمام الخلائق ويقال هؤلاء الذين كذبوا على الله. . . . . . . . . بل إن الله جعل لهم هيئةً يعرفهم الناس بها ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠].

وتصور حين يؤخذ بناصيتك فتقاد وفؤادك مضطرب ولُبك طائر وفرائصك مرتعدة وجوارحك مضطربة ولونك متغير والعالم عليك من شدّة الهول مظلم، فقدّر نفسك وأنت بهذه الصفة تتخطى الرقاب وتخرق الصفوف وتُقاد كما تقاد الفرس المجنوب وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم، فتوهم نفسك أنك فى أيدى الموكلين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك إلى عرش الرحمن فرموك من أيديهم وناداك الله سبحانه وتعالى بعظيم كلامه: يا ابن آدم ادن منى، فدنوت منه بقلب خافق محزون وطرف خاشع ذليل وفؤاد منكسر، وأُعطيت كتابك الذى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فكم من فاحشة نسيتها فتذكرتها؟ وكم من طاعة غفلت عنها؟ فكم لك من خجل وجبن؟ وكم لك من حصر وعجز؟ فليت شِعرى بأى قدمٍ تقف بين يديه وبأى لسان تجيب وبأى قلب تعقل ما تقول؟ ثم تفكر فى عظم حياتك إذا ذكّرك ذنوبك فعندها يقول: يا عبدى! أما استحييت منى فبارزتنى بالقبيح واستحييت من خلقى فأظهرت لهم الجميل، أكنت أهون عليك من سائر عبادى، استخففت بنظرى إليك فلم تكترث واستعظمت نظر غيرى، ألم أنعم عليك: فماذا غرّك بى؟ أظننت أنى لا أراك وأنك لا تلقانى؟.

وقال ابن مسعود: ما منكم من أحد إلا سيخلو الله عز وجل به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر، ثم يقول يا ابن آدم ما غرّك بى؟ يا ابن آدم ما عملت فيما علمت،؟ يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين،؟ يا ابن آدم ألم أكن رقيبًا على عينك وأنت تنظر بها إلى ما لا يحل لك؟ ألم أكن رقيبًا على أذنيك؟ وهكذا حتى عدّ سائر أعضائه. . . . . . . وقال مجاهد: لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدى الله عز وجل حتى يسأله عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن علمه ما عمل فيه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ فأعظم يا مسكين بحياتك عند ذلك بخطرك فإنك بين أن يقال لك سترتها عليك فى الدنيا

وأنا أغفرها لك اليوم - فعند ذلك يعظم سرورك وفرحك ويغبطك الأوّلون والآخرون - وإما أن يقال للملائكة خذوا هذا العبد السوء فغلوه ثم الجحيم صلوه، وعند ذلك لو بكت السموات والأرض عليك لكان ذلك جديراً بعظم مصيبتك وشدة حسرتك على ما فرّطت فيه من طاعة الله وعلى ما بعت آخرتك بدنيادنيئة لم تبق معك!

## الجوارح والأركان تعترف بجرائم الإنسان

بل إن الجوارح والأركان تنطق وتعترف بجرم كل مَنْ كفر بالله جل وعلا، وبذنب كل مَنْ عصى الله سبحانه وتعالى ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[النور : ٢٤]. ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[يس : ٦٥]. ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾[فصلت: ١٩ : ٢٤].

قال ﷺ: «هل تُضارّون في رؤية الشمس فى الظهيرة ليست فى سحابة؟ قالوا: لا قال: هل تُضارّون، فى رؤية القمر ليلة البدر ليس فى سحابة؟ قالوا: لا قال: فوالذى نفسى بيده لا تضارّون فى رؤية ربكم عز وجل إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما فيلقى العبد فيقول: أى فُل - يعنى يا فلان - ألم أكرمك وأسوّدك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى أى رب! فيقول: أفظننت أنك ملاقىّ؟ فيقول: لا فيقول: فإنى أنساك كما نسيتنى. ثم يلقى الثانى فيقول له: أى فُلُ؟ ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى أى رب! فيقول: أفظننت أنك ملاقىّ؟ فيقول: لا فيقول: إنى أنساك كما نسيتنى. ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك

فيقول: رب آمنت بك وبكتابك. وبرسلك وصليت وصُمت وتصدقت ويثنى بخير ما استطاع فيقـول: هاهنا إذن. ثم يقال: الآن نبـعث شاهدًا عليك ويتـفكر فى نفسه: مَن ذا الذى يشهد علىَّ؟ فيختم على فيه ويقال لفخذه: انطقى فتنطق فخذه ولحمـه وعظامه بعـمله وذلك ليُعـذَر من نفسـه، وذلك المنافق الذى يسـخط الله عليه»[(١)].

فتوهم نفـسك يا مسكين وقد أخذت الملائكة بعـضديك وأنت واقف بين يدى الله تعالى يسألك شفاها، فيقول لك: ألم أنعم عليك بالشباب ففيماذا أبليته، ألم أمهل لك من العـمر ففيمـاذا أفنيته، ألم أرزقك المال فمن أيـن اكتسبته، وفـيماذا أنفقته، ألم أكرمك بالعلم فماذا عملت فيما علمت. فكيف ترى حياءك وخجلتك وهو يعدّ عليك إنـعامه ومعاصيـك وأياديه ومساوئك، فإن أنكرت شـهدت عليك جوارحك... قال أنس ﷺ: كنا مع رسول الله ﷺ فضحك ثم قال: «أتدرون مما أضحك» قلنا: الله ورسـوله أعلم، قال: «من مخاطبة العـبد ربه يقول يا رب ألم تجرنى من الظلم؟» قال: «يقول: بلى» قال: «فيقول: فإنى لا أجيز على نفسى إلا شاهدًا منى، فيـقول: كفى بنفسك اليوم علـيك حسيبًا وبالكرام الكاتبـين شهودًا» قال: «فيُختم علـى فيه ويقال لأركانه انطقى» قال: «فتنطق بأعـماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول لأعضائه: بعدًا لكنَّ وسُحقًا فعنكن كنت أناضل»[(٢)].

فنعوذ بالله من الافـتضاح على ملأ الخلق بشهادة الأعـضاء، إلا أن الله تعالى وعد المؤمن بأن يستر عليه ولا يطلع عليه غيره.

فاتق الله يا أخى فى تلك الجوارح ولا تسعَ بها إلى المعاصى، بل اجعلها تعمل فى طاعة الـله جل وعلا، فإن الجـوارح ستنطق وتتكلم وتـخبر بما عمـلته، وهذا ليس بعجيب إذا ما علمت أن الأرض التى هى من الحجارة والصخور سوف تتكلم وتُخبر بكل ما حدث على ظهرها ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٤ : ٥]

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة - صحيح الجامع (٧٠٣٢).
(٢) أخرجه مسلم عن أنس - صحيح الجامع (٨١٣٤).

ولقد ورد فى الحديث أن النبى ﷺ قرأ هذه الآية ﴿يومئذ تحدث أخبارها﴾ قال: أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها أن تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها[١].

ولا عجب فى ذلك فالكون كله مطيع وخاضع لله جل وعلا والكون كله يسبح لله عز وجل ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور : ٤١].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج : ١٨].

فتجهزوا يا إخوانى لهذا اليوم ولهذا الموقف العصيب......، وكما قال عمر ﷺ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم فإنه أخفّ عليكم فى الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم وتجهزوا للعرض على الله ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة : ١٨].

وعن أبى موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف فى الأيدى. فآخذٌ بيمينهٌ وآخذ بشماله»[٢].

## تطاير الصحف وهول الميزان وانقسام الناس لثلاثة أقسام

ثم لا تغفل عن الفكر فى الميزان وتطاير الكتب إلى الأيمان والشمائل، فإن الناس بعد السؤال ثلاث فرق:

فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق أسود فيلتقطهم لقط الطير للحب وينطوى عليهم ويلقيهم فى النار، فتبتلعهم النار وينادى عليهم...... شقاوة لا

---

(١) رواه الترمذي عن أبي هريرة وقال حسن صحيح غريب وأورده ابن كثير في تفسيره (٤/ ٥٤٢).
(٢) رواه أحمد عن أبي موسى وأورده ابن كثير في تفسيره جـ ٤ ، صـ٤١٥.

سعادة بعدها أبدًا.

وقسم آخر: لا سيئة لهم فينادى مناد.. ليقم الحمَّادون لله على كل حال؛ فيقومون ويسرحون إلى الجنة، ثم يُفعل ذلك بأهل قيام الليل، ثم بمن لم تشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر الله تعالى وينادى عليهم.. سعادة لا شقاوة بعدها أبدًا.

ويبقى قسم ثالث: وهم الأكثرون خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله تعالى أن الغالب حسناتهم أو سيئاتهم، ولكن يأبى الله إلا أن يعرّفهم ذلك ليبين فضله عند العفو وعدله عند العقاب، فتتطاير الصحف والكتب منطوية على الحسنات والسيئات وينصب الميزان وتشخص الأبصار إلى الكتب أتقع فى اليمين أو فى الشمال؟ ثم إلى لسان الميزان أيميل إلى جانب السيئات أو إلى جانب الحسنات؟ وهذه حالة هائلة تطيش بها عقول الخلائق.

ويا له من مشهد فاصل بين أهل الحق وأهل الباطل إنه مشهد استلام الصحف والذى سيتم الفصل فيه بين أهل الجنة وأهل النار، فالكل يتربص وينتظر وترتعد فرائصه وتنتفض جوارحه ويسأل نفسه: يا تُرى هل سآخذها بيمينى أم بشمالى؟!! وبينما هو يفكر إذ بالصحيفة تأتى فى يمينه فيصرخ بأعلى صوته ويجرى فى أرض المحشر، وهو يقول: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾، وتنادى عليه الملائكة وعلى أمثاله من أهل الجنة وتقول: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ١٩ :٢٤].

وأما إن كان عياذًا بالله من أهل النار فتقع الصحيفة فى شماله ويصرخ بأعلى صوته فى حسرة شديدة ويقول: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾، فيأمر الله الملائكة ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾.

يقول القرطبى: فيبتدره مائة ألف ملك، ثم تُجمع يده إلى عنقه فذلك قوله تعالى «فغلوه» «ثم الجحيم صلوه»، ثم أدخلوه النار العظيمة المتأججة ليصلَى حرها، ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٢٥ :٣٢].

أى ثم أدخلوه فى سلسلة حديدية طولها سبعون ذراعًا.

قال ابن عباس: بذراع الملك تدخل السلسلة من دُبره وتخرج من حلقه، ثم يُجمع بين ناصيته وقدميه، ثم ينظمونه كما يُنظم الجراد فى العود حين يُشوى.

قال كعب الأحبار: كل حلقة منها قدر حديد الدنيا، ولو سقطت حلقة منها على الأرض ما حملها أهل الأرض، ولماتوا جميعًا من نتن ريحها.

يا له من موقف عصيب يقع الكتاب بين يديك تقلب صفحاته تجد فيه المال الحرام الذى أكلته والزنا الذى فعلته وعقوق الوالدين والغيبة والنميمة والغش وشهادة الزور وهجر القرآن وترك الصلاة.

دعونى على نفسى أنوح وأندب ... بدمعٍ غزير وأكفٍ يتصببُ
دعونى على نفسى أنوح فإننى ... أخاف على نفسى الضعيفة تعطبُ
وإنى حقيق بالتضرع والبكا ... إذا ما هدأ النوام والليل غيهبُ
وجالت دواعى الحزن من كل جانب ... وغارت نجوم الليل وانقض كوكبُ
كفى أن عينى بالدموع بخيلة ... وإنى بآفات الذنوب معذبُ
فمن لى إذا نادى المنادى بمن عصى ... إلى أين إلجائى إلى أين أهربُ؟
وقد ظهرت تلك الفضائح كلها ... وقد قرب الميزان والنار تلهبُ
فيا طول حزنى ثم يا طول حسرتى ... لئن كنت فى قاع الجحيم أعذبُ
فقد فاز بالملك العظيم عصابة ... تبيت قياما فى دجى الليل ترهبُ
إذا أشرف الجبار من فوق عرشه ... وقد زُينت حور الجنان الكواعبُ
فناداهم سهلاً وأهلاً ومرحبا ... أبحت لكم دارى وما شئتم اطلبوا

فبادروا رحمكم الله فى هذه الأيام الشريفة، إلى محو السيئات من الصحيفة. . . . . . . . وأما المؤمن فيفتح كتابه فيجد فيه الصلاة والصيام والصدقة وبر الوالدين وقيام الليل والاستغفار وقراءة القرآن فينظر لإخوانه فى أرض المحشر ويقول ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ لماذا؟ ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾.

لقد علم أنه محاسب أمام ربه وأنه موقوف أمام الحق تبارك وتعالى فأعد للسؤال جوابا فكانت النتيجة ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾

* * *

# أما عن صفة الميزان

قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٧].

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١) فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠١ : ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف : ١٠٥].

## والقول فى الموزون على أربعة أوجه:

١ ـ أن الأعمال هى التى توزن وأن أفعال العباد تُجسّم فتوضع فى الميزان، قال الله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧:٨]

ويقول النبى ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»(١).

٢ ـ أن صحائف الأعمال هى التى توزن، يدل على ذلك حديث البطاقة عن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله سيخلّص رجلاً من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثلُ مدّ البصر، ثم يقول أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتى الحافظون؟ فيقول: لا يارب فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يارب. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنةً وإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول: أحضر وزنك. فيقول: يارب! ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: فإنك لا تُظلم فتوضع السجلات فى كفةٍ والبطاقة فى كفة فطاشت

(١) أخرجه مسلم عن أبى هريرة ـ باب فى فضائل التسبيح ـ كتاب الذكر.

السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء»[١].

٣ ـ أن الموزون ثواب العمل كما جاء فى حديث أبى أمامة الباهلى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرأوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهم غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما. . . . . . اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة»[٢]. قال معاوية: بلغنى أن البطلة: السحرة.

قال الترمذى رحمه الله تعالى: معنى هذا الحديث عند أهل العلم إنه يجيء ثواب قراءته.

٤ ـ أن الموزون هو العامل نفسه والدليل على ذلك ما جاء عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: كنت أجتنى لرسول الله ﷺ من الأراك (ليأتيه بالسواك) قال: فضحك القوم من دقة ساقى فقال النبى ﷺ مم تضحكون؟ قالوا: من دقة ساقيه. فقال: «والذى نفسى بيده لهى أثقل فى الميزان من أُحد»[٣] أى من جبل أحد.

وفى المقابل يقول النبى ﷺ «إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة اقرءوا: ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾»[٤].

والذى استظهر من النصوص والله أعلم أن العامل وعمله وصحيفة عمله كل ذلك يوزن بالجمع بين النصوص ولا منافاة بينهم والله أعلم[٥].

يقول صاحب الإحياء رحمه الله: واعلم أنه لا ينجو من خطر الميزان إلا من حاسب فى الدنيا نفسه ووزن فيها بميزان الشرع أعماله وأقواله وخطراته ولحظاته كما قال عمر ﷺ: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا. وإنما

---

(١) رواه أحمد والترمذي والحاكم عن ابن عمرو وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٧٦).

(٢) أخرجه مسلم - باب في قراءة القرآن وسورة البقرة وآل عمران من كتاب فضائل القرآن.

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٤٢٠-٤٢١) والطيالسي (٣٥٥) - وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٧٥٠).

(٤) أخرجه مسلم عن أبي هريرة باب في قوله تعالى: ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ - كتاب التفسير.

(٥) معارج القبول لحافظ بن أحمد الحكي - (جـ ٢ ، صـ ١٨٢ : ١٨٥) بتصرف.

حسابه لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحًا ويتدارك ما فرط من تقصيره فى فرائض الله تعالى، ويرد المظالم حبة بعد حبة، ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه، ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه مظلمة ولا فريضة، فهذا يدخل الجنة بغير حساب، وإن مات قبل ردّ المظالم أحاط به خصماؤه، فهذا يأخذ بيده، وهذا يقبض على ناصيته، وهذا يتعلق بلببه، هذا يقول ظلمتنى، وهذا يقول شتمتنى، وهذا يقول استهزأت بى، وهذا يقول ذكرتنى فى الغيبة بما يسوءنى، وهذا يقول جاورتنى فأسأت جوارى، وهذا يقول عاملتنى فغششتنى، وهذا يقول بايعتنى فغبنتنى وأخفيت عنى عيب سلعتك، وهذا يقول كذبت فى سعر متاعك، وهذا يقول رأيتنى محتاجًا وكنت غنيًا فما أطعمتنى، وهذا يقول وجدتنى مظلومًا وكنت قادرًا على دفع الظلم عنى فداهنت الظالم وما راعيتنى. فبينا أنت كذلك وقد انشب الخصماء فيك مخالبهم وأحكموا فى تلابيبك أيديهم وأنت مبهوت متحير من كثرتهم - حتى لم يبق فى عمرك أحد عاملته على درهم أو جالسته فى مجلس إلا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة أو خيانة أو نظر بعين استحقار، وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله يخلصك من أيديهم - إذ قرع سمعك نداء الجبار جل جلاله: ﴿**الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ**﴾ [غافر: ١٧].

فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار، وتتذكر ما أنذرك الله تعالى على لسان رسوله حيث قال: ﴿**وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣) وَأَنذِرِ النَّاسَ**﴾ [إبراهيم: ٤٢: ٤٤].

فما أشدّ فرحك اليوم بتمضمضك بأعراض الناس وتناولك أموالهم! وما أشدّ حسراتك فى ذلك اليوم إذا وقف ربك على بساط العدل وشوفهت بخطاب السياسة وأنت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على أن ترد حقًا أو تظهر عذرًا؟ فعند ذلك تؤخذ حسناتك التى تعبت فيها عمرك وتُنقل إلى خصمائك عوضًا عن حقوقهم. قال رسول الله ﷺ: «هل تدرون من المفلس؟» قلنا: المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا دينار ولا متاع، قال: «المفلس من أمتى من يأتى

يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ثم طُرح فى النار»(١). فانظر إلى مصيبتك فى مثل هذا اليوم إذ ليس يسلم لك حسنة من آفات الرياء ومكايد الشيطان، فإن سلمت حسنة واحدة من كل مدة طويلة ابتدرها خصماؤك وأخذوها، ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل، لعلمت أنه لا ينقضى عنك يوم إلا ويجرى على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفى جميع حسناتك! فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام والشبهات والتقصير فى الطاعات؟ وكيف ترجو الخلاص من المظالم فى يوم يُقتص فيه للجمّاء من القرناء؟ فقد روى أبو ذرّ: أن رسول الله ﷺ رأى شاتين ينتطحان فقال: «يا أبا ذرّ أتدرى فيم ينتطحان؟» قلت: لا، قال: «ولكن الله يدرى وسيقضى بينهما يوم القيامة»(٢).

وقال أبو هريرة فى قوله عز وجل: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨]. أنه يحشر الخلق كلهم يوم القيامة - البهائم والدواب والطير وكل شيء - فيبلغ من عدل الله تعالى أن يأخذ للجماء من القرناء، ثم يقول كونى ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا. فكيف حالك يا مسكين فى يوم ترى صحيفتك خالية من حسنات طال فيها تعبك فتقول: أين حسناتى؟ فيقال: نقلت إلى صحيفة خصمائك. وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال فى الصبر عنها نصبك واشتدّ بسبب الكف عنها عناؤك فتقول: يارب هذه سيئات ما قارفتها قط! فيقال هذه سيئات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم فى المبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر أصناف المعاملة.

قال الزبير: والله إن الأمر شديد. فأعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن لطمة ولا عن كلمة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم.

---

(١) أخرجه مسلم وأحمد والترمذي عن أبي هريرة - صحيح الجامع (٨٧).
(٢) أخرجه أحمد عن أبي ذر (٥/ ١٦٢) بإسناد صحيح.

فاتقوا الله عباد الله، ومظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق فى معاشرتهم، فإن ما بين العبد وبين الله خاصة فالمغفرة إليه أسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أرباب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليُسر ببعض الحسنات بينه وبين الله بكمال الإخلاص بحيث لا يطلع عليه إلا الله، فعساه يقربه ذلك إلى الله تعالى فينال به لطفه الذى ادخره لأحبابه المؤمنين فى دفع مظالم العباد عنهم، كما روى عن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال: بينما رسول الله ﷺ جالس إذ رأيناه يضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر: ما يضحكك يا رسول الله بأبى أنت وأمى؟ قال: «رجلان من أمتى جثيا بين يدى رب العزة فقال أحدهما: يارب خذ لى مظلمتى من أخى، فقال الله تعالى: أعط أخاك مظلمته قال: يارب لم يبق من حسناتى شىء، فقال الله تعالى للطالب: كيف تصنع ولم يبق من حسناته شىء قال: يارب يتحمل عنى من أوزارى» قال: وفاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء ثم قال: «إن ذلك ليوم عظيم تحتاج الناس إلى أن يُحمل عنهم من أوزارهم»، قال: «فقال الله للطالب ارفع رأسك فانظر فى الجنان فرفع رأسه فقال: يارب أرى مدائن من فضة مرتفعة وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ....... لأى نبى هذا أو لأى صديق هذا؟ أو لأى شهيد هذا؟ قال لمن أعطانى الثمن، قال: يارب ومن يملك الثمن؟ قال: أنت تملكه، قال: وما هو؟ قال عفوك عن أخيك، قال: يارب إنى قد عفوت عنه، قال الله تعالى: خذ بيد أخيك فأدخله الجنة ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: «اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يُصلح بين المؤمنين»[1]، وهذا تنبيه على أن ذلك إنما ينال بالتخلق بأخلاق الله وهو إصلاح ذات البين وسائر الأخلاق.

وروى الحسن أن رسول الله ﷺ كان رأسه فى حجر عائشة ﵂ فنعس، فذكرت الآخرة فبكت حتى سال دمعها فنقط على خد رسول الله ﷺ فانتبه فقال: «ما يبكيك يا عائشة؟» قالت: ذكرت الآخرة هل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ قال: «والذى نفسى بيده فى ثلاث مواطن فإن أحداً لا يذكر إلا نفسه: إذا وضعت

(١) الحديث بطوله أخرجه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله والحاكم في المستدرك - وأورده ابن كثير في تفسيره (جـ٢، صـ٢٧٣) من رواية أبي يعلى.

الموازين ووزنت الأعمال حتى ينظر ابن آدم أيخف ميزانه أم يثقل. وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ كتابه أو بشماله، وعند الصراط»[1].

وعن أنس: «يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتى الميزان ويوكل به ملك، فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يُسمع الخلائق........ سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدًا، وإن خف ميزانه نادى بصوت يُسمع الخلائق...... شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً. وعند خفة كفة الحسنات تقبل الزبانية وبأيديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون نصيب النار إلى النار».

فتفكر الآن فى نفسك إن خلت صحيفتك عن المظالم أو تلطف لك حتى عفا عنك وأيقنت بسعادة الأبد: كيف يكون سرورك فى منصرفك من مفصل القضاء وقد خلع عليك خلعة الرضا وعدت بسعادة ليس بعدها شقاء وبنعيم لا يدور بحواشيه الفناء؟ وعند ذلك طار قلبك سروراً وفرحًا وابيض وجهك واستنار وأشرق كما يشرق القمر ليلة البدر، فتوهم تبخترك بين الخلائق رافعًا رأسك خاليًا عن الأوزار ظهرك، ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضا يتلألأ من جبينك، وخلق الأولين والآخرين ينظرون إليك وإلى حالك ويغبطونك فى حسنك وجمالك، والملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك وينادون على رؤوس الأشهاد: هذا فلان ابن فلان رضي الله عنه وأرضاه وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدًا! أفترى أنّ هذا المنصب ليس بأعظم من المكانة التى تنالها فى قلوب الخلق فى الدنيا بريائك ومداهنتك وتصنعك وتزينك؟ فإن كنت تعلم أنه خير منه بل لا نسبة له إليه فتوسل إلى إدراك هذه الرتبة بالإخلاص الصافى والنية الصادقة فى معاملتك مع الله فلن تدرك ذلك إلا به.

وإن تكن الأخرى والعياذ بالله بأن خرج من صحيفتك جريمة كنت تحسبها هينة وهى عند الله عظيمة فمقتك لأجلها فقال: عليك لعنتى يا عبد السوء لا أتقبل منك عبادتك، فلا تسمع هذا النداء إلا ويسود وجهك، ثم تغضب الملائكة لغضب الله تعالى فيقولون: وعليك لعنتنا ولعنة الخلائق أجمعين، وعند ذلك تنثال إليك الزبانية وقد غضبت لغضب خالقها فأقدمت عليك بفظاظتها وزعارتها

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥٥) من رواية الحسن وإسناده جيد.

وصورها المنكرة، فأخـذوا بناصيتك يسحبونك على وجـهك على ملأ الخلق وهم ينظرون إلى اسوداد وجهك وإلى ظهور خزيك، وأنت تنادى بالويل والثبور، وهم يقولون لك: لا تدع اليوم ثبوراً واحداً وادع ثبـوراً كثيراً وتنادى الملائكة ويقولون: هذا فلان ابن فلان كشف الله عـن فضائحه ومخازيه ولعنه بقبائـح مساويه فشقى شقاوة لا يسعد بعدها أبداً، . . . . . . . . . وربما يكـون ذلك بذنب أذنبته خفية من عباد الله أو طـلبًا للمكانة فى قلوبهم أو خـوفًا من الافتضاح عندهـم، فما أعظم جهلك إذ تحترز عن الافتضاح عند طائفة يسيرة من عباد الله فى الدنيا المنقرضة ثم لا تخشى مـن الافتضاح الـعظيم فى ذلك الملأ العظيـم من التعرّض لسـخط الله وعقابه الأليم والسـياق بأيدى الزبانية إلى سواء الجحيم، فـهذه أحوالك وأنت لم تشعر بالخطر الأعظم[1].

فتجهـز يا أخى بالعمل الصالح وتجهز للوقـوف بين يدى الله عز وجل وراقب الله في السر والعلن، فإنه سـبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك : ١٢]،

بل تأمل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٣٠ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام : ٣٠ : ٣١].

تأتى يوم القيامـة تحمل على ظهرك السرقة والذنوب والمعـاصى فتلقى الله بكل هذا الذى تحمله، فإن سألك الحق تبارك وتـعالى عن تلك الذنوب فبم تجيب وبأى شىء تتكلم؟

قال الله تعالى «وعزتى وجلالى لا أجمع لعبدى أمنين ولا خوفين إن هو أمننى فى الدنيـا أخفتـه يوم أجمع عبـادى، وإن هو خافنى فى الـدنيا أمنته يـوم أجمع عبادى»[2].

---

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي جـ٥ - كتاب ذكر الموت وما بعده - صفة الميزان - صـ ٢٢٣ : ٢٢٧ بتصرف.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٣٢).

فاحرص على أن تملأ ميزانك بالعمل الصالح واجعل جوارحك تكد وتتعب فى طاعة الله فإنها ستنطق يوم القيامة واملأ صحيفتك بالعمل الصالح والكلام الطيب فإن فعلت فأنت كما قال القائل: «فزت ورب الكعبة»، وأما إن خالفت وملأت ميزانك بمعصية الله جل وعلا وأتعبت جوارحك فى الباطل وملأت صحيفتك بالعمل السيىء والقول السيىء فستكون الحسرة فى الدنيا وفى الآخرة وسيكون لسان الحال والمقال: «يا ليتنى لم أوت كتابيه» ويا لها من حسرة!!

## الصراط وأهواله

ثم تفكر بعد هذه الأهوال فى قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم:٨٥:٨٦]، وفى قوله تعالى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٣:٢٤] فالناس من بعد هذه الأهوال يساقون إلى الصراط - وهو جسر ممدود على متن النار أحدّ من السيف وأدق من الشعر - فمن استقام فى هذا العالم على الصراط المستقيم خفّ على صراط الآخرة ونجا. ومن عدل عن الاستقامة فى الدنيا وأثقل ظهره بالأوزار وعصى تعثر فى أوّل قدم من الصراط وتردى. فتفكر الآن فيما يحل من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقته، ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته، ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها، وقد كُلفت أن تمشى على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالأوزار المانعة لك عن المشى على بساط الأرض فضلاً عن حدّة الصراط، فكيف بك إذا وضعت عليه إحدى رجليك فأحسست بحدّته، واضطررت إلى أن ترفع القدم الثانية والخلائق بين يديك يزلون ويتعثرون، وتتنازلهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب، وأنت تنظر إليهم كيف يتنكسون فتتسفل إلى جهة النار رؤوسهم وتعلو أرجلهم، فيا له من منظر ما أفظعه ومُرتقى ما أصعبه ومجاز ما أضيقه! فانظر إلى حالك وأنت تزحف عليه وتصعد إليه وأنت مثقل الظهر بأوزارك، تلتفت يمينًا وشمالاً إلى الخلق وهم يتهافتون فى النار والرسول ﷺ يقول: «يارب سلم سلم» والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت إليك من قعر جهنم لكثرة من زل الصراط من الخلائق، فكيف بك لو زلت قدمك ولم ينفعك ندمك؟ فناديت بالويل والثبور وقلت: هذا

ما كنت أخافه فيا ليتني قدّمت لحياتي! يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً! يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانًا خليلاً! يا ليتني كنت ترابًا! يا ليتني كنت نسيًا منسيًا! يا ليت أمي لم تلدني! وعند ذلك تختطفك النيران - عياذًا بالله - وينادي المنادي: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

فلا يبقى سبيل إلا الصياح والأنين والتنفس والاستغاثة، فكيف ترى الآن عقلك وهذه الأخطار بين يديك؟ فإن كنت غير مؤمن بذلك فما أطول مقامك مع الكفار في دركات جهنم، وإن كنت به مؤمنًا وعنه غافلاً وبالاستعداد له متهاونًا فما أعظم خسرانك وطغيانك وماذا ينفعك إيمانك إذا لم يبعثك على السعي في طلب رضا الله تعالى بطاعته وترك معاصيه! فلو لم يكن بين يديك إلا هول الصراط وارتياع قلبك من خطر الجواز عليه - وإن سلمت - فناهيك به هولاً وفزعًا ورعبًا!.

قال ﷺ: «ويُضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان؟» قالوا: نعم يا رسول الله قال: «فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بقي بعمله ومنهم المخردل أو المجازى أو نحوه»(١).

وقال ﷺ: «ثم يُضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: «دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناجٍ مسلّم ومخدوش مُرسَل ومكدوسٌ في نار جهنم» وفي رواية أخرى قال ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناسٌ أصابتهم النار بذنوبهم (أو قال بخطاياهم) فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحمًا أُذن بالشفاعة»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة (٧٤٣٧) - باب قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ - كتاب التوحيد.

(٢) أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري (٣٠٢/ ١٨٣) (٣٠٦/ ١٨٥) باب معرفة طريق الرؤية، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار - كتاب الإيمان.

## وقال الإمام ابن رجب الحنبلي في كتاب التخويف من النار:

واعلم أن الناس منقسمون إلى مؤمن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا، ومشرك يعبد مع الله غيره، فأما المشركون فإنهم لا يمرون على الصراط، وإنما يقعون فى النار قبل وضع الصراط، ويدل على ذلك ما فى «الصحيحين» عن أبى هريرة عن النبى ﷺ، قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه فيتبع الشمس من يعبدها، ويتبع القمر من يعبد القمر، ويتبع الطواغيت من يعبد الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها» فذكر الحديث إلى أن قال: «ويُضرب الصراط بين ظهرانى جهنم، فأكون أنا وأمتى أول من يجيزه».

وفيهما أيضًا عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة أذّن مؤذن: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون فى النار، حتى إذا لم يبق من كان يعبد الله من بر وفاجر وغير أهل الكتاب، فتُدعى اليهود، فيقال: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عُزير ابن الله، فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون، فيُحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا فيتساقطون فى النار، ثم تُدعى النصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ماذا تبغون، فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا، قال: فيشار إليهم ألا تردون فيُحشرون إلى جهنم، كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا، فيتساقطون فى النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين» فذكر الحديث إلى أن قال: «فيُكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقًا واحدًا كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول من صورته التى رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، ثم يُضرب الجسر على جهنم» وذكر الحديث.

فهذا الحديث صريح فى أن كل من أظهر عبادة شيء سوى الله كالمسيح والعُزير

من أهل الكتاب فإنه يلحق بالمشركين في الوقوع في النار قبل نصب الصراط، إلا أن عبّاد الأصنام والشمس والقمر وغير ذلك من المشركين تتبع كل فرقة منهم ما كانت تعبد في الدنيا، فترد النار مع معبودها أولاً؛ وقد دل القرآن على هذا المعنى في قوله تعالى في شأن فرعون ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [هود : ٩٨].

وأما من عبد المسيح والعزير من أهل الكتاب فإنهم يتخلفون مع أهل الملل المنتسبين إلى الأنبياء ثم يردون في النار بعد ذلك.

وقد ورد في حديث آخر أن من كان يعبد المسيح يمثل له شيطان المسيح فيتبعونه، وكذلك من كان يعبد العزير.

وفي حديث الصور أنه يمثل لهم ملك على صورة المسيح وملك على صورة العزير، ولا يبقى بعد ذلك إلا من كان يعبد الله وحده في الظاهر، سواء كان صادقًا أو منافقًا من هذه الأمة وغيرها، ثم يتميز المنافقون عن المؤمنين بامتناعهم من السجود، وكذلك يمتازالمؤمنون بنورهم فوق الصراط.

كان أبو سليمان يقول: إذا سمعت الرجل يقول لآخر: بيني وبينك الصراط، فاعلم أنه لا يعرف الصراط ولا يدري ما هو، فلو عرف الصراط أحب أن لا يتعلق بأحد ولا يتعلق به أحد.

وكان أبو مسلم الخولاني يقول لامرأته: يا أم مسلم شدي رحلك فليس على جسر جهنم معبر.

وروي أن رجلاً كان شابًا أسود الرأس واللحية، فنام ليلة، فرأى في نومه كأن الناس حُشروا وإذا بنهر من لهب النار، وإذا جسر يجوز الناس عليه يُدعون بأسمائهم، فإذا دُعي الرجل أجاب فناجٍ وهالك، قال: فدعاني باسمي فدخلت في الجسر، فإذا حده كحد السيف يمور بي يمينًا وشمالاً، قال: فأصبح الرجل أبيض اللحية والرأس مما رأى.

وسمع أسود بن سالم رجلاً ينشد هذين البيتين:

أمامي موقف قدام ربي ... يسائلني وينكشف الغطاء

وحسبي أن أمر على صراط ... كحد السيف أسفله لظاء

فُغشي عليه.

وقال سهل التُسترى: من دق عليه الصراط فى الدنيا عرض له فى الآخرة، ومن عرض عليه الصراط فى الدنيا دق عليه فى الآخرة. ومعنى هذا أن من ضيق على نفسه فى الدنيا باتباع الأمر واجتناب النهى وهو حقيقة الاستقامة على الصراط المستقيم فى الدنيا، كان جزاؤه أن يتسع له الصراط فى الآخرة، ومن وسّع على نفسه فى الدنيا باتباع الشهوات المحرمة والشبهات المضلة حتى خرج عن الصراط المستقيم ضاق عليه الصراط فى الآخرة، بحسب ذلك، والله أعلم.

رأى بعض السلف رجلاً يضحك، فقال له: ما أضحكك؟ إنك لن تقر عينك أبدًا حتى تترك جهنم وراءك[1].

فهذه أهوال الصراط وعظائمه، فطوّل فيه فكرك فإنّ أسلم الناس من أهوال يوم القيامة من طال فيها فكره فى الدنيا، فإن الله لا يجمع بين خوفين على عبد، فمن خاف هذه الأهوال فى الدنيا أمنها فى الآخرة، ولست أعنى بالخوف رقة كرقة النساء تدمع عينك ويرق قلبك حال السماع ثم تنساه على القرب وتعود إلى لهوك ولعبك؟ فهذا ليس من الخوف فى شيء! بل إن من خاف شيئًا هرب منه، ومن رجا شيئًا طلبه. فلا ينجيك إلا خوفٌ يمنعك عن معاصى الله تعالى ويحثك على طاعته.

فلا تكن ممن قال استعنت بالله.... نعوذ بالله..... اللهم سلم سلم. وهم مع ذلك مصرون على المعاصى التى هى سبب هلاكهم. فالشيطان يضحك من استعاذتهم. كما يضحك على من يقصده سبع ضار فى صحراء ووراءه حصن،

---

(١) التخويف من النار للإمام ابن رجب الحنبلي - (صـ ١٨٦ : ١٨٧) بتصرف.

فإذا رأى أنياب السبع وصولته من بُعد قال بلسانه: أعوذ بهذا الحصن الحصين وأستعين بشدّة بنيانه وإحكام أركانه؟ فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد فى مكانه فأنّى يغنى عنه ذلك من السبع. . . . . . . . وكذلك أهوال الآخرة ليس لها حصن إلا قول: «لا إله إلا الله» صادقًا ومعنى صدقه أن لا يكون له مقصود سوى الله تعالى ولا معبود غيره. ومن اتخذ إلهه هواه فهو بعيد عن الصدق فى التوحيد وأمره مخطر فى نفسه، فإن عجزت عن ذلك كله فكن محبًا لرسول الله ﷺ حريصًا على تعظيم سنته ومتشوقًا إلى مراعاة قلوب الصالحين من أمته ومتبركًا بأدعيتهم فعساك أن تنال من شفاعته أو شفاعتهم فتنجو بالشفاعة إن كنت قليل البضاعة[1].

* * *

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ـ (جـ ٥ ، صـ ٢٢٩).

# القنطرة والقصاص بين المؤمنين

إنها القنطرة التى لا يعلم عنها الكثير من الناس شيئًا. فهى القنطرة التى يقتص فيها المؤمنون من بعضهم البعض. . . . . . . فبعد خروجك من تلك الأهوال التى تحدثنا عنها وبعد مرورك من على الصراط تظن أن الأمر قد انتهى عند ذلك ولم يبق سوى دخولك الجنة وفجأة تجد نفسك على قنطرة المظالم التى قال عنها النبى ﷺ «إذا خلص المؤمنون من النار حبُسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا نُقّوا وُهّذبوا أُذن لهم بدخول الجنة فوالذى نفس محمدٍ بيده لأحدهم بمسكنه فى الجنة أدل منه بمسكنه كان له فى الدنيا»[1].

قال القرطبى فى التذكرة: ومعنى «ويخلص المؤمنون من النار» أى يخلصون من الصراط المضروب على النار ودل هذا الحديث على أن المؤمنين فى الآخرة مختلفوا الحال.

قال مقاتل: إذا قطعوا جسر جهنم حُبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيُقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هُذبوا وطُيبوا قال لهم رضوان وأصحابه سلامٌ عليكم بمعنى التحية طبتم فادخلوها خالدين.

ويا لها من حسرة شديدة أن تجد نفسك أمام من يأخذ حسناتك من أجل المظالم التى كانت بينكم فى الدنيا. . . . . . هذا يقول لك لقد اغتبتنى وهذا يقول لقد سرقتنى وهذا يقول . . ومن أجل ذلك أقول لك ياأخى إياك ومظالم العباد وإياك أن تبيت ليلة ولأحد عندك مظلمة وإن كان هذا الإنسان كافراً فإن دعوة المظلوم مستجابة يرفعها اللّه فوق الغمام ويقول وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين. . . . . . . . قال ﷺ «اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً فإنه ليس دونها حجاب»[2].

وقد يسأل سائل ويقول ما الفرق بين القصاص عند الميزان وبين القصاص على تلك القنطرة؟

---

(١) أخرجه البخارى ـ عن أبى سعيد الخدرى ـ كتاب المظالم ـ باب قصاص المظالم (٢٤٤٠).

(٢) رواه أحمد وأبو يعلى عن أنس وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١١٩).

والجواب أن القصاص عند الميزان قد يكون بين مؤمن ومؤمن أو بين كافرٍ وكافر، أو بين مؤمن وكافرٍ، وهذا القصاص قد يؤدى إلى فناء حسنات أهل الظلم الذين هم أهل الظلمات يوم القيامة وبالتالى فيكون مصيرهم إلى النار وبئس المصير وقد لا يصل إلى فناء الحسنات ولكنه يُنقص منها بقدر المظالم التى ظلمها للناس وهذا ينقص من درجته فى الجنة.

وإذا اقتص الحق تبارك وتعالى من المؤمن إلى الكافر فإن حسنات المؤمن تنقص بقدر المظلمة ولكنها لا تُحسب لهذا الكافر لأن الكافر ليس له رصيد يوضع فيه تلك الحسنات لأن الكفر يحبط العمل كله .

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥] وقال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣].

أما المظالم التى على القنطرة فهى بين المؤمنين الذين يدخلون الجنة فيقتص كل واحد منهم من الآخر بقدر مظلمته فيزداد ويرتفع المظلوم درجة فى الجنة ويخسر الظالم درجة فى الجنة فيا لها من حسرة فإياك ومظالم العباد!!.

## دخول فقراء المؤمنين الجنة قبل الأغنياء

وبعد أن تمر تلك الشدائد والصعاب لا يبقى أمامك إلا دخول الجنة وهنا يدخل النبى ﷺ الجنة ومعه فقراء المهاجرين قبل الأغنياء بنصف يوم أي بخمسمائة عام كما قال النبى ﷺ:

«فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام» (١).

ومن هنا تدرك أيها المسلم قيمة الإيمان والفقر فإن الإيمان دليلك إلى الجنة والفقر مع الإيمان يكون سببًا فى دخولك الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام.

لأن الفقير قد تحمّل فى الدنيا الكثير والكثير وانكسر فؤاده من الحرمان فشاء اللّه بعدله ورحمته وحكمته أن يعوضه فى الآخرة بالسبق إلى دخول الجنة قبل الأغنياء

---

(١) رواه الترمذى وأحمد عن أبى سعيد وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٢٢٨).

المؤمنين. ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[فصلت:٤٦].

فيا لها من حسرة على كل من شغل نفسه وعكف طوال عمره على جمع المال وتحصيل الثروات ثم يأتى يوم القيامة وهو الذى أطاع الله وأنفق ماله فى سبيل الله فيحبس عن دخول الجنة خمسمائة عام ثم يأذن الحق تبارك وتعالى بدخول الأغنياء إلى الجنة.

فإذا علمت هذا أيها الأخ الكريم وتيقنت من كل ماسمعت فاحرص على جمع الحسنات والطاعات فهى التجارة الرابحة فى الدنيا والآخرة فالطاعة تقربك من الجنة أما المال فقد يحول بينك وبين الله وقد يؤخرك عن دخول الجنة خمسمائة عام. ولذا يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

ثم قال بعد ذلك ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾

[الكهف:٤٦]

وليس معنى ذلك أن تترك الدنيا ولا تعمل !! ولكن المقصود أن تأخذ من الدنيا مايغنيك عن سؤال الناس ويكفيك فى معيشتك وأن تزهد فيما يزيد عن ذلك ولا تجعل مقصودك هو جمع الأموال وبناء الدور والخوف على المستقبل فإن الأمر كله بيد الله فاحرص على دينك أشد من حرصك على دنياك فإن الله قد أمرك بالطاعة وتكفل لك بالرزق فاشتغل بماأمرك الله به قبل أن تتحسر على التفريط فى زمن البدر!! ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ⑩ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ⑪ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[الصف: ١٠:١٢].

## دخول طائفة إلى الجنة بغير حساب (والحسرة لغيرهم)

يقول النبى ﷺ: «عُرضت علىّ الأمم فرأيت النبى ومعه الرهط والنبى ومعه الرجل والرجلان والنبى وليس معه أحد إذ رُفع لى سواد عظيم فظننت أنهم أمتى فقيل لى: هذا موسى وقومه ولكن انظر إلى الأفق فإذا سواد عظيم فقيل لى انظر إلى الأفق الآخر فإذا سوادٌ عظيم فقيل لى: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا

يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب. . . . . . هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون»[1].

فيا له من فضل عظيم لكل من حقق التوكل على الله ـ جل وعلا ـ فلم يسأل غير الله ولم يستعن بغير الله وأيقن أن النفع والضر بيد الله وحده ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [ فاطر: ١٠ ].

فالعز في كنف العزيز ومن عَبَد العبيد أذله الله

وروى ابن منجويه فى تفسيره.

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تُنصب الموازين يوم القيامة، فيؤتى بأهل الصلاة، فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الصيام؛ فيوفون أجورهم بالموازين؛ ويؤتى بأهل الصدقة، فيوفون أجورهم بالموازين؛ ويؤتى بأهل الحج، فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل البلاء، فلا يُنصب لهم ميزان، ولا يُنشر لهم ديوان، ويُصب عليهم الأجر صبًا بغير حساب ثم قرأ ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠) حتى يتمنى أهل العافية فى الدنيا، أن أجسادهم تُقرض بالمقارض، مما يذهب به أهل البلاء من الفضل».

فهل جنّدت نفسك يا عبد الله لتكون واحدًا من هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب. . . . . . . والله إنك إن لم تجند نفسك من الآن لزادت حسرتك يوم القيامة عندما يأمر الله عز وجل ملائكته بأن يُدخلوهم الجنة بغير حساب ولاعذاب وأنت لا تدرى ماذا يفعل بك فتوجه إلى الله واسأله بصدق وإخلاص أن يجعلك منهم واجتهد فى طاعة الله عساك تدرك أهل السعادة.

## ذبح الموت وخلود أهل الجنة وأهل النار

فعن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «يؤتى بالموت كهيئة كبشٍ أملح فينادى منادٍ: يا أهل الجنة! فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم . هذا الموت وكلهم قد رأوه ثم ينادى: يا أهل النار! فيشرئبون

(١) متفق عليه عن ابن عباس ـ صحيح الجامع (٣٩٩٩).

وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت. وكلهم قد رآه فيُذبح. ثم يقول . يا أهل الجنة ! خلودٌ فلا موت ويا أهل النار ! خلود فلا موت ثم قرأ: وأنذرهم يوم الحسرة إذ قُضى الأمر وهم فى غفلة (وهؤلاء فى غفلة أهل الدنيا) وهم لا يؤمنون»[1] .

وفى رواية أخرى فى الصحيحين عن ابن عمر قال: قال رسول اللّه ﷺ «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جئ بالموت حتى يُجعل بين الجنة والنار ثم يُذبح ثم ينادى منادٍ يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم».

فيا لها من حسرة شديدة حيث يعلم الإنسان أنه من المخلدين فى النار فلا ماله ينفعه ولا ولده يشفع له ولا منصب ينجيه ولذا يقول أحد الصالحين واللّه لو علم أهل النار أنهم يمكثون فى النار مليون سنة لكانوا أسعد الناس فتعجب أحدهم وقال كيف ذلك؟ فقال له الرجل لأنهم يعلمون أنهم سيخرجون بعد مليون سنة ولكنهم سيخلدون فى النار .

واللّه إن أجسادنا لضعيفة لا تتحمل نار الدنيا فكيف بنار الآخرة التى هى أشد من نار الدنيا بسبعين مرة. . . . . . . أُوقد عليها ألف عام حتى احمرت وألف عام حتى ابيضت وألف عام حتى اسودت فهى الآن سوداء قاتمة!!

فيالها من فرحة شديدة لأهل الجنان عندما يعرفون أنهم مخلدون فى الجنة يشربون من أنهارها ويأكلون من ثمارها وأشجارها ويتلذذون بالحور العين ثم يتم لهم النعيم الأعظم برؤية وجه اللّه عز وجل ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة ٢٢:٢٣]

## استغاثة أهل النار

وقبل أن نتحدث عن استغاثة أهل النار لا بد أن نعلم ولو شيئًا يسيرًا عن النار حتى نعلم ماذا أعد اللّه لكل من عصاه وخالف أمره.

فيا أيها الغافل عن نفسه المغرور بما فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على

(١) متفق عليه عن أبى سعيد الخدرى ـ صحيح الجامع (٥٢٢).

الانقضاء والزوال، دع التفكر فيما أنت مرتحل عنه واصرف الفكر إلى موردك فإنك أُخبرت بأن النار مورد للجميع إذ قيل: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم ٧١: ٧٢] .

فأنت من الورود على يقين ومن النجاة فى شك. فاستشعر فى قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعد للنجاة منه، وتأمل فى حال الخلائق وقد قاسوا من دواهى القيامة ما قاسوا، فبينما هم فى كربها وأهوالها وقوفًا ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيع شفعائها إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب، وأظلت عليهم نار ذات لهب، سمعوا لها زفيراً وجرجرة تُفصح عن شدة الغيظ والغضب، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجثت الأمم على الركب حتى أشفق الأتقياء من سوء المنقلب. وخرج المنادى من الزبانية قائلا: أين فلان بن فلان المسوّف نفسه فى الدنيا بطول الأمل المضيع عمره فى سوء العمل؟ فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظائم التهديد ويسوقونه إلى العذاب الشديد، وينكسونه فى قعر الجحيم ويقولون له: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩].

فأسكنوا داراً ضيقة الأرجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك، يخلد فيها الأسير ويوقد فيها السعير، شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم، الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم، أمانيهم فيها الهلاك وما لهم منها فكاك، قد شُدت أقدامهم إلى النواصى واسودت وجوههم من ظلمة المعاصى، ينادون من أكنافها ويصيحون فى نواحيها وأطرافها يا مالك قد حق علينا الوعيد. يا مالك قد أثقلنا الحديد. يا مالك قد نضجت منا الجلود. يا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود. فتقول الزبانية: هيهات لات حين أمان! ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسأوا فيها ولا تكلمون، ولو أخرجتم منها لكنتم إلى ما نُهيتم عنه تعودون فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا فى جنب الله يتأسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف، بل يكبون على وجوههم مغلولين. . . . . . طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار، فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل، فهم يتجلجلون فى مضايقها ويتحطمون فى دركاتها ويضطربون بين غواشيها، تغلى بهم النار كغلى القدور ويهتفون بالويل والعويل. ومهما دعوا

بالثبور صُبَّ من فوق رؤوسهم الحميم يُصهر به ما فى بطونهم والجلود، ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم فيتفجر الصديد من أفواههم وتنقطع من العطش أكبادهم، وتسيل على الخدود أحداقهم ويسقط من الوجنات لحومها ويتمعط من الأطراف شعورها بل جلودها. كلما نضجت جلودهم بُدلوا جلودًا غيرها، قد عريت من اللحم عظامهم فبقيت الأرواح منوطة بالعروق، وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون قد أُعميت أبصارهم وأُبكمت ألسنتهم، وقُصمت ظهورهم، وكُسرت عظامهم، وجُدعت آذانهم، ومُزقت جلودهم، وغُلت أيديهم إلى أعناقهم، وجمع بين نواصيهم وأقدامهم. وهم يمشون على النار بوجوههم ويطأون حسك الحديد بأحداقهم، فلهيب النار سار فى بواطن أجزائها وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم. هذا بعض جملة أحوالهم.

ثم انظر إلى تفاوت الدركات فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً فكما أن إكباب الناس على الدنيا يتفاوت فمن منهمك مستكثر كالغريق فيها، ومن خائض فيها إلى حد محدود، فكذلك تناول النار لهم متفاوت فإن الله لا يظلم مثقال ذرة، فلا تترادف أنواع العذاب على كل من فى النار كيفما كان، بل لكل واحد حدّ معلوم على قدر عصيانه وذنبه، إلا أن أقلهم لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما هو فيه.

قال رسول الله ﷺ: «أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة رجل يوضع فى أخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه»[1] فانظر الآن إلى من خُفف عليه واعتبر بمن شُدد عليه. ومهما تشككت فى شدة عذاب النار فقرب أصبعك من النار وقس ذلك به. ثم اعلم أنك أخطأت فى القياس فإن نار الدنيا لا تناسب نار جهنم، ولكن لما كان أشد عذاب فى الدنيا هو عذاب النار عُرف عذاب جهنم بها وهيهات! لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها طائعين هربًا مما هم فيه. . . . . . . . قيل فى بعض الأخبار: «إن نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى أطاقها أهل الدنيا»، وقال رسول الله ﷺ: «اشتكت النار إلى ربها فقالت يا رب أكل بعضى بعضًا فأذن لها فى نفسين نفسٌ فى الشتاء ونفسٌ فى الصيف فأشد ما تجدونه فى الصيف من حرها وأشد ما تجدونه فى الشتاء من

(١) أخرجه مسلم وأحمد عن ابن عباس ـ صحيح الجامع (٢٥٣٣).

زمهريرها»(١).

وقال أنس بن مالك: «يؤتى بأنعم الناس فى الدنيا من الكفار فيقال اغمسوه فى النار غمسة ثم يقال له: هل رأيت نعيمًا قط فيقول: لا ويؤتى بأشد الناس ضرًا فى الدنيا فيقال اغمسوه فى الجنة غمسة ثم يقال له: هل رأيت ضرًا قط؟ فيقول لا»: وقال أبو هريرة: لو كان فى المسجد مائة ألف أويزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار بينهم لماتوا.......... وقد قال بعض العلماء فى قوله: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٤] إنها لفحتهم لفحة واحدة فما أبقت لحمًا على عظم إلا ألقته عند أعقابهم.

ثم انظر بعد هذا فى نتن الصديد الذى يسيل من أبدانهم حتى يغرقون فيه وهو الغساق، فهذا شرابهم إذا استغاثوا من العطش فيسقى أحدهم من ماء الصديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقًا.

ثم انظر إلى طعامهم وهو الزقوم كما قال اللّه تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ [الواقعة ٥١: ٥٥] .

وقال تعالى ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ [الصافات ٦٤: ٦٨] .

وقال تعالى: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥)﴾ [الغاشية: ٤: ٥]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾

[المزمل: ١٢: ١٣]

عن ابن عباس قال رسول اللّه ﷺ : «لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى بحار

(١) متفق عليه عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٩٩٠).

الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف من تكون طعامه[1]» ويلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع ويستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذى غصة، فيذكرون عندما كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بشراب فيستغيثون بشراب فيُرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد، فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم، فإذا دخل الشراب بطونهم قطّع ما فى بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم، قال: فيدعون خزنة جهنم، ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾

[غافر ٤٩: ٥٠]

قال: فيقولون: ادعوا مالكًا فيدعون فيقولون: «يا مالك ليقض علينا ربك» قال فيجيبهم: : ﴿إنكم ماكثون﴾ .

قال الأعمش: أُنبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام قال: فيقولون ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ قال: فيجيبهم ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون ١٠٦: ١٠٨] قال: فعند ذلك يئسوا من كل خير، وعند ذلك أخذوا فى الزفير والحسرة والويل.......... قال رسول الله ﷺ فى قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ [إبراهيم ١٦: ١٧] قال: «يقرب إليه فيتكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه فوقعت فروة رأسه. فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره» يقول الله تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾[2] .

وقال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩] فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم .

فانظر الآن إلى حيّات جهنم وعقاربها وإلى شدة سمومها وعظم أشخاصها

---

(١) أخرجه الترمذى (٢٥٨٥) عن ابن عباس وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢٥٠)..

(٢) أورده ابن كثير فى تفسيره من رواية ابن جرير ـ صـ ٥٠٨ والآية من سورة محمد ﷺ ١٥.

وفظاظة منظرها وقد سُلطت على أهلها وأغريت بهم، فهى لا تفتر عن النهش واللدغ ساعة واحدة! قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ «من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مُثل له يوم القيامة شجاعًا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه ـ يعني أشداقه ـ فيقول أنا مالُك أنا كنزك» ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [آل عمران: ١٨٠] (١)

وقال الرسول ﷺ «إن فى النار لحيات مثل أعناق البُخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفًا، وإن فيها لعقارب كالبغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفًا وهذه الحيات والعقارب إنما تُسلط على من سلط عليه فى الدنيا البخل وسوء الخلق وإيذاء الناس ومن وُقى ذلك وقى هذه الحيات فلم تمثل له(٢)، ثم تفكر بعد هذا كله فى تعظيم أجسام أهل النار فإن الله تعالى يزيد فى أجسامهم طولا وعرضا حتى يتزايد عذابهم بسببه، فيحسون بلفح النار ولدغ العقارب والحيات من جميع أجزائها دفعة واحدة علي التوالى..... قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «ضرس الكافر فى النار مثل أُحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث»(٣) وقال رسول الله ﷺ: «شفته السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه»(٤) ومع عظم الأجسام كذلك تحرقهم النار مرات فتجدد جلودهم ولحومهم ..... قال الحسن فى قوله تعالى ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦] قال تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة، كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا...... ثم تفكر الآن فى بكاء أهل النار وشهيقهم ودعائهم بالويل والثبور، فإن ذلك يسلط عليهم فى أول إلقائهم فى النار..... قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك»(٥) وقال رسول الله ﷺ: «يُرسَل البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يصير فى وجوههم كهيئة الأخدود لو أرسلت فيها السفن لجرت(٦)»....... قال محمد بن كعب: لأهل النار خمس دعوات

(١) أخرجه البخارى عن أبى هريرة ـ باب إثم مانع الزكاة ـ كتاب الزكاه.
(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٩١) عن عبد الله بن الحارث
(٣) أخرجه مسلم والترمذى عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٣٨٨٩).
(٤) أخرجه الترمذى (٢٥٨٧) عن أبى سعيد وقال حسن صحيح غريب.
(٥) أخرجه مسلم عن ابن مسعود ـ باب فى ذكر أزمّة النار ـ كتاب صفة النار.
(٦) رواه ابن ماجة عن أنس وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٨٠٨٣) ـ الصحيحة (١٦٧٩).

يجيبهم الله عز وجل فى أربعة فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدًا. . . . يقولون: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١] فيقول الله تعالى مجيبا لهم: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢] ثم يقولون: ﴿ربنا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ فيجيبهم الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤] فيقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ فيجيبهم الله تعالى ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧] ثم يقولون ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ فيجيبهم الله تعالى: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٦:١٠٨] فلا يتكلمون بعدها أبدًا وذلك غاية شدة العذاب. . . . . . قال مالك بن أنس رحمه الله: قال زيد بن أسلم فى قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١] قال صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة ثم قالوا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مالنا من محيص﴾. . . . وقال ﷺ: «يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ويقال يا أهل الجنة خلود بلا موت ويأهل النار خلود بلا موت»[1] وعن الحسن قال: يخرج من النار رجل بعد ألف عام وليتنى كنت ذلك الرجل. . . . . . ورؤى الحسن رحمه الله جالسًا فى زاوية وهو يبكى فقيل له: لم تبكى؟ فقال: أخشى أن يطرحنى فى النار ولا يبالى.

فهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة، وتفصيل عمومها وأجزائها ومحنها وحسرتها لا نهاية له، فأعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فَوت نعيم الجنة وفَوت لقاء الله تعالى وفَوت رضاه، مع علمهم بأنهم باعوا كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة، إذ لم يبيعوا ذلك إلا بشهوات حقيرة فى الدنيا أيامًا قصيرة وكانت غير صافية، بل كانت مكدرة منغصة فيقولون فى أنفسهم

---

(١) متفق عليه عن أبى سعيد ــ صحيح الجامع (٥٢٢).

واحسرتاه كيف أهلكنا أنفسنا بعصيان ربنا! وكيف لم نكلف أنفسنا الصبر أيامًا قلائل ولو صبرنا لكانت قد انقضت عنا أيامه وبقينا الآن فى جوار رب العالمين متنعمين بالرضا والرضوان؟ فيا لحسرة هؤلاء وقد فاتهم من الخير ما فاتهم وبُلوا بما بُلوا به ولم يبق معهم شئ من نعيم الدنيا ولذاتها، ثم إنهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم.

وقال أحمد بن حرب:

إن أحدنا يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار.... وقال عيسى عليه السلام: كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين أطباق النار يصيح...... وقال داود: إلهى لا صبر لى على حر شمسك فكيف صبرى على حر نارك؟ ولا صبر لى على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك؟

فانظر يا مسكين فى هذه الأهوال واعلم أن اللّه تعالى خلق النار بأهوالها وخلق أهلاً لا يزيدون ولا ينقصون وإن هذا أمر قد قُضى وفَرغ منه اللّه تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [مريم:٣٩]

فإن قلت: فليت شعرى ماذا موردى وإلى ماذا مآلى ومرجعى وما الذى سبق به القضاء فى حقى؟ فلك علامة تستأنس بها وتصدق رجاءك بسببها وهى أن تنظر إلى أحوالك وأعمالك، فإن كلاً ميسر لما خُلق له، فإن كان قد يسر لك سبيل الخير فأبشر فإنك مبعد عن النار، وإن كنت لا تقصد خيرًا إلا وتحيط بك العوائق فتدفعه ولا تقصد شرًا إلا ويتيسر لك أسبابه فاعلم أنك مقضى عليك، فإن دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار. فقد قال اللّه تعالى: ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ [الانفطار: ١٣: ١٤]

فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك من الدارين.[1].

* * *

---

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ــ صفة جهنم وأهوالها (٥ / ٢٤١ : ٢٤٢).

# تحاور أهل الجنة وأهل النار

وتعال معى أخى الكريم لنتأمل سويًا هذا المشهد المثير من مشاهد الآخرة إنه تحاور أهل الجنة وأهل النار.

فإنه إذا استقر أهل النار فى النار يذوقون عذابها ويشربون من حميمها ويأكلون من زقومها ينادى عليهم أهل الجنة وهم يشربون من أنهار الجنة ويأكلون من ثمارها ويقولون: ﴿قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾ [الأعراف: ٤٤].

وهذا كما أخبر اللّه فى سورة الصافات عن الذى كان له قرين من الكفار ﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٥٧) أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلاَّ مَوْتَتَنَا الأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [الصافات: ٥٥: ٥٩]. أى ينكر عليه مقالته التى يقولها فى الدنيا ويقرعه بما صار إليه من العذاب والنكال. وكذلك تقرعهم الملائكة يقولون لهم ﴿هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٤) أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لا تُبْصِرُونَ (١٥) اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٤:١٦]

وكذلك قرع رسول اللّه ﷺ قتلى القليب يوم بدر (كما فى الصحيحين) فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يافلان ابن فلان يافلان ابن فلان: أيسركم أنكم أطعتم اللّه ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟ فقال عمر: يارسول اللّه ماتكلم من أجساد لا أرواح لها؟ قال النبى ﷺ «والذى نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم (وفى رواية) ما أنتم بأسمع منهم ولكنهم لا يجيبون».

ولنرجع إلى تحاور أهل الجنة وأهل النار . . . قال تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾ أى نادى مناد ﴿أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ثم وصفهم اللّه تعالى بقوله ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أى يصدون عن سبيل اللّه وعن شرعه ويبغون أن تكون معوجة غير مستقيمة ﴿وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ (الأعراف: ٤٤) أى

جاحدون مكذبون فلهذا لا يبالون بما يأتون من منكرٍ من القول والعمل لأنهم لا يخافون حسابًا عليه ولا عقاباً فهم شر الناس أقوالاً وأعمالاً.

ثم لما ذكر اللّه تعالى مخاطبة أهل الجنة مع أهل النار نبّه أن بين الجنة والنار حجابًا وهو الحاجز المانع من وصول أهل النار إلى الجنة.

﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ﴾ أى حاجز .... إنما سُمى الأعراف أعرافًا لأن أصحابه يعرفون الناس وأهل الأعراف هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم.

قال حذيفة رضي الله عنه: عن أصحاب الأعراف هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقعدت بهم سيئاتهم عن الجنة ﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [ الأعراف:٤٧ ]. فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك فقال لهم اذهبوا فادخلوا الجنة فإنى قد غفرت لكم.

قال ابن مسعود: إن العبد إذا عمل حسنة كُتب له بها عشر وإذا عمل سيئة لم تُكتب إلا واحدة ثم قال: هلك من غلبت آحاده عشراته.

﴿ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاً بِسِيمَاهُمْ ﴾ فعن ابن عباس قال: يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه وأهل النار بسواد الوجوه.

﴿ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ [الأعراف:٤٦ ].

أى فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا سلامًا عليكم ولكن لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون بدخولها.

قال الحسن: واللّه ما جُعل ذلك الطمع فى قلوبهم إلا لكرامة يريدها اللّه بهم ﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [ الأعراف:٤٧ ]. قال ابن عباس: إن أصحاب الأعراف إذا نظروا إلى أهل النار وعرفوهم ﴿ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ وقال ابن مسعود: لما نظروا إلى أهل النار ورأوا منازلهم. تعوذوا باللّه من منازلهم وقالوا﴿ رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ثم يخبر تعالى عن تضرع أهل الأعراف وهم رجال تكاثفت أعمالهم

فقصـرت بهم حسناتهم عن الجـنة وقصرت بهم سيـئاتهم عن النار فجـعلوا على الأعراف يعرفون الناس بسيماهم.

يخبـر تعالى عن تقريعـهم لأهل النار وهم رجال من صناديد قـريش وصناديد المشركين وقـادتهم ﴿ما أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ كثرتكم ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأعراف:٤٨]. أى لا تنفعكم كثرتكم واستكباركم من عذاب اللّه الذى صرتم إليه وماتعانون من النكال ﴿أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾.

أى قال اللّه لأهل التكبر والأموال ﴿أَهَؤُلاءِ﴾ أى أهل الأعراف ﴿الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾. فقال اللّه لأهل الأعراف: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف:٤٩]. أى برغم أنوف الكافرين.

يقول حذيفـة ﷺ «كما ذكر الإمام ابن كثيـر فى تفسيره» بعد أن يذكر اسـتشفاع أهل الأعراف بآدم ثم إبراهيم ثم بموسى ثم عـيسى ثم محمد ﷺ واعتذر الجميع إلا محمداً ﷺ فيقول «فيأتون فأضرب بيدى على صدرى ثم أقول أنا لها، فيشفع لهم كما جاء فى خبـر حذيفة ثم يقول ﷺ «فآتى بهم الجنة فـأستفتح فيُـفتح لى ولهم فيذهــب بهم إلى نهر يقال له نهر الحـيوان حافتاه قصب مـكلل باللؤلؤ ترابه المسك وحصبـاؤه الياقوت فيغتـسلون فيه فتعود إليـهم ألوان أهل الجنة وريح أهل الجنة فيصيـرون كأنهم الكواكب الدرية ويبقى فى صدورهم شـامات بيض يُعرفون بها يقال مساكين أهل الجنة»

فكل ماذكرناه آنفًـا يمثل الجانب المشرق لأهل الإيمان الذين يتمـتعون فى جنات النعيم ثم يأتى المشـهد الثانى لأهل النار وهو مشهد الحسـرة والذلة فنعوذ باللّه من الحسرة والخزى والذلة.

يخبر تعالى عن ذلة أهل النار وسؤالهم أهل الجنة من شرابهم. وطعامهم وأنهم لايُجابون إلى ذلك فهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ

أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾
[الأعراف: ٥٠]

روى ابن أبى حاتم بسند صحيح عن ابن عباس أنه سُئل أى الصدقة أفضل؟ فقال: قال رسول اللّه ﷺ «أفضل الصدقة الماء. ألم تسمع إلى أهل النار لما استغاثوا بأهل الجنة قالوا: ﴿ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾.

ثم وصف تعالى الكافرين بما كانوا يتعمدونه فى الدنيا باتخاذهم الدين لهواً ولعبًا واغترارهم بالدنيا وزينتها وزخرفتها عما أُمروا به من العمل للآخرة.

﴿ فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ﴾ [الأعراف: ٥١] أى يعاملهم معاملة من نسيهم لأنه تعالى لا يشذّ عن علمه شئ. ولا ينساه كما قال تعالى: ﴿ فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى ﴾ [طه: ٥٢]. أى يتركهم من الرحمة كما تركوا أن يعملوا للقاء يومهم هذا.

وفى الصحيح « إن اللّه تعالى يقول للعبد يوم القيامة ألم أزوجك؟ ألم أكرمك ألم أسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى فيقول أظننت أنك ملاقىّ؟ فيقول: لا. فيقول اللّه تعالى: فاليوم أنساك كما نسيتنى» (١).

واللّه يا إخوانى إنها لمشاهد تتفطر لها القلوب الحية التى تخشى اللّه حق الخشية. فكيف بك يا عبد اللّه لا تعمل حتى تكون من أهل الجنة الذين ينادون على أهل النار ويقولون لهم ﴿ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا ﴾ هل تريد أن تكون من أهل النار الذين ينادون وهم فى خشوع وذلٍ ويقولون ﴿ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ فواللّه للدنيا بمتاعها وكنوزها لا تساوى مشهداً كهذا.

فلا تؤثر الفانى على الباقى ولا تجعل الدنيا تنسيك الآخرة واجتهد لفكاك رقبتك من النار قبل يوم الحسرة.

* * *

(١) مختصر تفسير ابن كثير لمحمد نسيب الرفاعى (٢/ ٢٠٣ ـ ٢٠٧) بتصرف.

# تلاعن أهل النار

إن أهل النار إذا دخلوا النار يظن كل واحد منهم أن صاحبه كان سببًا فى دخوله النار، وهنا يبدأ التلاعن بينهم إضافة إلى عذابهم الذى لا يُخفف عنهم ولا ينتهى أبدًا فكلما دخلت أمة لعنت أختها. كما قال الحق تبارك وتعالى مصورًا لنا تلك المشاهد التى ستحدث يوم القيامة.

﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ (٣٨) وَقَالَتْ أُولاهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾

[الأعراف: ٣٨: ٣٩]

ثم يذهب بنا القرآن إلى مشهد آخر فيقول الله جل وعلا: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لاَّ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاْ ﴾ [الأحزاب: ٦٤: ٦٦]

إنها الحسرة على كل من فرَّط فى حق الله وفى شرع الله، وكل من سار على غير هدى رسول الله ﷺ.

فيا تُرى ما الذى جعلهم يبتعدون عن شرع الله وسنة رسول الله؟! ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٦٧ : ٦٨]

هكذا يتلاعنون فى النار ويدعوا بعضهم على بعض ويتمنى كل واحد منهم للآخر زيادة الخزى والعذاب.

وكان السبب الرئيسى لهذا المشهد البئيس هو أنهم اتبعوا الرؤساء والقادة فى طرق الكفر والضلال. أما المؤمنون يقول عنهم الحق تبارك وتعالى:

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ (٤٧) لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا

بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٥: ٤٨]

وتتوالى مشاهد الخزى والتلاعن بين أهل النار، فيقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٤٨) وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر:٤٧ :٥٠]. فأيقن القادة والأتباع أنهم من أهل النار وعرفوا أنه الخلود والبوار فتوجهوا بهذا السؤال إلى خزنة النار ليشفعوا لهم عند ربهم ليخفف عنهم يومًا من عذاب النار.

يقول الحق جل وعلا مخبراً أن الملائكة تبكت وتوبخ أهل النار قبل أن يدخلوا ويسكنوا منازلهم فى النار.

فقال تعالى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الملك: ٨:٩]

فجعلهم الله جل وعلا يُقرون على أنفسهم أنهم لم يدخلوا النار ظلمًا لأن الله هو الحكَم العدل بل إنهم يعترفون على أنفسهم أنهم قد كذّبوا الرسل ولم يؤمنوا بهم، وبذلك تقع الحُجة عليهم فيعرفون أن الله لا يظلم الناس شيئًا ولكن الناس أنفسهم يظلمون. . . . . . . وتأمل معى عذابهم وتلاعنهم فى هذا المشهد الذى يخبر عنه الحق جل وعلا.

﴿هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ (٥٦) هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (٥٨) هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ (٥٩) قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ (٦٠) قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ [ص:٥٥: ٦١]

ثم يرون بعد ذلك الذين كانوا يسخرون منهم ويستهزءون بهم من أهل الإيمان قد فازوا بالرضا والرضوان ونجوا من غضب الواحد الديان، كما قال تعالى:

﴿ وَقَالُوا مَا لَنَا لا نَرَىٰ رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الأَشْرَارِ (٦٢) أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ (٦٣) إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾ [ص: ٦٢:٦٤]

وقد أخبر الحق ــ تبارك وتعالى ــ عن هذا المشهد فى آيات كثيرة موضحًا مشهد سخرية الكفار من المؤمنين فى الدنيا وعقوبة الله للكافرين فى الوقت الذى يرحم فيه المؤمنين ويحل عليهم رضوانه ويدخلهم جنات النعيم. فقال تعالى: ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ (١٠٨) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٨: ١١١]. فحكم الله للمؤمنين بالفوز فى الجنة وحكم على الكافرين بالخسران ولم يأذن لهم بمجرد الكلام فقال: ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ ﴾ ثم سألهم الحق تبارك وتعالى سؤالاً عظيما، وذلك على وجه التوبيخ فقال جل وعلا: ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾ [المؤمنون: ١١٢]

أى كم تمتعتم بالأموال والنساء والمناصب ﴿ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴾ [المؤمنون: ١١٣] !! ﴿ قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٤] والله ما كانت تستحق تلك الدقائق والساعات أن تنسوا لقاء ربكم وتسخروا من أوليائه وتستكبروا من عبادة العزيز الجبار ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾

[المؤمنون: ١١٥: ١١٦]

وأخيرًا تأمل معى هذا المشهد ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

[المطففين: ٢٩ – ٣٦]

قال القرطبى رحمه الله: «يُقال لأهل النار وهم فى النار اخرجوا فتُفتح لهم أبواب النار، فإذا رأوها قد فُتحت أقبلوا إليها يريدون الخروج، والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك فإذا انتهوا إلى أبوابها أُغلقت دونهم فيضحك منهم المؤمنون» (١).

فيا ليتنا نستشعر تلك المشاهد ونعمل ونجتهد فى طاعة الله جل وعلا حتى لا نندم فى يوم الحسرات على ضياع الأوقات فى غير الطاعات.. فاغتنم حياتك فى عبادة الله وابك على ذنوبك وتفريطك فى زمن الصبا فإن البكاء من خشية الله يجلب عليك رحمات الله ويقيك من عذاب النار كما قال النبى ﷺ: «عينان لا تمسهما النار أبدًا، عينٌ بكت من خشية الله وعينٌ باتت تحرس فى سبيل الله» (٢).

بل إنك تكون من السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: «ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه» (٣).

فإنك إن لم تبك فى الدنيا من خشية الله عز وجل وإن لم تُتعب جوارحك فى طاعة الله، وأتعبتها فى معصية الله فسوف تبكى الدموع والدماء فى الآخرة عياذًا بالله.

يقول النبى ﷺ: « يُرسَل البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يصير فى وجوههم كهيئة الأخدود لو أُرسلت فيه السفن لجرت» (٤).

## مقارنة بين نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة. فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربنا، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك! فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون: وأى شىء أفضل

(١) تفسير القرطبي - نقلاً من صفوة التفاسير (٣/ ٥٣٥).
(٢) رواه أبو يعلى والضياء عن أنس وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤١١٣).
(٣) متفق عليه عن أبي هريرة - صحيح الجامع (٣٦٠٣).
(٤) رواه ابن ماجه عن أنس وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٨٠٨٣) - الصحيحة (١٦٧٩).

من ذلك؟ فيقول: أُحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»[١].

أما أهل النار فـليس لهم سوى قول الحق تبـارك وتعالى: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾.

بل إنه والله ما تعذَّب أهل النار بعذاب أشد من حجبهم عن رؤية وجه الله عز وجل وما تلذذ أهل الجنة فى الجنة بنعيم أفضل من رؤية وجه الله عز وجل.

قال ﷺ: «إذا دخل أهل الجنةِ الجنـةَ يقول الله تعـالى تريدون شيئًـا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ فيُكشف الحجاب فما أُعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم»[٢].

وقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة: ٢٢: ٢٣]

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[يونس: ٢٦] .

فالحسنى هى الجنة والزيادة هى النظر إلى وجه الله جل وعلا.

فالمؤمن يتلـذذ برؤية وجه الله جل وعلا، أما الكـافر فهو محجـوب عن رؤيته سبحانه وتعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين: ١٥]

وعن أبى موسـى رضي الله عنه (كما فى الصـحيحـين) أن النبى ﷺ قال: «إن فى الجنة لخيمة من لـؤلؤة مجوّفة طولها فى السمـاء ستون ميلاً للمؤمن فـيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا».

فالمؤمن له خيمـة من لؤلؤة مجوفة. أما الكافر فله أوديـة فى قعر جهنم (وادى غى ووادى سقر وسجن بولُس ووادى ويل....». فشتّان بين الفريقين: فريقٌ فى الجنة وفريقٌ فى السعير.

والمؤمن يُداعب الحور العين ويتلذذ بهن ويتنـعم مع كل واحدة منهن فلا يَملَّها ولا تَملُّه.

(١) متفق عليه عن أبي سعيد الخدري - صحيح الجامع (١٩١١).
(٢) أخرجه مسلم عن صهيب - صحيح الجامع (٥٢٣).

أما الكافـر فى النار فليس أمامـه سوى الحيّـات والعقارب والتلاعـن بينه وبين قرنائه من أهل النار.

واسمع يـا أخى وتجهّز لأن تـكون من أهل الجنة. يقـول الحق تبارك وتعـالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٤٥: ٤٦].

أما الكفار ﴿ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴾ [ص: ٥٩] .

ويقول عن المؤمنين: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧]

أما الكافر ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ [الأعراف: ٣٨] .

وعن المؤمنين ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الدخان: ٥١: ٥٣] .

أما الكفار ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [الحج: ١٩: ٢٢]

وعن المؤمنين: ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴾ [الدخان: ٥٥] .

وكذلك ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (١٨) لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ (١٩) وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [الواقعة: ١٧: ٢١]

أما الكفار ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥) هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الواقعة: ٥١: ٥٦] .

وعن المؤمنين: ﴿ لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [الدخان: ٥٦] .

وأما الكفار ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ⦗١٠⦘ وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى ⦗١١⦘ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ⦗١٢⦘ ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ ﴾ [الاعلى: ١٠: ١٣] .

فالمؤمن لا يمـوت إلا موتة واحدة ثم يحـيا، ويتنعم فى الجنة، أمـا الكافر فى النار لا يموت فيها فيستريح ولا يحيا فيتنعم فيا له من خزيٍ ويا لها من حسرة.

ويقـول الله جل وعلا عن المـؤمنين: ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ⦗٢٢⦘ عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴾ [المطففين: ٢٢: ٢٣].

وكذلك ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ⦗٢٢⦘ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢: ٢٣].

أما الكفار ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ⦗٢٤⦘ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٤: ٢٥].

وكذلك ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥ ].

وعن المؤمنين ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ [المطففين: ٢٤].

أما الكفار ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٤].

وعن المؤمنين ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ⦗٢٥⦘ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ⦗٢٦⦘ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ⦗٢٧⦘ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطففين ٢٥: ٢٨]

وكذلك ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ [محمد: ١٥].

أما عن الكفار ﴿ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٥]

﴿ مِن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [إبراهيم ١٦ : ١٧].

وعن المؤمنين ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ [مريم: ٨٥].

أى راكبين على نوق الجنة عليها رحائم الذهب.

وعن الكفار ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ [مريم: ٨٦ ].

أى يساقون كما تُساق البهائم إلى جهنم وردا، أى عطاشا. . . . بل إنهم يتقون العذاب بوجوههم ﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [الزمر: ٢٤] .

وعن المؤمنين ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾

[محمد: ٥ : ٦]

وعن الكفار ﴿ فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾ [مريم: ٨٤] .

﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ [الأعراف: ١٨٣] .

وعن المؤمنين ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ [الإنسان: ٢١] .

وعن الكفار ﴿ إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ [غافر: ٧١: ٧٢].

وعن المؤمنين ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ [المطففين: ٢٤: ٢٦] .

وعن الكفار ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الإسراء ٩٧] .

بل وتعرف الملائكة أن هـؤلاء هم أصحاب النار من غيـر أن تسأل عنهم؛ لأن

ذلك يظهر على وجوههم ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١]

أى يجمع الزبانية ناصيته مع قدميه ويلقونه فى النار كذلك.

وقال ابن عباس: فيؤخذ بناصيته وقدميه فيكسر كما يكسر الحطب فى التنّور.

ولو استطردنا فى الأمثلة لما انتهينا ولكن حسبنا ما قلناه فى هذه المقارنة بين أحوال أهل النار وأهل الجنة! «أليس منكم رجل رشيد؟!!

فلابد أن نتجهز من الآن ونُعد العُدة فلا ندرى متى يأتينا الموت........ ولقد انتشر موت الفجأة الذى هو من علامات الساعة فلابد أن نتوب ونرجع قبل أن لا نستطيع أن نتوب!

يا نفس، قد أزف الرحيل وأظلك الخَطب الجليل
فتأهبى يا نفس لا يلعب بك الأمل الطويل
فلتنزلن بمنزلٍ ينسى الخليل به الخليل
وليركبن عليك فيه من الثرى ثقلٌ ثقيل
قُرن الفناء بنا جميعاً فما يبقى العزيز ولا الذليل
يا نفس قد أزف الرحيل
يا نفس توبى قبل ألا تستطيعى أن تتوبى
واستغفرى لذنوبك الرحمن غفّار الذنوبِ
إن المنايا كالرياح عليك دائمة الهبوب
والموت شرعٌ واحدٌ والناس مختلفوا الدروب
ولقلّما ينجو الفتى بتقاه من لُطَخ العيوب
يا نفس توبى قبل ألا تستطيعى أن تتوبى

وأخيرًا لابد أن تعلموا أن سلعة الله غالية.

يقول النبي ﷺ: «لو أن ما يُقل ُظفر مما في الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السماوات والأرض، ولو أن رجلاً من أهل الجنة اطّلع فبدا أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم»[1].

وعلى النقيض الآخر يقول ﷺ: «لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمن تكون طعامه؟»[2].

نعم والله فكيف بمن يكون طعامه وشرابه من النار ولباسه من النار، وفراشه من النار!!!

بل وكيف بك يا عبد الله إذا علمت حجم الكافر فى النار وبشاعة منظره وصورته.

يقول النبي ﷺ: «ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أُحد وغِلظ جلده مسيرة ثلاثة»[3].

وفى رواية: «ما بين منكبى الكافر فى النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع»[4].

وفى رواية ثالثة: «ضرس الكافر يوم القيامة مثل أُحد وعرض جلده سبعون ذراعًا وعضده مثل البيضاء وفخذه مثل ورقان ومقعده فى النار ما بينى وبين الربَذة»[5].

وفى رواية: «إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعًا بذراع الجبار وإن ضرسه مثل أُحد وإن مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة»[6].

---

(١) رواه أحمد والترمذي عن سعد وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٥١).

(٢) رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٥٠).

(٣) أخرجه مسلم عن أبي هريرة - صحيح الجامع (٣٨٨٩).

(٤) أخرجه مسلم عن أبي هريرة - باب عظم ضرس الكافر في النار - كتاب صفة النار.

(٥) رواه أحمد والحاكم عن أبي هريرة وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٩٠).

(٦) رواه الترمذي والحاكم عن أبي هريرة وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢١١٤).

فمن كل الروايات التى أوردتها تعلم مـدى عذاب أهل النار، فالضرس الواحد فى حجم جبل أحد، فإذا انخلع هذا الضرس فكم يحدث من الألم، وغلظ الجلد سبعون ذراعًا، وفى رواية اثنين وأربعين ذراعًا بذراع الجبار «أى ممن سبق من الأمم السابقة.... ولا تعارض بيـنها وبين السبعين ذراعًا فكل واحدٍ عـلى مقدار كفره بالله جل وعلا»، وهذا الغـلظ الشديد للجلد لكى تأكل النار وتلتـهم فيه ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

ومجلســه من جهنم ما بين مكة والمـدينة، هذا هو حجم الكافر فـنسأل الله أن ينجينا من عذاب جهنم وأن يرزقنا صحبة نبيه ﷺ فى الجنة.

أما أحباب الله من المؤمنين فهم فى الجنان يتنعمون ويمرحون ويفرحون فيما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ولك أن تتخيل معى تلك المشاهد:

فالجنة فـيها الحور العيـن يغنين ويقلن: نحن الخالدات فـلا نموت أبدًا، ونحن الغانجـات فلا نبأس أبدا، ونحن المـقيمات فـلا نظعن أبدا، ونحن الراضيـات فلا نسخط أبدا، ونحن الحـور الحسان أزواج أقوامٍ كرام، ونحن الأبكار السـوام للعباد المؤمنين، طوبى لمـن كان لنا وكنا له. فذلك قـوله عز وجل ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٥:٣٧].

عاشقات لأزواجهن ﴿أترابا﴾ مستويات فى الأسنان، ونغمتها شهية بهية فائقة وامقة لزوجها عاشـقة وعليه محبوسة وعن غيره محـجوبة، فذلك قوله عز وجل ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ يقول قصـرن أطرافهن عن الرجال فلا ينـظرن إلى غير أزواجهن ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦]، وكلما أصابها زوجها وجدها عذراء فى كل مرة .... عليها سبعون حُلة مختلفة الوشى والألوان.

فى نحـرها مكـتوب: أنت حِـبى وأنـا حبك لـست أبغى بك بـدلا ولا عنك معدلا. كبـدها مرآته وكبده مرآتها، يرى مخ سـاقها من وراء لحمها وحُليـها كما ترى الشراب الأحـمر فى الزجاجة البـيضاء وكما يرى السـلك الأبيض فى جوف

الياقوتة الصافية. . . . فبينما هو معـانقها لا تمل منه ولا يمل منها والمعانقة أربعين عامـا فإذا رفع رأسه فإذا هو بـأخرى متطلعـة تناديه: يا ولى الله أما لنـا فيك من دولة؟ فيقول: حـبيبتى من أنت؟ فتقول: أنا من اللواتـى قال الله فيهن: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥].

قال: فـيطيـر سريره، أو (قـال كرسيـه) من ذهب له جناحـان فإذا رآها فـهى تضعف على الأولى بمائة ألف جزء من النور فيعانقها مقدار أربعين عاما لا تمل منه ولا يمل منها، فإذا رفع رأسه رأى نورا ساطعا فى داره، فـيعجب فيقول: سبحان الله أملك كريم زارنا؟، أم ربنا أشرف علينا؟ فـيقول الملك وهو على الكرسى من نور بينه وبين الملك سبـعون عاما، والملك فى حجبـته فى الملائكة: لم يزرك ملك ولم يشرف عليه ربك عز وجل، فيقول: ما هذا النور؟ فيقول الملك: إنها زوجتك من أهل الدنيـا وهى معك فـى الجنة، وإنها طلـعت عليك ورأتك مـعانقا لـهذه فتبسمت فـهذا النور الساطع الذى تراه فى دارك هو نور ثناياها، فيـرفع رأسه إليها فتقول: يا ولى الله أما لنا فيك من دولة؟ فيـقول: حبيبتى من أنت؟ فتقول له: يا ولى الله أما أنا فمن اللواتى قال الله عز وجل فيهن: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:١٧]. قال: فيطير سريره إليها فـإذا لقيها فهى تضعف عن هذه الأخرى بمائة ألف جزء من النور، لأن هذه هـى التى صامت وصلت وعبدت الله عز وجل، فهى إذا دخلت الجنة تكون أفضل من نساء الجنة، لأن أولئك أنبتن نباتا، فيعـانق هذه مقدار أربعين عاما لا تمل منه ولا يمل منهـا، ثم إنها تقوم بين يديه وخلاخلها صـوت من ياقوت، فإذا وطئت يُسمع من خلاخلهـا صوت صفير كل طير فى الجنة، فإذا مس كفها كـان ألين من المخ، ويشم من كفها رائحة طيب الجنة، وعلـيها سـبعون حُـلة من نور لو نشـر الرداء منها لأضـاء ما بين المـشرق والمغرب، خُلـقت من نور، والحلل عليهـا أسورة من ذهب، وأسورة من فـضة، وأسورة من لؤلـؤ، وتلك الحلل أرقّ من نسج العنـكبوت، وهو أخف عليـها من النقش، وأنه يرى مخ ساقها من صفائـها ورقتها من وراء الـعظم واللحم والجلد والحُلل، مكتوب على ذراعها اليمين بالنور ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ [الزمر: ٧٤]

وعلى الذراع الآخر مكتوب بالنور ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ [فاطر:٣٤]

والحور العين مكتوب على كبدها بالنور: حبيبى أنا لك لا أريد بك بدلا، وكبدها مرآته، وهى على صفاء الياقوت، وحسن المرجان، وبياض البيض المكنون، ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٧]. العُرُب: العاشقات لأزواجهن، والأتراب: بنات خمس وعشرين سنة، مفلجة لو ضحكت لأضاء نور ثناياها، ولو سمع الخلائق منطقها لافتتن كل بر وفاجر، فهى قائمة بين يديه، فساقها يضعف على قدميها بمائة ألف جزء من النور، وفخذها يضعف على ساقها بمائة ألف جزء من النور، وعجزها يضعف على فخذها بمائة ألف جزء من النور، وبطنها يضعف على عجزها بمائة ألف جزء من النور، وصدرها يضعف على بطنها بمائة ألف جزء من النور، ووجهها يضعف على نحرها بمائة ألف جزء من النور، ولو تفلت فى بحار الدنيا لأصبح ماؤها عذباً، ولو اطلعت من سقف بيتها إلى الدنيا لأخفى نورها نور الشمس والقمر، عليها تاج من ياقوت أحمر مكلل بالدر والمرجان، وعلى يمينها مائة ألف قرن من قرون شعرها.

| | |
|---|---|
| يا خاطب الحوراء فى خدرها | وطالبا ذاك على قدرها |
| انهض بعزم لا تكن دانيا | وجاهد النفس على صبرها |
| وجانب الناس وارفضهم | وحالف الوحدة فى ذكرها |
| وقم الليل بدا وجهه | وصم نهارا فهو من مهرها |
| فلو رأت عيناك إقبالها | وقد بدت رمانتا صدرها |
| وهى تماشى بين أترابها | وعقدها يشرق فى نحرها |
| لهان فى نفسك هذا الذى | تراه فى دنياك من زهرها |

**وها هو وفد الرحمن** قد ناداهم الرب جل جلاله من وراء الحجب: مرحبا بعبادى وزوارى وجيرانى ووفدى، يا ملائكتى انهضوا إلى عبادى فأطعموهم، قال: فتقرب الملائكة إليهم لحم طير كأنها البُخت (الإبل) لا ريش معها ولا عظم، فأكلوا ثم ناداهم الرب جل جلاله من وراء الحُجب: مرحبًا بعبادى وزوارى

وجيرانى ووفدى، أكلـوا: اسقوهم يا ملائكتى، قال: فنهض إليـهم غلمان كأنهم اللؤلؤ المنثور بأباريـق الذهب بأشربـة مختلـفة تجد لـذة آخرها كلذة أولـها ﴿لا يُصَدَّعُونَ عَنهَا وَلاَ يُنزِفُونَ﴾[الوقعة: ١٩]. قال: ثم ناداهم الرب تبارك وتعالى من وراء الحُجب: مرحبـا بعبادى وزوارى وجيرانى ووفدى، أكلـوا وشربوا: فكهّوهم (قدموا لهم الفاكـهة) فقُربت إليهم أطباق مكللة بالـياقوت من الرطب الجنى الذى أسمـاه الله، أشد بياضـا من اللبن، وأطيب من عذوبة الشـهد، فطعمـوا وشربوا وفكهـوا ثم ناداهم الرب جل جلالـه من وراء الحجب: مـرحبا بعـبادى وزوارى وجيرانى ووفدى. أكلوا وشربوا وفكهوا: اكسوهم.

فإذا بهم قد فُتحت لهم أشجار الجنة بُحلل مـصقولة بنور الرحمن فأُلبسوا، ثم ناداهم الرب مـن وراء الحجب: مـرحبـا بعبـادى وزوارى ووفدى أكلوا وشـربوا وفكهوا وكـسوا، طيبوهـم، قال: فهاجت عليـهم ريح من تحت العرش يُقـال لها (المثيرة) بأنابيب المسك الأبيض الأذفر، فنضـحت على وجوههم من غير غبار ولا قتـار ثم يناديهم الرب تـبارك وتعالى مـن وراء الحجب: مرحـبا بعـبادى وزوارى وجيرانى ووفـدى أكلوا وشربوا وفكهوا وكـسوا وطيبوا، وعزتـى وجلالى لأتجلين لهم حتـى ينظروا إلىّ فذلك منتـهى العطايا وفضل المـزيد، فيتجلـى الرب تبارك وتعالى فيقول: السلام عليكم عبادى انظروا إلىّ فقد رضيت عنكم، قال: فتداعت قصور الجنة وأشـجارها واهتزت تقول: سـبحانك أربع مرات وخر القـوم سجدا، فناداهم الرب عز وجل: عبادى ارفعوا رؤوسـكم فإنها ليست بدار عمل، ولا بدار نَصَب، وإنما هى دار جزاء، ودار ثواب، وعـزتى وجلالى ما خلقتـها إلا لأجلكم وما من ساعة ذكرتمونى فيها فى دار الدنيا إلا ذكرتكم فوق عرشى[1].

قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «من أنفق زوجين من ماله فى سبيل الله دُعى من أبواب الجنة كلهـا وللجنة ثمانية أبواب، فمن كـان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة، ومن كـان من أهل الصيام دُعى من باب الصـيام، ومن كان من أهل الصـدقة دعى مـن باب الصدقـة، ومن كان من أهـل الجهـاد دعى من باب الجهاد»، فقال أبو بكر ﷺ: والله ما على أحد من ضرورة من أيها دُعى فهل يدعى

(١) بستان الواعظين لابن الجوزي (صـ ١٣٥، ١٤٠: ١٤٥)، بتصرف .

أحد منها كلها؟ قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم»(١).

وعن عاصم بن ضمرة عن على كرم الله وجهه أنه ذكر النار فعظم أمرها ذكراً لا أحفظه ثم قال: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣]

حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا إلى إحداهما كما أمروا به فشربوا منها فأذهبت ما فى بطونهم من أذى أو بأس، ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلا تتغير أشعارهم بعدها أبداً ولا تشعث رؤوسهم كأنما دهنوا بالدهان، ثم انتهوا إلى الجنة فقال لهم خزنتها: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]، ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما تطيف ولدان أهل الدنيا بالحبيب يقدم عليهم من غيبة، يقولون له: أبشر فقد أعدّ الله لك من الكرامة كذا، قال: فينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين فيقول: قد جاء فلان - باسمه الذى كان يدعى به فى الدنيا - فتقول: أنت رأيته؟ فيقول أنا رأيته وهو بأثرى، فيستخفها الفرح حتى تقوم إلى أسكفة بابها، فإذا انتهى إلى منزله نظر إلى أساس بنيانه فإذا جندل اللؤلؤة فوقه صرح أحمر وأخضر وأصفر من كل لون، ثم يرفع رأسه فينظر إلى سقفه فإذا مثل البرق ولولا أن الله تعالى قدّره لألمّ أن يذهب بصره، ثم يُطأطئ رأسه فإذا أزواجه ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٤: ١٦]

ثم اتكأ فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]

ثم ينادى مناد: تحيون فلا تموتون أبداً وتقيمون فلا تظعنون أبداً وتصحون فلا تمرضون أبداً.

ثم تأمل الآن فى غُرف الجنة واختلاف درجات العلو فيها فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً. وكما أن بين الناس فى الطاعات الظاهرة والأخلاق الباطنة المحمودة تفاوتًا ظاهرًا فكذلك فيما يجازون به تفاوت ظاهر، فإن كنت تطلب أعلى الدرجات فاجتهد أن لا يسبقك أحد بطاعة الله تعالى فقد أمرك الله

(١) متفق عليه عن أبي هريرة - صحيح الجامع (٦١٠٩).

بالمسابقة والمنافسة فيها فقال تعالى: ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[الحديد : ٢١]

وقال تعالى: ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾[المطففين: ٢٦].

والعجب أنه لو تقدّم عليك أقرانك أو جيرانك بزيادة درهم أو بعلو بناء ثقل عليك ذلك وضاق به صدرك وتنغص بسبب الحسد عيشك، .... وأحسن أحوالك أن تستقر فى الجنة وأنت لا تسلم فيها من أقوام يسبقونك بلطائف لا توازيها الدنيا بحذافيرها، فقد قال أبو سعيد الخدري: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تراءون الكوكب الدرى الغابر فى الأفق من المشرق إلى المغرب لتفاضل ما بينهم» قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: «بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»[1].

وقد ذكر الحسن البصرى رحمه الله جملتها فقال: إنّ رمانها مثل الدلاء، وإن أنهارها لمن ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من عسل مُصفّى لم يصفه الرجال وأنهار من خمر لذة للشاربين لا تُسفه الأحلام ولا تصدع منها الرؤوس، وإن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ملوك ناعمون أبناء ثلاث وثلاثون فى سن واحد طولهم ستون ذراعًا فى السماء، كُحل جُرد مُرد قد أمنوا العذاب واطمأنت بهم الدار، وإن أنهارها لتجرى على رضراض من ياقوت وزبرجد، وإن عروقها ونخلها وكرمها اللؤلؤ وثمارها لا يعلم علمها إلا الله تعالى، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة سنة، وإن لهم فيها خيلاً وإبلاً هفافة رحالها وأزمتها وسروجها من ياقوت يتزاورون فيها، وأزواجهم الحور العين كأنهن بيض مكنون، وإن المرأة لتأخذ بين أصبعيها سبعين حُلة فتلبسها فيُرى مخ ساقها من وراء تلك السبعين حلة، قد طهر الله الأخلاق من السوء والأجساد من الموت، لا يمتخطون فيها ولا يبولون ولا يتغوّطون وإنما هو جشاء ورشح مسك، لهم رزقهم فيها بكرة وعشيًا، أما إنه ليس ليل يكرّ الغدوّ على الرواح والرواح على الغدوّ، وإن آخر من يدخل الجنة وأدناهم منزلة ليُمدّ له فى بصره وملكه مسيرة مائة عام فى قصور من الذهب والفضة وخيام اللؤلؤ، وفُسح

(١) متفق عليه عن أبي سعيد - صحيح الجامع (٢٠٢٧).

له فى بصره حتى ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه، . . . . يُغَدى عليهم بسبعين ألف صُحفة من ذهب ويُراح عليهم بمثلـها، فى كل صُحفة لون ليس فى الأخرى مثله، ويجـد طعم آخره كما يجـد طعم أوله، وإن فى الجنة لياقـوتة فيها سـبعون ألف دار فى كل دار سبعـون ألف بيت ليس فيها صدع ولا ثقـب. وقال مجاهد: إن أدنى أهل الجنة منزلاً لمن يسـير فى مُلكه ألف سنة يرى أقصـاه كما يرى أدناه؛ وأرفعهم الذى ينظر إلـى ربه بالغداة والعشى. وقال سعيـد بن المسيب: ليس أحد من أهل الجنة إلا وفى يده ثـلاثة أسورة؛ سوار من ذهب وسـوار من لؤلؤ وسوار من فضة.

وقال أبـو هريرة رضي الله عنه: إن فى الجنة حـوراء يقال لـه العينـاء إذا مشت مـشى عن يمينها ويسـارها سبعون ألف وصيفة وهى تقـول: أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر؟ وقال يحـيى بن معاذ: ترك الدنيا شديد وفوت الجـنة أشدّ وترك الدنيا مهـر الآخرة. وقـال أيضًا فى طلب الـدنيا ذل النفـوس، وفى طلب الآخـرة عز النفوس، فيا عجبًا لمن يختار المذلة فى طلب ما يفنى ويترك العز فى طلب ما يبقى!

فيا عجبًا لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بأنه لا يموت أهلها ولا تحل الفجائع بمن نزل بفنائها ولا تنظـر الأحداث بعين التغيير إلى أهـلها. . . . كيف يأنس بدار قد أذن اللـه فى خرابهـا ويتهنأ بعـيش دونها؟ والـله لو لم يكن فـيها إلا سـلامة الأبدان مع الأمن من الموت والجـوع والعطش وسائر أصناف الحدثـان لكان جديرًا بأن يهجر الدنيا بسببها! وأن لا يؤثر عليها ما التصرم والتنغص من ضرورته! كيف وأهلها ملوك آمنون وفى أنواع السرير مُمتعـون لهم فيها ما يشتهون، وهـم فى كل يوم بفناء العرش يحضرون وإلى وجه الله الكريم ينظرون، وينالون بالنظر من الله ما لا ينظرون معه إلى سائر نعيم الجنان ولا يلتفتون، وهـم على الدوام بين أصناف هذه النعم. يترددون وهم من زوالها آمنون. قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «ينادى مناد يا أهل الجنة إن لكم أن تصّحوا فلا تسـقموا أبدًا وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبـدًا وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا، فذلك قوله عز وجل: ﴿ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾[1]

(١) أخرجه مسلم وأحمد والترمذي عن أبي هريرة وأبي سعيد - صحيح الجامع (٨١٦٤).

# الحرمان من الشفاعة يوم القيامة

ويا لها من حسرة شديدة لكل مَن حُرم الشفاعة يوم القيامة، فإن الإنسان لا يخلو من التقصير أو الوقوع فى الذنوب والمعاصى، ولذا فإنه ولا شك أحوج ما يكون يوم القيامة إلى تلك الشفاعة التى سوف نتعرض لها فى تلك السطور بإيجاز شديد لنعلم كيف أن العبد الطائع لله جل وعلا فى حاجة شديدة لمن يشفع له يوم القيامة فما ظنك بحاجة أهل الكبائر لتلك الشفاعة ليخرجوا من النار!!

قال صاحب معارج القبول رحمه الله: «ولنبينا ﷺ (الشفاعة العظمى) يوم القيامة، وهو المقام المحمود الذى قال الله تعالى عنه: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء :٧٩] ولذا قلنا (قد خصه الله بها) بالشفاعة (تكرّما) من الله عز وجل على النبى ﷺ وعلى أمته به كما فى الصحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «أُعطيت خمسًا لم يُعطهن أحد قبلى: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لى الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل، وأُحلت لى الغنائم، ولم تحل لأحد قبلى، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»، . . . . وفيه عنه رضي الله عنه عن النبى ﷺ «لكل نبى دعوة قد دعا بها فى أمته، وخبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة».

وفيه عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبى دعوة مستجابة، فتعجَّل كل نبى دعوته، وإنى اختبأت دعوتى شفاعةً لأمتى يوم القيامة فهى نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئًا». وفيه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبى ﷺ تلا قول الله عز وجل فى إبراهيم ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم : ٣٦] وقال عيسى عليه السلام ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] فرفع يديه وقال: اللهم أمتى، وبكى، فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسله: ما يبكيك. فأتاه جبريل عليه السلام فسأله، فأخبره رسوله الله ﷺ بما قال - وهو أعلم - فقال الله تعالى: يا جبريل

اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسوؤك». وفيه عنه ﷺ أنه سمع النبى ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علىَّ فإنه من صلى علىَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لى الوسيلة فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لى الوسيلة حلت له الشفاعة».

وفيه عن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محموداً الذى وعدته، حلت له شفاعتى يوم القيامة»، وتلك الشفاعة لا تكون إلا من بعد إذن الله عز وجل، سواء فى ذلك شفاعة نبينا ﷺ وشفاعة من دونه، وذلك الإذن يتعلق بالشافع والمشفوع فيه وبوقت الشفاعة، فليس يشفع إلا من أذن الله له فى الشفاعة، وليس له أن يشفع إلا فيمن أذن الله تعالى أن يشفع فيه، كما قال تعالى: ﴿من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه - ما من شفيع إلا من بعد إذنه - قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له - وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئًا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى - قل لله الشفاعة جميعًا - ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون - لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً﴾، ﴿لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابًا - يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا - ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾ وقال تعالى فى الكفار ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين - ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع﴾، وقال عنهم ﴿فما لنا من شافعين ولا صديق حميم﴾، وقال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون﴾. فالنبى ﷺ

(يشفع أولاً إلى الرحمن فى فصل القضاء بين أهل الموقف)
(من بعد أن يطلبها الناس إلى كل أولى العزم الهداة الفضلا)

هذه الشفـاعة الأولى لنبينا مـحمد ﷺ، وهى أعظم الشفـاعات، وهى المقام المحمود الذى ذكر الله عز وجل له ووعده إياه وأمرنا رسول الله ﷺ أن نسأل الله إياه له ﷺ بعد كل أذان[١].

## أنواع الشفاعات وكيفيتها

وقال صاحب شرح العقيدة الطحاوية رحمه الله:

الشفاعة أنواع: منهـا ما هو متفق عليه بين الأمة، ومنها ما خـالف فيه المعتزلة ونحوهم من أهل البدع.

**النوع الأول:** الشفاعة الأولى، وهى العظمى، الخاصة بنبينا ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، صلوات الله عليهم أجمعين.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قـال: «أُتى رسول الله ﷺ بلحم، فُدفع إليـه منها الذراع، وكانت تعـجبه، فنهـس منها نهسـة، ثم قال: أنا سيـد الناس يوم القيـامة، وهل تدرون لِمَ ذلك؟ يجمع اللـه الأولين والآخرين فى صعيد (واحد)، فـيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون إلى ما أنتم فيـه؟ ألا ترون إلى ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لـكم إلى ربكم؟ فيقـول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم، فـيأتون آدم، فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، فـاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلـغنا؟ فيقول آدم: إن ربى قد غـضب اليوم غضبًا لـم يغـضب قبله مثله، ولن يغـضب بعده مثله، وإنه نهـانى عن الشجرة فـعصيته، نفـسى، نفسى (نفسى نفسى)، اذهبـوا إلى غيرى، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحـا، فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله عبداً شكوراً، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نـحن فيه؟ ألا ترى ما قـد بلغنا؟ فيقـول نوح: إن ربى قد غضب اليوم غضـبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعـده مثله، وإنه كانت لى دعوة دعـوت بها على قومى، نفـسى نفسى (نفـسى نفسى)، اذهبوا إلى غـيرى، اذهبوا إلى إبراهيم، فـيأتون إبراهيم، فيقولون: يا إبراهـيم، أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض، ألا ترى (إلى) مـا نحن فيه؟ ألا ترى مـا قد بلغنا؟ فيـقول: إن

---

(١) معارج القبول ـ حافظ بن أحمد الحكمى ـ (٢/٢٠٨ ـ ٢١٠) بتصرف.

ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وذكر كذْباتِه، نفسى نفسى (نفسى نفسى)، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى: فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، اصطفاك الله برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى: إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنى قتلت نفسًا لم أومر بقتلها، نفسى نفسى (نفسى نفسى)، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمتُه ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، قال: هكذا هو، وكلَّمتَ الناس فى المهد، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى (إلى) ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى: إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده (مثله، ولم يذكر له ذنبًا)، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى محمد ﷺ، فيأتونى، فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، غفر الله لك ذنبك، ما تقدم منه وما تأخر، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأقوم، فآتى تحت العرش، فأقع ساجدًا لربى عز وجل، ثم يفتح الله علىَّ ويلهمنى من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلى، فيقال: يا محمد، ارفعْ رأسك، سلْ تعطه، اشفع تُشفع، فأقول: (يا) رب أمتى أمتى، (يارب أمتى أمتى، يارب أمتى أمتى)، فيقول: أدخِلْ من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سواه من الأبواب، ثم قال: والذى نفسى بيده، لما بين مصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبُصرَى»[1].

**النوع الثانى والثالث** من الشفاعة: شفاعته ﷺ فى أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة، وفى أقوام آخرين قد أمِر بهم إلى النار، أن لا يدخلوها.

**النوع الرابع:** شفاعته ﷺ فى رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان

(١) متفق عليه عن أبي هريرة - واللفظ للإمام أحمد في المسند (٢/ ٤٣٥) بسند الصحيحين.

يقتضيه ثواب أعمالهم. وقد وافقت المعتزلة هذه الشفاعة خاصة، وخالفوا فيما عداها من المقامات، مع تواتر الأحاديث فيها.

**النوع الخامس:** الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب، ويحسن أن يُستشهد لهذا النوع بحديث عكاشة بن محصن، حين دعا له رسول الله ﷺ أن يجعله من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، والحديث مُخرَّج في الصحيحين.

**النوع السادس:** الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه، كشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه. ثم قال القرطبي في «التذكرة» بعد ذكر هذا النوع: «فإن قيل: فقد قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (المدثر: ٤٨): قيل له: لا تنفعه في الخروج من النار، كما تنفع عصاة الموحدين، الذين يُخرجون منها ويدخلون الجنة.

**النوع السابع:** شفاعته ﷺ في استفتاح باب الجنة.

فعن أنس قال: قال ﷺ: «أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعًا»[1]، .... وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول محمد، فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك».

وقال ﷺ: «يجمعُ الله الناس يوم القيامة، فيقوم المؤمنون حين تُزلَفُ لهم الجنة، فيأتون آدم، فيقولونَ: يا أبانا! استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئةُ أبيكم آدمَ، لستُ بصاحب ذلك، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله، فيقول إبراهيم، لستُ بصاحب ذلك؛ إنما كنت خليلاً من وراء وراء، اعمدوا إلى موسى الذي كلَّمه الله تكليمًا، فيأتونَ موسى، فيقول: لستُ بصاحبِ ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه، فيقول عيسى لستُ بصاحب ذلك، اذهبوا إلى محمد، فيأتون محمدًا، فيقومُ فيُؤْذَنُ له، وترسل الأمانة والرَّحِمُ، فتقومان جَنَبَتَي الصِّراط يمينًا وشمالاً، فيمرُّ أولُكم كالبرق، ثم كمرِّ الريحِ، ثم كمرِّ الطيرِ وشدِّ الرجالِ، تجرى بهم أعمالهم، ونبيُّكم قائمٌ على الصراط يقول: ياربِّ سلم

(١) أخرجه مسلم عن أنس بن مالك - صحيح الجامع (١٤٥٧) - الصحيحة (١٥٧٠).

سلم، حتى تعجزَ أعمالُ العبادِ، وحتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفًا، وفى حافتى الصراط كـلاليب معلقةٌ، مأمورةٌ، تأخذ من أُمِرَت بـأخذه فمخدوشٌ ناجٍ، ومكدوسٌ فى النار»[1] .[2]

**وأما النوع الثامن :** فقد قال صـاحب معارج القبول رحمه الله: «هى شـفاعته ﷺ فى أقوام ماتوا على دين الإسلام وأوبقتهم كـثرة الآثام فيشفع لهم النبى ﷺ ليخرجوا من النار ويدخلوا الجنة فهذه الشفاعة حقٌ يؤمن بها أهل السنة والجماعة، كما آمن بها الصحابة رضوان الله تعـالى عليهم ودرج على الإيمان بذلك التابعون لهم بـإحسـان ﷺ ورضوا عنه، وأنـكرها فى آخـر عصـر الصحـابة **(الخوارج)**، وأنكرها فى عصـر التابعين **(المعتزلة)**، وقالوا بخلود من دخل الـنار من عصاة الموحدين الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ويشهدون أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ ويقيـمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويـصومون رمضان ويـحجون البيت الحرام ويسألون الله الجنة ويستعـيذون به من النار فى كل صلاة ودعاء، غير أنهم ماتوا مصريـن على معصية عملية عالمـين بتحريمها معتقـدين مؤمنين بما جاء فيها من الوعيـد الشديد فقضوا بتخليدهم فى جهـنم مع فرعون وهامان وقارون، فجحدوا قول الله عز وجل ﴿ **أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ** ﴾ [ص: ٢٨]، وقوله عز وجل: ﴿ **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١)** ﴾ [الجاثية : ٢١]، وقـوله تعـالى: ﴿ **أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ** ﴾ [القلم: ٣٥: ٣٦]

وغيرها من الآيات وسائر الأحاديث الواردة.

وعن أنس ﷺ أن النبى ﷺ قال: «يُحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهمّوا بذلك فيقولون: لو استـشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا فيـأتون آدم فيقولرن: أنت أبو الناس خلقك الـله بيده وأسكنك جنتـه وأسجد لك مـلائكته وعلمك أسـماء كل

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة – صحيح الجامع (٨٠٢٧).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية صـ ٢٢٩ : ٢٣٣ ، بتصرف.

شيء لتشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، قال: فيقول: لست هناكم. قال ويذكر خطيئته التي أصاب.... أكلـه من الشجرة وقد نهى عنها، ولكن ائتوا نوحًا أول نبي بعثـه الله تعالى إلى أهل الأرض فيأتون نوحًا فـيقول: لست هناكم ويذكر خطيئـته التي أصاب.... سؤاله ربه بغير علم، ولـكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن. قـال: فيأتون إبراهيم فيـقول: إني لست هناكم، ويذكـر ثلاث كلمات كذبهن، ولكـن ائتوا موسى عبـدًا آتاه الله التوراة وكلمه وقـرَّبه نجيًا. قال فـيأتون موسى فيقـول: إني لست هناكم، ويذكر خطيئته التـي أصاب.... قتله النفس، ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وروح الله تعـالى وكلمته، قال: فيأتون عيسى فيقول: لست هناكم، ولـكن ائتوا محمدًا ﷺ عبدًا غفر اللـه له ما تقدم من ذنبه وما تـأخر، فيـأتوني فأسـتأذن على ربـي في داره فيؤذن لـي، فإذا رأيته وقـعت ساجدًا، فـيدعني ما شاء الـله تعالى أن يدعني فيـقول: ارفع محمـد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تُعط. قال: فأرفع راسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حدًا فأخرج فأدخلهم الجـنة». قال قتادة: وسمعته أيضًا يقول: «فأخرج فأخـرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فـأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعت ساجـدًا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول: ارفع محمد وقل يُسمع واشفع تشفع وسل تُعط، قال فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه، قال: ثم أشفع فـيحد لي حدًا فأخرج فأدخلهم الجنة». قال قتادة: وسمعته يقول: «فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى في النار إلا مـن حبـسه الـقرآن»، أي وجب علـيه الخلـود. قال: ثم تـلا هذه الآية ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، قال: وهذا المقـام المحمود الذي وعده نبيكم ﷺ ثم بعده يشـفع من أذن الله تعالى له من الملائـكة المقربين والأنبياء والمرسـلين والصديقين والشهـداء والصالحين وسائر أوليـاء الله تعالى من المؤمنين المتـقين، ويشفع الأفراط كل منهـم يكرمه الله تعالى على قـدر ما هو له أهل، ثم يخرج الله تعالى من النار برحمته أقوامًا بدون شفاعة الشافعين.

قال ﷺ عن شفاعة المـلائكة: «حتى إذا فرغ الله تعالى من فـصل القضاء بين العباد وأراد أن يُخـرج بـ حمته من أراد من أهل النار أمر الملائـكة أن يخرجوا من

النار من كان لا يشرك بالله شيئًا ممن أراد الله تعالى أن يرحمه ممن يشهد أن لا إله إلا الله فيعرفونهم فى النار بأثر السجود تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتُحشوا فُيصب عليهم ماء الحياة فينبتون تحته كما تنبت الحبة فى حميل السيل، ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد ويبقى رجل مُقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولاً الجنة...».

وعن شفاعة المؤمنين يقول ﷺ موضحًا حال المؤمنين فى شفاعتهم لإخوانهم المؤمنين حيث يقولون: «ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا، فيقول الله تعالى: اذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه ويحرم الله تعالى صورهم على النار، فيأتونهم وبعضهم قد غار فى النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه فيُخرجون من عرفوا. ثم يعودون فيقول: اذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا. ثم يعودون فيقول: اذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا - قال أبو سعيد: فإن لم تصدقونى فاقرأوا ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠] - فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون، فيقول الجبار: بقيت شفاعتى، فيقبض قبضة من النار فيُخرج أقوامًا قد امتُحشوا فيُلقَون فى نهر بأفواه الجنة يقال له ماء الحياة فينبتون فى حافتيه كما تنبت الحبة فى حميل السيل قد رأيتموها إلى جانب الصخرة إلى جانب الشجرة، فما كان إلى الشمس منها كان أخضر وما كان إلى الظل كان أبيض، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ، فيُجعل فى رقابهم الخواتيم فيدخلون الجنة، فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه، فيقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله معه......، وفى رواية فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط قد عادوا حممًا، فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر، ما يكون منها إلى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها

إلى الظل يكون أبيض. فقالوا: يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية، قال: فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه. ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من العالمين. فيقول: لكم عندى أفضل من هذا. فيقولون: ربنا أى شيء أفضل من هذا؟ فيقول: رضاى فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»[1].

ولقد ذكر صاحب معارج القبول وصاحب شرح العقيدة الطحاوية: أن تلك الشفاعة هى سبب من أسباب سقوط العقوبة عن العصاة وسنذكر نلك الأسباب فى تلك السطور بإيجاز شديد.

## أسباب سقوط العقوبة عن العصاة:

إذا وقع العبد المؤمن فى المعصية فإن الله سبحانه وتعالى قد فتح لعباده أبواب رحمته، للخلاص من عقوبة ما يقعون فيه، إذا أخلصوا واتقوا.

فالحسرة كل الحسرة لمن لم يتعرض لتلك الأسباب التى تُسقط عنه العقوبة.

هذا وقد استقرأ بعض العلماء الأسباب التى تُسقط العقوبة عن المعاصى فى نصوص القرآن والسنة، ونلخص للأخ القارئ ما خلص إليه شارح العقيدة الطحاوية فى هذا الموضوع. فقد قال: «إن فاعل السيئات يسقط عنه عقوبة جهنم بنحو عشرة أسباب، عُرفت بالاستقراء من الكتاب والسنة»، ثم ذكر منها ما يلى:

**السبب الأول: التوبة** فقد قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [مريم : ٥٩ : ٦٠].

وقال أيضا: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة : ١٦٠]

والتوبة التى تُسقط العقوبة هى التوبة النصوح، وهى الخالصة النابعة من

(١) معارج القبول - الشيخ حافظ بن أحمد الحكي، جـ ٢/ ٢١٥ :٢٢١، بتصرف.

القلب، لا المقتصرة على النطق باللسان، . . . . وهى ما يصحبها الندم على ما فات من المعاصى، والعزم على عدم العودة إليها، وعمل الصالحات.

وكون التوبة سبباً لغفران الذنوب، وعدم المؤاخذة بها مما لا خلاف فيه بين الأمة. وليس شيء يكون سببا لغفران جميع الذنوب إلا التوبة.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]

**السبب الثانى: الاستغفار** فقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]، والواقع أن الاستغفار يدخل فى معنى التوبة، فإن الاستغفار طلب مغفرة الذنوب التى وقع فيها العبد، وهو مايدخل فى الندم على ما قدم الإنسان، فإن طلب المغفرة عنوان هذا الندم، وتزيد التوبة عن الاستغفار أن فى معناها العزم على اجتناب المعاصى فى المستقبل.

**السبب الثالث: فعل الحسنات**

فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]

**السبب الرابع: الوقوع فى المصائب الدنيوى**

لقوله ﷺ: «ما يصيب المؤمن من وَصَب ولا نصب ولا غم ولا هم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه»(١).

واعلم أن تكفير الخطايا يكون بسبب وقوع المعصية نفسها، فإذا صبر المبتلى فاز بثواب جديد فوق تكفير خطاياه، وإن سخط اكتسب إثما جديدا، ويبقى تكفير خطاياه بوقوع المصيبة.

**السبب الخامس: عذاب القبر.**

**السبب السادس: أهوال يوم القيامة وشدائده.**

**السبب السابع: شفاعة من أذن الله لهم بالشفاعة يوم القيامة.**

**السبب الثامن: عفو أرحم الراحمين من غير شفاعة.**

---

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد وأبي هريرة معًا - صحيح الجامع (٥٨١٨).

كما قال تعالى: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء : ٤٨]

**السبب التاسع: دعاء المؤمنين واستغفارهم فى الحياة وبعد الممات.**

**السبب العاشر:** ما رواه البخارى أن النبى ﷺ قال: «إذا خلص المؤمنون من النار حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا نُقوا وهُذبوا أُذن لهم بدخول الجنة فوالذى نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه فى الجنة أدل منه بمسكنه كان له فى الدنيا»[1].

**السبب الحادى عشر: ما يُهدى للعبد المؤمن من ثواب صدقة** أو قراءة أو حج أو نحو ذلك. فقد اتفق أهل السنة على أن الأموات من المؤمنين ينتفعون من سعى الأحياء بأمرين:

الأمر الأول: ما تسبب إليه الميت فى حياته، لما ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له أو علم ينتفع به من بعده»[2].

الأمر الثانى: دعاء المسلمين واستغفارهم والصدقة والحج، واختلفوا فى العبادات البدنية، كالصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر.

فذهب أبو حنيفة وأحمد وجمهور السلف إلى وصولها، والمشهور من مذهب الشافعى ومالك عدم وصولها.

والدليل على انتفاع الميت بأشياء لم يتسبب فيها قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ [الحشر: ١٠].

فأثنى سبحانه وتعالى عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم، فدل على انتفاعهم باستغفار الأحياء.

وقد دل على انتفاع الميت بالدعاء إجماع الأمة على الدعاء له فى صلاة الجنازة.

والأدعية التى وردت بها السنة فى صلاة الجنازة مستفيضة، وكذلك الدعاء له

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم عن أبي هريرة - صحيح الجامع (٧٩٣).

بعد الدفن. وكان رسول الله ﷺ يُعلم الصحابة رضوان الله عليهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية»[١].

ويدل على وصول ثواب الصدقة للميت ما ورد في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، أن رجلا أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إن أمي افتلتت نفسها ولم توص، وأظنها لو تكلمت تصدقت، أفلها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: نعم[٢].

وقد ورد أكثر من حديث في هذا المعنى.

ويدل على وصول ثواب الصوم ما ورد في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه»[٣].

ويدل على وصول ثواب الحج ما ورد في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة من جُهينة جاءت إلى النبي ﷺ، فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: حُجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين، أكنت قاضيته؟ أقضوا الله فالله أحق بالوفاء»[٤].

وهذا لا يتناقض مع قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩] وقوله ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقوله: ﴿وَلا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤]، لأن الإنسان بدخول الإسلام وارتباطه بذلك مع إخوانه المسلمين برباط الأخوة الإيمانية وبحسن عشرته وإسداء الخير للناس، وتودده لهم، يكون ساعيا في حثهم على الدعاء له بعد مماته، والاستغفار والترحم عليه، وإهداء ثواب الطاعات له. فكان هذا الكسب أثرًا من آثار سعيه. فالقول بانتفاع الميت بما يُهدى إليه من إخوانه لا يتعارض مع تلك الآيات الكريمات، فإنها آيات

(١) أخرجه مسلم عن بريدة - باب ما يقال عند دخول القبر والدعاء لأهلها - كتاب الجنائز.
(٢) أخرجه مسلم عن عائشة - باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه - كتاب الزكاة.
(٣) متفق عليه عن عائشة - صحيح الجامع (٦٥٤٧).
(٤) أخرجه البخاري عن ابن عباس - باب الحج والنذور عن الميت والرجل يحج عن المرأة - كتاب جزاء الصيد

محكمة تقتضى عدل الله تعالى وتقتضى أنه لا يعاقب أحد بجرم غيره ولا يؤخذ بجريرة غيره وتقتضى أنه لا يفلح أحد إلا بعمله، لينقطع طمعه بعمل آبائه وسلفه ومشايخه.

إلا أنه يجدر بالملاحظة أن هناك بعض العادات والبدع لا تدخل فيما تقدم. وليس عليها دليل من الشرع ولم يقل بجوازها أحد من العلماء، مثل استئجار قوم يقرأون القرآن، ويهدونه للميت، فهذا العمل لم يجزه أحد. وإنما اختلف الفقهاء فى جواز الاستئجار على تعليم القرآن. وأما الاستئجار لقراءته وإهدائه للميت، أو الاستئجار لمن يصلى ويصوم ويهدى للميت، فهذا لا خلاف فى عدم جوازه. ولكن الذى يدخل فيما سبق يقتصر على قراءة القرآن وإهدائها للميت تطوعا بغير أجر[1].

* * *

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (صـ ٣٢٧ : ٣٣٠) ..... بتصرف.

# خطبة إبليس في النار

وأخيراً أخي الكريم فإني أختم لك تلك المشاهد التي لا تنتهي ولا تُعد ولا تُحصى ولكن خشية الإطالة أردت أن أكتفي بتلك المشاهد.

ولم يبق معي سوى هذا المشهد الأخير ألا وهو خطبة إبليس في النار لأهل النار.

فإنه إذا دخل أهل الجنة الجنة وإذا دخل أهل النار النار، فإن إبليس يقوم فيخطب فيهم تلك الخطبة المشهورة التي سطّرها القرآن على صفحاته في سورة إبراهيم عليه السلام ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢]

فيا له من مشهد تكتمل به الحسرات فهذا الشيطان الذي أضل الناس وأغواهم وأبعَدهم عن دين الله عز وجل يقول لهم تلك الحقيقة الكبرى ويخبرهم بأنه لم يكن له عليهم من سلطان سوى أنه دعاهم إلى الضلال فكانوا على استعداد للضلالة والبعد عن الله، ثم يتبرأ الشيطان من كفرهم بالله فيقول: ﴿كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾.

وهنا نعلم أن من رحمة الله جل وعلا، بل من كمال رحمته أنه أخبرنا بهذا المشهد في كتابه وبغيره من المشاهد لكي نحذر من الوقوع فيها وكان من المفترض أننا حينما نقرأ عن تلك المشاهد أن نتحصن بالإيمان ونحذر من الوقوع في شباك الشيطان، وأن نعتصم بالرحمن، ولكن على الرغم من أن آيات الله تُتلى على الناس ليلاً ونهاراً إلا أن الكثير من بني جلدتنا ما زالوا يخوضون مع الخائضين بعد أن اغتروا برؤية أكثر الناس وقد سلكوا طرق الضلال ولذا يقول الحق تبارك وتعالى عنهم: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ

﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ [المدثر : ٣٨ : ٤٥]. أى كلما غوى غاوٍ غوينا.

فما عليك أيها الأخ الكريم، إلا أن تعلم أن الإسلام تبعة فردية، وأن كل واحد سيسأل عن نفسه أولاً ثم عن رعيته ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء ١٣ : ١٥]

ومن هنا كان لزامًا على كل مسلم أن يسعى لفكاك رقبته من النار وأن يسعى ويُسرع الخطا إلى الله ممتثلاً قول الحق تبارك وتعالى ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه : ٨٤]

## ذنوب تجلب الحسرة فى الدنيا والآخرة

لابد أن نعلم أولاً علم اليقين أنه ليس هناك ذنب إلا وكانت عاقبته الحسرة الشديدة فى الدنيا والآخرة.

ونظرًا لكثرة الذنوب التى تُرتكب الآن فى تلك الحياة والتى نحارب بها الله ـ عز وجل ـ بالليل والنهار فإننى سأكتفى بذكر بعض الذنوب التى تجلب الحسرة على الإنسان ليكون ذلك حاديًا لنا لاجتنابها والبعد عنها، بل ولنجاهد أنفسنا مجاهدة على ترك المعاصى وعلى فعل الطاعات ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

وسوف نبدأ الحديث عن تلك الذنوب التى أخبر عنها النبى ﷺ أنها من الموبقات أى المهلكات فقال ﷺ : «اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم

الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»[1].

فبدأ النبى ﷺ بأكبر الكبائر ألا وهى الإشراك بالله جل وعلا.

يقول ابن الجوزى: لتعظمن على أهل المخالفات الآفات ولتقطعن أفئدة المفرطين بالزفرات وليشتهرن الفاجر فى الخلوات بالجلوات ولتمورن السُّوق يوم السَوق إلى سُوق المحاسبات ولتسيلن الدماء بعد الدموع على الوجنات وليتحسرن أهل المعاصى إذا لاحت درجات الجنات ولينادين منادى الجزاء يخبر بتفاوت العطاء ووقوع السيئات ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الجاثية: ٢١]

## • إنها الحسرة على كل من أشرك بالله (جل وعلا)

وذهب يطلب المدد من البدوى وغيره وذهب يذبح وينذر لغير الله ويعتقد أن النفع والضر بين المخلوقين وليست بيد الله جل وعلا فيعيش فى تلك الحياة، وقد انسلخ من ثوب الإيمان وارتدى ثوب الجحود والكفران فيُحرم من نعيم القرب من الرحمن ويعيش عيشة الذل والحرمان. . . . . إنها الحسرة عندما يخرج أهل الشرك على تلك الهيئة التى يصورها القرآن لنا، حيث يقول جل وعلا ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [المعارج: ٤٣ : ٤٤]

وقال ﷺ: «يجمع الله الناس يوم القيامة فى صعيدٍ واحد ثم يطّلع عليهم رب العالمين فيقول: ألا يتبع كل إنسان ما كان يعبد؟ فيُمثل لصاحب الصليب صليبه ولصاحب التصاوير تصاويره ولصاحب النار ناره، فيتبعون ما كانوا يعبدون ويبقى المسلمون فيطلع عليهم رب العالمين. . .»[2].

ثم بعد ذلك ينادى المشركون على آلهتهم فلا تستجيب لهم. ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا

(١) متفق عليه عن أبي هريرة - صحيح الجامع (١٤٤).
(٢) رواه الترمذي عن أبي هريرة وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٠٢٥).

شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُم فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾[الكهف : ٥٢]

وفى النهاية فالنار تجمع المشركين وآلهتهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لا يَسْمَعُونَ﴾[الأنبياء ٩٨ : ١٠٠]

## • إنها الحسرة على أهل الرياء

الذين بذلوا الغالى والنفيس وصلوا وصاموا وفعلوا كل الطاعات وما أرادوا بها وجه رب الأرض والسماوات، وإنما أرادوا من ورائها السمعة والرياء... فيأتى أحدهم بتلك الأعمال فيجد أن الله عز وجل قد جعلها هباءً منثورًا ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾[الفرقان : ٢٣]

فى الوقت الذى يكون فيه الإنسان أحوج ما يكون إلى حسنة واحدة ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[الزمر : ٤٧ : ٤٨]

وتكتمل حسرتهم عند معاينة هذا المشهد.. قال ﷺ: «إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت - فيك - حتى استُشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت ليقال جرىء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقى فى النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأُتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال: عالم، وقرأت القرآن، ليقال: هو قارئ، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار. ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأُتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن يُنفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت، ولكنك فعلت، ليقال: هو جواد،

فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار»(١).

بل يقول الله يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون فى الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً؟(٢).

## • إنها الحسرة على هؤلاء الذين عبدوا الشيطان من دون الله !!!!!

من دون الله فإذا ماتوا على هذا جاءوا يوم القيامة فينادى الحق جل وعلا عليهم بنداءٍ يقرع القلوب والأسماع قائلا لهم: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٦٤) الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٠ : ٦٥]

## • إنها الحسرة على من يذهبون إلى السحرة والعرافين

فقد أخبر النبى ﷺ بخسارتهم فى الدنيا والآخرة فقال: «من أتى عرافًا فسأله عن شىء لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة»(٣). وقال: «من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد»(٤)، فإن كان هذا هو حال من يذهب إلى السحرة والعرافين فكيف بحال السحرة والعرافين أنفسهم؟!

يقول النبى ﷺ عنهم: «ليس منا من تطير أو تُطير له أو تكهن أو تُكهن له أو تسحّر أو تُسحّر له»(٥). بل أخبر أن أعمالهم السحرية من السبع الموبقات (أى المهلكات التى تهلك صاحبها فى الدنيا والآخرة)، فقال ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات - وذكر منهم - والسحر»(٦).

---

(١) أخرجه مسلم وأحمد عن أبي هريرة - صحيح الجامع (٢٠١٤).
(٢) رواه أحمد عن محمود بن لبيد وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٥٥٥) - الصحيحة (٩٥١).
(٣) أخرجه مسلم وأحمد عن بعض أمهات المؤمنين - صحيح الجامع (٥٩٤٠).
(٤) رواه أحمد والحاكم عن أبي هريرة وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٣٩).
(٥) رواه الطبراني في الكبير عن عمران بن حصين وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٤٣٥).
(٦) متفق عليه عن أبي هريرة - صحيح الجامع (١٤٤).

## • إنها الحسرة على كل من قتل نفسًا بغير حق

فقد قال جل وعلا: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣]

وقال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ٣٢]

وأما حسرته فى الآخرة فقد أخبر بها الصادق المصدوق ﷺ، فقال: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة - وذكر منهم - ومطّلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه»[١]. فهو من أبغض الخلق إلى الله جل وعلا فى الدنيا والآخرة.

أما المشهد الثانى فيصوره لنا النبى ﷺ قائلاً: «يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده وأوداجه تشخب دمًا فيقول: يا رب سل هذا فيم قتلنى؟ حتى يدنيه من العرش»[٢].

قال ابن العربى: «ثبت النهى عن قتل البهيمة بغير حق والوعيد فى ذلك فكيف بقتل الآدمى فكيف بالمسلم فكيف بالتقى الصالح»[٣].

* * *

(١) أخرجه البخاري عن ابن عباس - صحيح الجامع (٤٠) - الصحيحة (٧٧٨).
(٢) رواه الترمذي والنسائي عن ابن عباس وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٠٣١).
(٣) فتح الباري (١٢/ ١٩٦).

## • إنها الحسرة لكل من ترك الحلال الذى أحله الله وذهب يتعامل بالربا

فأما حسرته فى الدنيا فيقول النبى ﷺ: « لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه وهم فيه سواء»[١]. وقال: «درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد عند الله من ستة وثلاثين زنية»[٢]. وقال: « الربا اثنان وسبعون بابًا أدناها مثل إتيان الرجل أمه وإن أربى الربا استطالة الرجل فى عرض أخيه»[٣].

بل إنه إذا ظهر الربا فى قوم فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله عز وجل: قال ﷺ «إذا ظهر الزنا والربا فى قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله»[٤].

وأما حسرة آكل الربا فى القبر فيقول ﷺ فى جزء من حديث طويل : «فانطلقا فأتينا على نهر ـ حسبت أنه كان يقول: «أحمر مثل الدم» ـ وإذا فى النهر رجل سابح يسبح وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ثم يأتى ذلك الذى قد جمع عنده الحجارة فيفغر فاه فليقمه حجرًا فينطلق يسبح ثم يرجع إليه كلما رجع إليه فغر فاه فألقمه حجرًا.

فلما سأل النبى وقال : ما هذان؟ قالا ـ : «وأما الرجل الذى أتيت عليه يسبح فى النهر ويلقم الحجر فإنه آكل الربا»[٥]. فهذا عذابه فى قبره وأما عن عذابه وحسرته يوم القيامة فقد قال جل وعلا: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾[البقرة : ٢٧٥]

أى أن الذين يأكلون الربا لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له وذلك أنه يقوم قيامًا منكرًا .

يقول ابن عباس : آكل الربا يُبعث يوم القيامة مجنونًا يخنق.

---

(١) أخرجه مسلم وأحمد عن جابر ــ صحيح الجامع (٥٠٩٠).

(٢) رواه أحمد والطبرانى فى الكبير عن عن الله بن حنظلة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٧٥).

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط عن البراء وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٥٣٧).

(٤) رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٧٩).

(٥) أخرجه البخارى عن سمرة بن جندب ـ كتاب التعبير ـ باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح.

## • إنها الحسرة على من أكل أموال اليتامى

قال ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات ـ وذكر منهم ـ وأكل مال اليتيم»(١).

قال جل وعلا مصورًا حسرتهم في الآخرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء : ١٠].

فهم يأكلون في بطونهم نارًا ومصيرهم ومآلهم إلى السعير عياذا بالله.

بل إنهم يفوتهم هذا الأجر العظيم الذى لا يدركه إلا من رحم اليتيم وحافظ على حقوقه.. قال ﷺ: «أنا وكافل اليتيم له أو لغيره في الجنة»(٢). وفي رواية: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ـ وأشار بالسبابة والوسطى ـ وفرق بينهما»(٣).

## • إنها الحسرة على من تولى يوم الزحف

فقد قال ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات ـ وذكر منهم ـ والتولى يوم الزحف»(٤).

وقال تعالى مصورًا مآلهم ومصيرهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ (١٥) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال ١٥ : ١٦].

## • إنها الحسرة على من قذف المحصنات الطاهرات

فقد قال ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات ـ وذكر منهم ـ وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»(٥)، وتأمل معى الحسرة في الآخرة فقد قال الحق جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٣ :

---

(١) سبق تخريجه

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط عن عائشة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٤٧٦).

(٣) أخرجه البخارى وأحمد والترمذى عن سهل بن سعد ـ صحيح الجامع (٢٤٧٥).

(٤) سبق تخريجه (٥) سبق تخريجه

٢٤] وياله من خزى يوم تشهد الجوارح على الإنسان بكل ما عمل وقال ﷺ: «من قذف مملوكه بالزنا يقام عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال»(١)

وقال: «من قذف مملوكه وهو برئ مما قال جُلد يوم القيامة حدًا إلا أن يكون كما قال»(٢). فإن كان هذا هو الحال مع المملوك فكيف بالحرة الطاهرة؟ .

# هجر القرآن

إنها الحسرة الشديدة على كل من هجر كتاب اللّه الذى قال عنه الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء : ٨٢]

والواقع فى تلك الأيام يشهد بهجر الأمة المسلمة لكتاب ربها سبحانه وتعالى فتجد المسلم يقضى الساعات والساعات أمام المباريات والمسلسلات والأفلام وعلى المقاهى بل وفى قراءة المجلات وحل الكلمات المتقاطعة ولا يفكر أبدًا أن يقضى ساعة واحدة مع كتاب ربه الذى يأخذه إلى الجنة تارة فيشتاق إليها فيعمل من أجل أن يفوز بها ويأخذه إلى النار تارة فيرتدع ويخشى دخولها ويرجع عن المعاصى ويسرع الخُطا فى طاعة اللّه عز وجل.

بل إن القرآن اليوم أصبح علامة على الحزن عند الكثير من بنى جلدتنا والواقع يشهد بذلك فإن الإنسان إذا سمع قرآنا ينبعث من بيت جاره يتبادر إلى ذهنه سؤالاً واحدًا «هل مات عنده أحد؟!!» أما إذا سمع الغناء والرقص من بيت جاره فلا يتبادر إلى ذهنه إلا سؤالاً واحدًا «هل عنده فرح أو مناسبة سعيدة؟!!» وإنا للّه وإنا إليه راجعون!!!

ولذا فإن الأمة لما التمست النصرة والعز والتمكين والسعادة فى غير كتاب ربها أذلها اللّه لأذل الأمم من أبناء القردة والخنازير. . . . . والجزاء من جنس العمل ولا يظلم ربك أحدًا!!!.

ولن يتبدل وينقشع غبار هذا الذل عن الأمة حتى ترجع إلى ربها وإلى كتاب

---

(١) أخرجه مسلم عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٦٤٦٢).

(٢) متفق عليه عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٦٤٦٣)

ربها وسنة نبيها ﷺ ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد : ١١].

إنه كتاب الله المعجز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه..... إنه الكتاب الذى لا تنقضى عجائبه ولا غرائبه..... إنه الكتاب الذى ينير القلوب ويشرح الصدور﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد : ٢٨]

فأما الحسرة التى يجنيها هاجر القرآن فى الدنيا هى أنه يُحرم محبة الله جل وعلا لأن القرآن كلام الرحمن يحب من أحبه ويبغض من أبغضه. ثم إن هاجر القرآن يُحرم من الخير الذى أخبر عنه ﷺ بقوله : «وما اجتمع قومٌ فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده». ومن أجل ذلك قال ﷺ فى آخر الحديث : «ومن بطأ به عمله لم يُسرع به نسبه»(١).

أى أن من هجر القرآن وابتعد عن مدارسته وبطأ به عمله الصالح لم ينفعه نسبٌ ولا قرابة ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] وهاجر القرآن قال عنه الحق جل وعلا ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ هذا عذابه فى الدنيا أما فى الآخرة قال الحق ــ جل وعلا ــ ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه : ١٢٤ : ١٢٧].

ولقد وصف الله جل وعلا حال من هجر القرآن فى الآخرة فقال: ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا (٩٩) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (١٠٠) خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً (١٠١) يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ٩٩ : ١٠٢] . وياله من مشهد تقشعر منه الجلود وتتفطر منه القلوب الحية إنه مشهد المعرضين عن القرآن وعن ذكر الله جل وعلا!!!

وهاجر القرآن يُحرم من شفاعة القرآن فى القبر ويوم القيامة فيتحسر حيث لا

---

(١) اخرجه مسلم عن أبى هريرة ـ باب فى الاجتماع على تلاوة كتاب الله تعالى ــ كتاب الذكر .

تنفعه الحسرة . . . . . قال ﷺ: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابة»[(١)]. وقال موضحًا شفاعة القرآن «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام أى رب إنى منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه ويقول القرآن رب منعته النوم بالليل فشفعنى فيه فيشفعان»[(٢)].

وأخيرًا أسوق إليك ياأخى هذا المشهد العظيم من مشاهد الآخرة حيث يقول الحق جل وعلا: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾ تناديهم الملائكة ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ثم يأتى المشهد الآخر ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ (الحديد: ١١، ١٢).

إنهم يقولون للمؤمنين انتظرونا أو انظروا إلينا نقتبس من نوركم فلقد أنطفأ نورنا «قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورًا» أى ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا نورًا فإن هذا النور أتينا به من الدنيا بالعمل الصالح وقراءة القرآن . . . ثم كانت النتيجة «فضُرب بينهم بسورٍ له باب» وهو سور الأعراف «باطنه فيه الرحمة» من ناحية المؤمنين «وظاهره من قبله العذاب» من ناحية الكفار «ينادونهم ألم نكن معكم» ينادى المنافقون على المؤمنين ألم نكن معكم فى الدنيا «قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر اللّه وغركم باللّه الغرور» فكان الحكم النهائى من عند الواحد الديان «فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هى مولاكم وبئس المصير» وبعد تلك المشاهد العظيمة ينادى الحق جل وعلا على كل مؤمن لينقذ نفسه قبل أن يقع فى تلك الحسرة قائلا له ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾
[الحديد : ١٦]

أما آن الأوان للأمة المسلمة لكى ترجع إلى القرآن فتقرأه وتعمل بمافيه وتقيم

---

(١) أخرجه مسلم عن أبى أمامة ـ صحيح الجامع (١١٦٥).

(٢) رواه أحمد والحاكم والطبرانى فى الكبير عن ابن عمرو وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٨٨٢).

شرعه وحدوده وتتبع منهاجه؟!!!.

ولذلك يا أخى الحبيب أقول لك: احرص على فهم كتاب الله والعمل بما فيه قبل أن يأتى علينا زمان لا نجد فيه آية واحدة من كتاب الله كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ حيث قال: «يدرس الإسلام كما يدرس وشى الثوب حتى لا يُدرى ما صيام ولا صلاة ولانسك ولا صدقة ويسرى على كتاب الله فى ليلة فلا يبقى فى الأرض منه آية»[1] . . . . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

قال ابن مسعود : ليُنزعن القرآن من بين أظهركم يُسرى عليه ليلاً فيذهب من أجواف الرجال فلا يبقى فى الأرض منه شئ.

وقال ابن تيمية : يُسرى فى آخر الزمان بالقرآن من المصاحف والصدور فلا يبقى فى الصدور منه كلمة ولا فى المصاحف منه حرف.

وكل ذلك لأن الأمة هجرت كتاب الله فهى لا تستحق أن يبقى بينهم ولذا فإن النبى ﷺ رفع أكف الضراعة إلى فاطر السماوات والأرض ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (٣٠) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان : ٣٠ : ٣١]

فيا أمة الإسلام عودى إلى النبع الصافى والمعين الفياض إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فإنه لا نجاة إلا بالاعتصام بهما.

## الأمة المسلمة فى أشد الحاجة إلى قميص كقميص يوسف عليه السلام

تالله إن الأمة المسلمة فى أشد الحاجة إلى قميصٍ كقميص يوسف عليه السلام الذى لما أُلقى على وجه أبيه يعقوب عليه السلام ارتد بصيراً فالأمة تحتاج إلى ذلك القميص ليُلقى على وجهها فترتد مبصرة لترى طريقها إلى الله جل وعلا وتسعى لخلاصها من رق العبودية لغير الله لتسجد بين يدى الله ولسان حال الأمة بأكملها ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه : ٨٤] .

---

(١) رواه ابن ماجة والحاكم عن حذيفة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨٠٧٧).

# وقفوهم إنهم مسئولون ( الراعى والرعية )

إنها الحسرة على الراعى الذى ضيع رعيته عندما يأتى يوم القيامة ويسمع قول الحق ـ جل وعلا ـ ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ (٢٥) بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾ [الصافات: ٢٤ : ٢٦] وقد حذرهم النبى ﷺ فى الدنيا قائلا لهم: «كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته»[١] فمن ظلم رعيته وجد العذاب الذى أخبر عنه النبى ﷺ : «أشد الناس يوم القيامة عذابًا إمام جائر»[٢] ثم تكون تمام الحسرة بأن يحرمه اللّه رائحة الجنة. قال ﷺ : «ما من عبدٍ يسترعيه اللّه ـ عز وجل ـ رعية يموت يوم يموت وهو غاشٌ لرعيته إلا حرم اللّه عليه الجنة»[٣] وأخيراً تأمل قول الحق جل وعلا : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [ الشعراء: ٢٢٧ ] .

# الأسرة المسلمة والأمانة الضائعة

لقد أمر الله المؤمنين بحمل تلك الأمانة العظيمة فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦] . فخانوا تلك الأمانة فكان حالهم يوم القيامة كما أخبر الحق جل وعلا ﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ [الزمر : ١٥]

فقد خسروا أنفسهم فى الدنيا لبُعدهم عن اللّه جل وعلا وإدخال الفساد إلى بيوتهم فكان الواحد منهم سببًا فى فساد أولاده وأزواجه وكان سببًا فى حرمانهم من دخول الجنة فقضى اللّه بحرمانه من الجنة. . . . والجزاء من جنس العمل كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ : «ثلاثة قد حرّم اللّه عليهم الجنة. وذكر منهم ـ

(١) متفق عليه عن ابن عمر ـ صحيح الجامع (٤٥٦٩).
(٢) رواه أبو يعلى والطبرانى فى الأوسط عن أبى سعيد وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٠٠١)
(٣) متفق عليه عن معقل بن يسار ـ صحيح الجامع (٥٧٤٠).

والديوث الذى يُقر فى أهله الخبث»(١) .

وكل ذلك لأن الآباء فى زمـاننا هذا قد قدموا اسـتقالة جمـاعية من وظيفـتهم الأساسية ألا وهى تربية الأبناء من خلال النبع الصافى كتاب اللّه وسنة رسول اللّه ﷺ فأصبح لسان حال كل واحد منهم :

بعضى على بعض يُجرد سيفه والسهم منى نحـو صدرى يُرسلُ
النار تـوقد فى خيـام عشيرتى وأنـا الـذى يا للمصيبة أُشعـلُ

## حسرة علماء السوء

إن العلماء هـم ورثة الأنبياء وقد أثنـى اللّه عليهم ثناءًا عظيـمًا فى كتابـه فقال ﴿إنما يخشى اللّه من عباده العلماء﴾ [فاطر : ٢٨] .

وقال: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة : ١١]

وقال ﷺ: «من يرد اللّه به خيرًا يفقهه فى الدين»(٢) .

وعلى الرغم من ذلك فإننا نجد أناسًا قـد تعلموا العلم ولم يعملوا به . . . وما علم هؤلاء أن المقصـد الأسمى من هذا العلم هو أن نتعبـد به للّه - جل وعلا - ولكنهم خانوا الأمانة فجاءتهم مشاهد الحسرة من كل حدب وصوب.

قال اللّه موبخًا لهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ② كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف : ٢ : ٣] وقال: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة : ٤٤]

ثم أخبر النبى ﷺ بعاقبتهم فى الآخرة فقال ﷺ: « يجاء بالرجل يوم القيامة فُيلقى فى النار فتندلق أقتابه(٣) فيدور بها فى النار كمـا يدور الحمار برحاه فيطيف به أهل النار فـيقولـون: يافلان ما أصـابك ألم تكن تأمـرنا بالمعروف وتنهـانا عن المنكر؟ فيقول: بلى قد كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه»(٤).

---

(١) رواه أحمد عن ابن عمر وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٠٥٢).
(٢) متفق عليه عن معاوية ـ صحيح الجامع (٦٦١١). (٣) أقتابه: أمعاؤه
(٤) متفق عليه عن أسامة بن زيد ـ صحيح الجامع (٨٠٢٢) ـ الصحيحة (٢٩١).

وأما المشهد الثانى لعلماء السوء ألا وهو مشهد عاقبة كتمان العلم. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[البقرة : ١٥٩].

فهذا جزاؤهم فى الدنيا أنهم ملعونون أى مطرودون من رحمة الله جل وعلا وأما جزاؤهم فى الآخرة فقد قال ﷺ: «من سُئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار»[1].

وأما المشهد الثالث لعلماء السوء فهو إرادتهم الدنيا وحظوظها من وراء هذا العلم قال ﷺ: «من تعلم علمًا مما يُبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»[2]. وعرف الجنة يعنى ريحها وقال ﷺ «من تعلم العلم ليباهى به العلماء أو يمارى به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله جهنم»[3]. وقد أخبرنا النبى ﷺ بهذا المشهد العظيم من مشاهد يوم القيامة ألا وهو مشهد علماء السوء وهم يتساقطون فى النار بعد أن جعلهم الله أول ما تسعر بهم النار عياذًا بالله.. قال ﷺ: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتى به، فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت ليقال جرئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتى به فعرفه نعمه، فعرفها، قال : فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئٌ فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار، ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل: ثم أمر به فسحب على وجهه، ثم ألقى فى النار»[4].

---

(١) رواه أحمد والحاكم عن أبى هريرة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٨٤).

(٢) رواه أحمد وأبو داود والحاكم عن أبى هريرة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦١٥٩).

(٣) رواه ابن ماجة عن أبى هريرة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦١٥٨).

(٤) أخرجه مسلم وأحمد والنسائى عن أبى هريرة ــ صحيح الجامع (٢٠١٤).

وأما المشهد الرابع لعلماء السوء فهو كذبهم على الله وعلى رسول الله ﷺ قال تعالى مصورًا أحوالهم فى الآخرة ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر : ٦٠] .

وقال ﷺ: «ومن كذب علىّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»[1]. وعلماء السوء يوم القيامة يتحسرون على كل ذلك أشد الحسرة ولكن الخزى والحسرة الشديدة سوف يجدونها عند وقوفهم بين يدى الله جل وعلا ليسألهم عن أمانة العلم الذى جعله الله فى صدورهم ولكنهم خانوا تلك الأمانة.

قال ﷺ : «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمس - وذكر منهم - وماذا عمل فيما علم؟»[2] .

فبأى شئ يرد هؤلاء على سؤال الحق تبارك وتعالى عندما يسألهم ما الذى جعلكم تخافون من قولة الحق . . . أخشيتم الناس ولم تخشون ﴿أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين﴾ [التوبة : ١٣] .

فو الله إنها لمشاهد عظيمة فأريدوا ياإخوانى بعلمكم وجه الله واعملوا بما علمتم ولا تكتموا هذا العلم، وانطلقوا فى الدعوة إلى الله ــ جل وعلا ــ وقولوا كلمة الحق ولا تخشوا فى الله لومة لائم فقد قال ﷺ : «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»[3].

● **إنها الحسرة على من ترك الصلاة ....** فقد حكم الله ــ جل وعلا ــ بخسرانه فى الدنيا والآخرة فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون : ٩]

قال المفسرون: المراد بذكر الله فى هذه الآية : الصلوات الخمس . . . . فمن تركها فهو من الخاسرين.

---

(١) أخرجه البخارى والترمذى عن ابن عمرو - صحيح الجامع (٢٨٣٧).
(٢) رواه الترمذى عن ابن مسعود وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٢٩٩)
(٣) رواه الحاكم والضياء عن جابر وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٧٥).

ثم تأتى الحسرة الثانية وهى أن تارك الصلاة لا يتحصل على تلك البراءة من النفاق ومن النار كما أخبر النبى ﷺ : «من صلى للّه أربعين يومًا فى جماعة يدرك التكبيرة الأولى كُتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق»[1] .

فيا لها من حسرة!؟؟

وأما الحسرة الثالثة لتارك الصلاة فهى عذابه فى قبره كما أخبر النبى ﷺ فى جزءٍ من حديث طويل وفيه : «وإنا أتينا على رجل مضطجع وإذا آخر قائم عليه بصخرة وإذا هو يهوى بالصخرة لرأسه فيثلغ[2] رأسه فيتدهده[3] الحجر ها هنا فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثلما فعل به المرة الأولى» قال : «قلت لهما : سبحان اللّه ما هذا؟» ـ فكان الرد ـ «أما الرجل الذى أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ بالقرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة»[4] .

وأما الحسرة الرابعة لتارك الصلاة فهى التى أخبر عنها الحق ـ جل وعلا ـ بقوله ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [القلم : ٤٢ : ٤٣] .

قال سعيد بن المسيب: كانوا يسمعون «حى على الصلاة حى على الفلاح» فلا يجيبون وهم أصحاء سالمون. . . . . فكل من حافظ على الصلاة فى الدنيا يسجد للّه فى الآخرة أما من تركها فى الدنيا فإن اللّه يسلبه نعمة السجود فى الآخرة.

وأما الحسرة الخامسة: لتارك الصلاة فهو ما رواه الإمام أحمد بسند جيد ـ أنه ﷺ قال عن الصلاة: «من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأُبىّ بن خلف».

(١) رواه الترمذى أنس وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٣٦٥).
(٢) يثلغ : أى يشدخه . (٣) يتدهده: أى يتدحرج.
(٤) سبق تخريجه .

قال بعض العلماء رحمهم اللّه : وإنما يُحشر تارك الصلاة مع هؤلاء الأربعة لأنه إنما يشتغل عن الصلاة بماله أو بُملكه أو بوزارته أو بتجارته... فإن اشتغل بماله حُشر مع قارون وإن اشتغل بملكه حُشر مع فرعون وإن اشتغل بوزارته حشر مع هامان وإن اشتغل بتجارته حُشر مع أبى بن خلف تاجر الكفار بمكة[1].

وأما الحسرة السادسة لتارك الصلاة وهى أن اللّه - جل وعلا - قد أخبر عن عقوبة من يصلى ولكنه يؤخر الصلاة عن وقتها فقال: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم : ٥٩]

قال ابن عباس رضي الله عنهما: والمصرّ على هذه الحالة ولم يتب وعده اللّه بغىّ وهو وادٍ فى جهنم بعيد قعره خبيث طعمه..... وقال أيضًا : وإضاعة الصلاة هنا ليس تركها بالكلية وإنما تأخيرها عن وقتها.

وأما الحسرة السابعة لتارك الصلاة فتراها فى قوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر : ٣٨:٤٨]

فمن ترك الصلاة ولم يسجد للّه يُحشر يوم القيامة فى وادى سقر عياذا باللّه .

وروى أنه أول من يسوّد يوم القيامة وجوه تاركى الصلاة وأن فى جهنم واديًا يقال له : (لملم) فيه حيات : كل حية بثخن رقبة البعير طولها مسيرة شهر تلسع تارك الصلاة فيغلى سمها فى جسمه سبعين سنة ثم يتهرى لحمه. فيا لها من حسرة.

* * *

(١) الكبائر للإمام الذهبى ـ تحقيق د . أسامة عبد العظيم ـ صـ ٤٩

## إنها الحسرة على من منع الزكاة ولم يخرجها

فأما حسرته فى الدنيا فإن الله ينزع البركة من ماله ويسلط عليه حب الدنيا التى هى رأس كل خطيئة.

وأما حسراته فى الآخرة فهى كثيرة: أما الحسرة الأولى فإنه يحرم من الخير الذى أخبر عنه النبى ﷺ حيث يقول: «لا يتصدق أحدٌ بتمرةٍ من كسب طيب إلا أخذها الله بيمينه فيربيها كما يربى أحدكم فلوه[1] أو قلوصه[2] حتى تكون مثل الجبل أو أعظم»[3].

أما الحسرة الثانية فتراها واضحة جلية فى ذلك المشهد الذى أخبر عنه الحق ـ جل وعلا ـ حيث يقول: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة : ٣٤ : ٣٥]

وياله من مشهد عظيم، والسؤال هنا لماذا اختار الله الجبهة والجنب والظهر دون سائر الجسد ؟!

والجواب عن ذلك أن الفقير كان فى الدنيا إذا ذهب إلى الغنى ليسأله أن يعطيه مما أعطاه الله فإن الغنى يعبس بجبهته فى وجه الفقير فإذا تكرر السؤال من الفقير فإن الغنى يعطيه جانبه فإذا ازداد إلحاح الفقير فإن الغنى يعطيه ظهره!! فاختار الله عز وجل تلك المواطن الثلاث التى أعرض بها الغنى عن الفقير لتعذب بنفس أمواله بعد أن يُحمى عليها فى نار جهنم... وهذا ما أخبر عنه النبى ﷺ أيضًا حيث يقول: «مامن صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صُفحت له صفائح من نار فأحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أُعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»[4].

أما الحسرة الثالثة لمانع الزكاة فهى التى أخبر عنه النبى ﷺ فى هذا المشهد من

(١) الفلو : هو المُهر الصغير. (٢) القلوص : الناقة الشابة.
(٣) أخرجه مسلم عن أبى هريرة ـ باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها ـ كتاب الزكاة.
(٤) أخرجه مسلم عن أبى هريرة ـ باب فيمن لا يؤدى الزكاة ـ كتاب الزكاة.

مشاهد يوم القيامة حيث يقول:

«من آتاه اللّه مالاً فلم يؤد زكاته مُثّل له يوم القيامة شجاعًا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه ــ يعنى شدقيه ــ ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك. ثم تلا ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ....﴾ (آل عمران: ١٨٨)»[1].

## • إنها الحسرة على من ترك الصيام بلا عذر ولا رخصة

فإنه يُحرم الخير الذى يناله الصائم فقد قال جل وعلا: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به»[2]. وإن كان اللّه - جل وعلا - لم يوضح الأجر المترتب على الصيام فمن المعلوم أن الجزاء سيكون جزاءاً يليق بجلال اللّه.

وأما الحسرة الثانية فهى التى أخبر عنها النبى ﷺ حيث أخبر عن عذاب القبر لكل من ترك الصيام متعمداً بلا عذر ولا رخصة فقال: «بينما أنا نائم أتانى رجلان فأخذا بضَبعى فأتيا بى جبلاً وعراً فقالا: اصعد. فقلت: إنى لا أطيقه. فقالا: إنا سنسهله لك... فصعدت حتى إذا كنت فى سواء الجبل. إذا بأصوات شديدة قلت: ما هذه الأصوات؟ قالوا: هذا عواء أهل النار ثم انطلق بى فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم مشققة أشداقهم تسيل أشداقهم دمًا. قال: قلت: من هؤلاء؟ قال: الذين يفطرون قبل تحلة صومهم»[3].

وأما الحسرة الثالثة فهى حرمانهم من دخول الجنة مع أهل الصيام من باب الريان وهو باب من أبواب الجنة لا يدخله إلا الصائمون.

قال الذهبى: عند المؤمنين مقرر أن من ترك صوم رمضان بلا مرضٍ ولا عذر أنه شرٌ من المكّاس ومدمن الخمر.

## • إنها الحسرة لكل من ترك الحج تعمداً مع قدرته عليه.

فإنه يحرم من الثواب الذى أخبر عنه النبى ﷺ حيث يقول: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»[4]

---

(١) أخرجه البخارى عن أبى هريرة ــ باب إثم مانع الزكاة ــ كتاب الزكاة.

(٢) متفق عليه عن أبى هريرة ــ صحيح الجامع (٤٣٢٨).

(٣) أخرجه النسائى فى الكبرى وابن خزيمة وابن حبان والحاكم فى المستدرك وصححه ووافقه الذهبى، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٩٩٥)

(٤) متفق عليه عن أبى هريرة ــ صحيح الجامع (٤١٣٦) ــ الصحيحة (١٢٠٠).

وقال: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خَبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة»[1].

وأما الحسرة الثانية فإن النبى ﷺ أخبر عنها بقوله: «من ملك زادًا وراحلة تبلغه إلى بيت الله الحرام ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديًا أو نصرانيًا وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ (آل عمران: ٩٧)[2].

وقال عمر رضي الله عنه: من أطاق الحج فلم يحج فسواء عليه مات يهوديًا أو نصرانيًا.

وقال أيضًا: لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا إلى كل من كان عنده جدة فلم يحج فيضربوا عليهم الجزية... ما هم بمسلمين !!!

**• إنها الحسرة على من عق والديه:**

فأما الحسرة الأولى فإن الله يعجل العقوبة فى الدنيا قبل الآخرة لعاق والديه ... قال ﷺ: «بابان معجلان عقوبتهما فى الدنيا: البغى والعقوق»[3].... وكذلك فإن الله ينزع البركة من رزقه ويسلط عليه أولاده فيفعلون معه مثل الذى كان يفعله مع والديه... قال ﷺ: «من سره أن يُبسط عليه رزقه ويُنسأ فى أثره فليصل رحمه»[4]... فيُفهم من الحديث أن من قطع رحمه فإن الله لا يبسط له رزقه بل لايبارك له فيه... وأما عن تسليط الأبناء على من عق والديه فأسوق إليكم تلك القصة لنعتبر: كان هناك رجل يرعى والده فى بيته حقبه من الزمان ثم سئمه وأراد أن يتخلص منه فقال: يا والدى هيا نخرج سويًا إلى الصحراء لنشم الهواء فركب والده على فرسه. ولما وصلوا إلى الصحراء قال الابن لأبيه: إنزل يا أبى. فقال الأب: كيف أنزل يابنى فى هذا المكان الموحش وماذا تريد منى؟ قال الابن: أريد أن أذبحك فقد أسأمتنى وأمللتنى!! فتعجب الرجل وقال لابنه: يا بنى

(١) رواه أبو نعيم فى الحلية عن أبى هريرة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦١٦٢).

(٢) صحيح موقوفًا على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ وأخرجه الترمذى وقال هذا حديث غريب وفى إسناده مقال ـ وضعفه الشيخ الألبانى فى ضعيف الجامع (٥٨٧٢) وقد صحح وقفه الحافظ ابن كثير فى تفسيره (١/ ٣٨٧) عن عمر رضي الله عنه .

(٣) رواه الحاكم فى المستدرك عن أنس وصححه الألبانى فى صحيح الجامع(٢٨١٠) ـ الصحيحه. (١١٢٠)

(٤) أخرجه مسلم عن أنس ـ باب صلة الرحم تزيد فى العمر ـ كتاب البر والصلة.

هل هذا هو جزاء إحسانى إليك؟ فقال له ابنه: لا بد أن أذبحك.. فقال له الأب: يا بنى إن كنت مصرًّا علـى قتلى فاقتلنى عند الصخرة الـتى هناك ولا تقتلنى عند هذه الصخرة!! فتعجب الابن وقال: ياوالدى وما ضرك أن أذبحك هنا أو هناك؟! قال الأب: يابنى إن كان الجزاء من جنس العمـل فاذبحنى عند الصخرة التى هناك فلقد ذبحت أبى هناك ولك يا بنى مثلها والجزاء من جنس العمل وكما تدين تدان!

وأما عن حسرة من عق والديه فى الآخرة فقد أخبر عنهاﷺ بقوله :

«ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة - وذكر منهم - العاق لوالديه . وثلاثة لا يدخلون الجنة - وذكر منهم - العاق لوالديه»[1] .

وعن عمـرو بن مرة الجهنى ﷺ قال «جـاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول اللـه وصليت الخمس وأديت زكاة مالى وصمت رمضان فمـا لى؟»، فقال النبى ﷺ : «من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة - هكذا ونصب أصبعيه - ما لم يعق والديه»[2] . فعلق النبى قبول تلك الأعمال فى الآخـرة على كونه لم يعق والديه فإن كان عاقًا لم يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً.

## • إنها الحسرة على كل ظالم فى الدنيا والآخرة

أما حسرة الظالم فـى الدنيا فإن الله جل وعلا يستجيـب لكل من دعا عليه من المظلومين.... كما قال ﷺ : «اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تُحمل على الغمام يقول الله: وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين»[3] ،

وقال ﷺ : «اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرًا فإنه ليس دونها حجاب»[4] .

وعن عبد الله بـن سلام قال: إن الله ـ تعالى ـ لما خلق الخلـق؛ واستووا على أقدامهم رفعوا رؤوسهم إلى السماء، وقالوا: يا رب مع من أنت؟

قال: مع المظلوم حتى يؤدَى إليه حقه.

---

(١) رواه أحمد والنسائي والحاكم عن ابن عمرو وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٧١).
(٢) رواه أحمد والطبراني بإسنادين أحدهما صحيح - وأورده الذهبي في كتاب الكبائر (٣/ ٢٢١).
(٣) رواه الطبراني في الكبير عن خزيمة بن ثابت وصححه الألباني في صحيح الجامع (١١٧).
(٤) رواه أحمد وأبو يعلى عن أنس وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١١٩).

وأما عن حسرته يوم القيامة فعن أبى أمامة قال: يجىء الظالم يوم القيامة، حتى إذا كان على جسر جهنم لقيه المظلوم، وعرفه ما ظلمه به، فما يبرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينزعوا ما بأيديهم من الحسنات، فإن لم يجدوا لهم حسنات حَملوا عليهم من سيئاتهم مثل ما ظلموهم حتى يردوا إلى الدرك الأسفل من النار.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: يؤخذ بيد العبد أو الأمة ـ يوم القيامة ـ فينادى به على رؤوس الخلائق: هذا فلان ابن فلان، من كان له عليه حق فليأت إلى حقه.

قال: فتفرح المرأة أن يكون لها حق على أبيها أو أخيها أو زوجها، ثم قرأ:

﴿ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

قال: فيغفر الله من حقه ما شاء، ولا يغفر من حقوق الناس شيئا.

فيُنصب العبد للناس ثم يقول الله ـ تعالى ـ لأصحاب الحقوق: ائتوا إلى حقوقكم قال ـ فيقول الله تعالى للملائكة: خذوا من أعماله الصالحة، فأعطوا كل ذى حق حقه بقدر مظلمته.

فإن كان وليًا لله، وفضل له مثقال ذرة، ضاعفها الله تعالى له حتى يدخله الجنة بها، وإن كان عبدًا شقيا، ولم يفضل له شيء فتقول الملائكة: ربنا فنيت حسناته وبقى طالبوه: فيقول الله: خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته. ثم صّك له صكًا إلى النار.

ويؤيد ذلك ما تقدم من قول النبى ﷺ: «أتدرون من المفلس....»

وعن وهب بن منبه قال: بنى جبار من الجبابرة قصراً وشيده، فجاءت عجوز فقيرة فبنت إلى جانبه كوخا تأوى إليه.

فركب الجبار يومًا وطاف حول القصر، فرأى الكوخ فقال: لمن هذا؟

قيل: لامرأة فقيرة، تأوى إليه، فأمر به فهدم.

فجاءت العجوز فرأته مهدومًا فقالت: من هدمه؟

فقيل: الملك رآه فهدمه.

فرفعت العجوز رأسها إلى السماء، وقالت: يارب إذا لم أكن أنا حاضرة، فأين

كنت أنت؟

قال: فأمر الله جبريل أن يقلب القصر على من فيه؛ فقلبه!!!.

ومما ذُكر أن كسرى اتخذ مؤدبًا لولده يعلمه ويؤدبه، حتى إذا بلغ الولد الغاية فى الفضل والأدب استحضره المؤدب يومًا، وضربه ضربًا شديدًا من غير جرم ولا سبب، فحقد الولد على المعلم، إلى أن كبر، ومات أبوه، فتولى الملك بعده، فاستحضر المعلم، وقال له: ما حملك على أن ضربتنى - فى يوم كذا وكذا - ضربًا وجيعًا من غير جرم ولا سبب؟ فقال المعلم: اعلم أيها الملك لما بلغت الغاية فى الفضل والأدب، علمت أنك تنال الملك بعد أبيك، فأردت أن أذيقك ألم الضرب، وألم الظلم حتى لا تظلم أحدًا.

فقال: جزاك الله خيرًا، ثم أمر له بجائزة وصرفه[1].

قال ﷺ: «أشد الناس عذابًا للناس فى الدنيا أشد الناس عذابًا عند الله يوم القيامة»[2].

وأخيرًا استمع لنداء الحبيب ﷺ حيث يقول: «من كانت لأخيه مظلمة من عِرضٍ أو مال فليتحلله اليوم قبل أن يؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم، فإن كان له عملٌ صالحٌ أُخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له عمل أُخذ من سيئات صاحبه فجُعلت عليه»[3].

وحسبك يا أخى ما قاله الله فى حق الظالمين: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ

---

(١) كتاب الكبائر للإمام الذهبي - تحقيق د. أسامة عبد العظيم (صـ ٢١٠ : ٢١٢).

(٢) رواه أحمد عن خالد بن الوليد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٩٨).

(٣) أخرجه البخاري وأحمد عن أبي هريرة - صحيح الجامع (٦٥١١).

مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم: ٤٢ : ٥٢]

## • إنها الحسرة لكل من ترك سبل الحلال والعفة ووقع فى فاحشة الزنا

فأما حسرته فى الدنيا فإن الله قد شرع أشد القتلات على أهل الزنا، بل أمر الله جل وعلا أن يشهد المؤمنون عذاب الزانى وقتله.. وكذلك فإن من فعل ذلك فإن الله يسلط عليه من يفعل بأهله تلك الفاحشة، وكما تدين تدان، بل إن الله يعاقب الأمة بأكملها إذا ظهرت فيهم تلك الفاحشة واستحلوها وأعلنوا بها، فقد قال ﷺ: «يا معشر المهاجرين خصالٌ خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم الذين مضوا...»[1].

وأما الحسرة الثانية فهى أنهم يعذَّبون فى قبورهم فقد قال ﷺ فى جزء من حديث طويل: «فإذا بيت مبنى على بناء التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يوقد تحته نار فيه رجال ونساء عراة فإذا أوقدت ارتفعوا حتى يكادوا أن يخرجوا فإذا أخمدت رجعوا فيها فقلت: ما هذا؟» - فجاءت الإجابة فى آخر الحديث - «وأما الذى رأيت فى التنور فهم الزناة»[2]...... فيا له من عذاب شديد.

وأما حسرتهم فى الآخرة فقد أخبر عنها النبى ﷺ، حيث قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زانٍ وملك كذاب، وعائل مستكبر»[3].

---

(١) رواه ابن ماجه والحاكم في المستدرك عن ابن عمر وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٧٨).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) أخرجه مسلم والنسائى عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٣٠٦٩).

ولقد قال الإمام الذهبى فى كتـاب الكبائر: ورد أنه من وضع يده على امرأة لا تحل له بشهوة جـاء يوم القيامة مغلولة يده إلـى عنقه فإن قبّلها قُرضـت شفتاه فى النار فإن زنى بـها نطقت فخذه وشـهدت عليه يوم الـقيامة، وقالـت: أنا للحرام ركبت، فـينظر الله - تـعالى - إليه بـعين الغـضب، فيقع لحـم وجهه، فـيكابر ويقول: مـا فعلت، فيشـهد عليه لسانـه، فيقول: أنا بما لا يحل نـطقت، وتقول يداه: أنا للحرام تناولـت، وتقول عيناه: أنا للحرام نظرت، وتـقول رجلاه: أنا لما لا يحل مشيت، ويقول فرجه: أنا فعلت.

ويقول الحـافظ - من الملائكة -: وأنا سـمعت، ويقـول الآخر: وأنا كـتبت. ويقول الله تعالى: وأنا اطلعت وستـرت. ثم يقول الله: يا ملائكتى خذوه، ومن عذابى أذيقوه، فقد اشتد غضبى على من قل حياؤه.

وتصديـق ذلك فى كتاب اللـه عز وجل: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤][(١)].

## • إنها الحسرة لكل من وقع فى جريمة اللواط

أما حسرته فى الدنيا فإن الله قد جعـل عقوبة الفاعل والمفعول به هى القتل.. قال ﷺ: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به»[(٢)].

قال ابن عباس: «يُنظر أعلى بناء فى القرية فيُلقى منه ثم يُتبع بالحجارة كما فُعل بقوم لوط».

هذا بخلاف ما يصيبهم من الأمراض الفـتاكة التى تذهب برجولتهم ونخوتهم، قال ﷺ: «لم تظهر الفاحـشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشـا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا...»[(٣)].

ولقد عاقـب الله قوم لوط عقابًا شـديدًا فى الدنيا، وهذا مع مـا ينتظرهم من

---

(١) الكبائر للإمام الذهبي - تحقيق: د. أسامة عبد العظيم (صـ ٢٢٤).

(٢) رواه أحمد والحاكم عن ابن عباس وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥٨٩).

(٣) سبق تخريجه.

العقوبة فى الآخرة. . . ولشناعة تلك الجريمة وقبحها عاقب الله مرتكبيها بأربعة أنواع لم يجمعها على قومٍ غيرهم: وهى أنه طمس أعينهم وجعل أعالى قراهم سافلها وأمطرهم بحجارة من سجيل منضود، وأرسل عليهم الصيحة، وفى هذه الشريعة صار القتل بالسيف - على الراجح - هو عقوبة الفاعل والمفعول به إذا كان عن رضى واختيار.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «إن اللوطى إذا مات من غير توبة فإنه يُمسخ فى قبره خنزير». . . . وقال ﷺ: «لا ينظر الله ـ عز وجل ـ إلى رجل أتى رجلا، أو امرأة فى دبرها»(١).

وروى ـ كذلك ـ : «أن أربعة يصبحون فى غضب الله ويمسون فى سخط الله تعالى: المتشبهون من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال، والذى يأتى البهيمة والذى يأتى الرجال ـ يعنى: اللواط».

وروى أنه إذا ركب الذكرُ الذكرَ اهتز عرش الرحمن خوفًا من غضب الله ـ تعالى ـ وتكاد السموات أن تقع على الأرض، فتمسك الملائكة بأطرافها، وتقرأ (قل هو الله أحد) إلى آخرها، حتى يسكن غضب الله عز وجل.

وجاء فى الأثر: «سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولا يجمعهم مع العالمين ويدخلهم النار ـ فى أول الداخلين ـ إلا أن يتوبوا، ومن تاب تاب الله عليه: الناكح يده، والفاعل والمفعول به. . . . .»(٢).

## • إنها الحسرة على من ترك القرآن وعكف على سماع المعازف والغناء

فأما حسرة أهل الغناء ومن يستمعون الغناء فى الدنيا فإن الله يحجب عنهم نعمة التلذذ بالقرآن؛ لأنه لا يجتمع فى قلب عبدٍ قرآن الرحمن وقرآن الشيطان، ولذا قال الحق جل وعلا: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ [النجم: ٥٩ : ٦١].

---

(١) رواه الترمذي عن ابن عباس وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٠١).

(٢) الكبائر للإمام الذهبي ـ تحقيق د. أسامة عبد العظيم صـ ٢٢٧.

ففى تلك الآيات ينكر الحق جل وعلا على من يسمع القرآن ولا يبكى أو يتأثر به وكان السبب فى ذلك ﴿وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ والسمود هو الغناء بلغة أهل (حِمير).

وأما الحسرة الثانية لهم فقد أخبر عنها النبى ﷺ بقوله: «فى هذه الأمة خسف ومسخ وقذف. . . إذا ظهرت القيان ـ أى المغنيات ـ والمعازف وشُربت الخمور»(١).

وقال ﷺ ـ كما روى الترمذى: «إذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء» ـ فذكر منها ـ «إذا اتخذت القينات والمعازف».

ولعل الذى حدث فى بلاد الأندلس خير شاهد على ذلك، فإنها حُكمت بالإسلام قرابة ثمانية قرون، ولما استحلت المعازف والغناء والخمور استأصل الله شأفتهم وسلط عليهم من لا يعرفه وذهب حكم الإسلام من بينهم ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ١١٧]

يقول ابن مسعود : «إن الغناء ينبت النفاق فى القلب، كما ينبت البقل من المطر».

ولقد سُئل ابن عباس عن حكم الغناء فى الإسلام، فقال للسائل: «أيها السائل: إذا كان يوم القيامة وجىء بالحق والباطل، ففى أيهما يكون الغناء؟ قال: يكون فى الباطل. قال ابن عباس: والباطل فى الجنة أم فى النار؟ قال: فى النار. قال ابن عباس: اذهب فقد أفتيت نفسك».

يقول ابن القيم بعد ذكره لمستحلى الغناء: المسخ على صورة القردة والخنازير واقع فى هذه الأمة ولابد وهو فى طائفتين: فى علماء السوء الكاذبين على الله ورسوله. . الذينَ قلبوا دين الله وشرعه فقلب الله تعالى صورهم كما قلبوا دينه والمجاهرين المتهتكين بالفسق والمحارم(٢).

وأما حسرتهم فى الآخرة فقد روى ابن المبارك. . . عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «من جلس إلى قينة (مغنية) يسمع منها صُب فى أذنيه الآنك يوم القيامة»،

---

(١) رواه الترمذي عن عمران بن حصين وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٢٧٣).
(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (صـ ٣٤٥ : ٣٤٦).

والآنك هو الرصاص المذاب. . . بل إنه من يسمع الغناء فى الدنيا يُحرم من سماع غناء الحور العين فى الجنة، ذاك الغناء الذى تتمايل معه أغصان الجنة وثمارها.

## • إنها الحسرة على كل من شغلته الدنيا عن الآخرة

إن الله خلق الإنسان لأمانة عظيمة وخَطب جليل. . . . .

فقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات : ٥٦].

ولكننا نرى أن الدنيا قد سكنت قلـوب الخلق (إلا من رحم الله) فأبعدتهم عن الخالق جل وعلا، على الـرغم من أن الحبيب ﷺ قد حذر أمتـه من الدنيا قائلاً: «من أحب دنياه أضر بآخـرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا مـا يبقى على ما يفنى»[(١)]. وقال ﷺ: «ألا إن الدنيا ملعـونة ملعونٌ ما فيهـا إلا ذكر الله وماوالاه وعالمًا ومتعلمًا»[(٢)]. وقال ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»[(٣)].

وقال ﷺ: «والله ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع»[(٤)]. وعلى الرغم من ذلك فقـد استغشى الناس ثيـابهم ووضعوا أصابعـهم فى آذانهم وكأنهـم لم يسمعـوا صيحات النـذير من البشيـر النذير ﷺ وذهبوا يتمـرغون فى أوحال الدنيا ويزحفـون على أعتابها حتى إن الكـثير من بنى جلدتنا قد باع دينه بدنياه فكان كـمن اشترى لا شىء بكل شىء وباع كل شىء بلا شىء، ولا حول ولا قوة إلا بالله، . . . وهذا مـا أخبر عنه النبى ﷺ حيث قال: «بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم يصـبح الرجل مؤمنًا ويمسى كافرًا ويمسى مؤمنًا ويصبح كافرًا يبيع أحدهم دينه بعرضٍ من الدنيا قليل»[(٥)].

فأول حسرة يجدها أهل الدنيا هى فـقد محبة الله جل وعلا؛ لأن من زهد فى الدنيا أحبه الله ومن أراد الدنيا فإنه يفقد محبة الله عز وجل. . . ولقد جاء رجل

---

(١)أخرجه أحمد (٤/ ٤١٢) والبزار والطبراني والحاكم وصححه.
(٢)رواه ابن ماجه عن أبي هريرة وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٤١٤).
(٣)أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة ــ صحيح الجامع (٣٤١٢).
(٤)أخرجه مسلم وأحمد عن المستورد بن شداد ــ صحيح الجامع (٧١٠٠).
(٥)أخرجه مسلم والترمذي وأحمد عن أبي هريرة ــ صحيح الجامع (٢٨١٤).

إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله دلنى على عملٍ إذا عـملته أحبنى الله وأحبنى الناس فقال: «ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»[1].

وثانى تلك الحـسرات أنه يبيع ديـنه بعرض من الدنيا قـليل، كما أخـبر بذلك الحبيب ﷺ؛ لأن شهـوات الدنيا قـد زينها الشـيطان تزيينا لا يثـبت أمامـها إلا أصحاب العقيدة الراسخة الذين يعيشون فى الأرض وقلوبهم مشتاقة إلى الجنة.

وقد أسدى النبى ﷺ لأهل الإيمان النصـيحة الغالية قـائلاً لهم: «من أصبح منكم آمنًـا فى سربه معـافى فى جسده عـنده قوتُ يومه فـكأنما حيزت له الـدنيا بحذافيرها»[2].

وقال ﷺ : «من كانت الآخرة همّـه جعل الله غناه فى قلبه وجـمع له شمله وأتته الدنيا وهى راغمـة، ومَن كانت الدنيا همّه جعل الله فقـره بين عينيه، وفرّق عليه شمله ولـم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّر له»[3].

وأما عن مشـاهد الحسرة فى الآخرة لمن أحب الدنيا. . . . . يقـول ابن عباس: «يؤتى بالدنيـا يوم القيـامة فى صورة عجـوز شمطاء زرقاء، أنـيابها بادية ومـشوّه خلقها، فتشرف على الخلائق فيقـال لهـم: أتعرفون هذه؟ فيقولون: نعوذ بالله من معرفة هذه! فـيقال: هذه الدنيا التى تناحـرتم عليها، بها تقاطعـتم الأرحام، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم، ثم يقذف بها فى جهنم فتنادى: أى رب أين أتباعى وأشياعى؟ فيقول الله عز وجل: ألحقوا بها أتباعها وأشياعها».

وقال ﷺ مخبرًا عن هذا المشهد العظيم الذى يحدث يوم القيامة: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ فى جهنم صبغة ثم يقال له: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط؟ هل مرّ بك نعيم قـط؟ فيقول: لا والله يا رب. ويؤتى بأشد الناس بؤسًا فى الدنيا من أهل الجنة، فيُصبغ فى الجنة صبغة، فيقال له: يا ابن آدم

---

(١) رواه ابن ماجه والحاكم عن سهل بن سعد وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٢٢).
(٢) رواه الترمذي وابن ماجه والبخاري في الأدب المفرد ــ صحيح الجامع (٦٠٤٢).
(٣) رواه الترمذي عن أنس وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥١٠).

هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مرّ بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما مرّ بى بؤسٌ قط، ولا رأيت شدة قط»[(١)].

فهذا هو أنعم أهل الدنيا.. بغمسةٍ واحدة فى نار جهنم نسى كل هذا المتاع، وهذا أبأس أهل الدنيا بغمسة واحدة فى الجنة نسى هذا البؤس وتلك الشدة.

ومن أجل ذلك كان لزامًا علينا أن نجعل غايتنا وهدفنا ومقصدنا هو الاستعداد للآخرة.

لذا يقول النبى ﷺ : «من جعل الهموم همًا واحدًا همّ المعاد، كفاه الله سائر همومه، ومن تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا لم يبال الله فى أى أوديتها هلك»[(٢)].

ومن المعلوم أن الانشغال بالفانية عن الباقية يجلب الحسرة فى الدنيا قبل الآخرة؛ لأن الإنسان لا يستطيع أن يدرك كل ما يتمناه فى تلك الحياة، لذا تجده دائم الحسرة والندم على ما فاته وعلى ما يفوته من حظوظ الدنيا، ولم يعلم المسكين أن الدنيا دار ممر وليست بدار مقر.

ومن أجل ذلك فإن أول خطوة يخطوها العبد فى طريقه إلى الله هى أن يُخرج الدنيا من قلبه ولا يجعل فى قلبه سوى محبة الله جل وعلا.

يقول صاحب الإحياء رحمه الله : أما بعد: فإن الدنيا عدوة لله وعدوة لأولياء الله وعدوة لأعداء الله. أما عداوتها لله، فإنها قطعت الطريق على عباد الله. ولذلك لم ينظر الله إليها منذ خلقها. وأما عداوتها لأولياء الله عز وجل: فإنها تزينت لهم بزينتها وغمتهم بزهوتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر فى مقاطعتها. وأما عداوتها لأعداء الله: فإنها استدرجتهم بمكرها وكيدها فاقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها. وعولوا عليها فخذلتهم أحوج ما كانوا إليها. فاجتنوا منها حسرة تتقطع دونها الأكباد. ثم حرمتهم السعادة أبد الآباد. فهم على فراقها

---

(١) أخرجه مسلم وأحمد والنسائي عن أنس ـ صحيح الجامع (٨٠٠٠).

(٢) رواه ابن ماجه عن ابن مسعود وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦١٨٩).

يتحسرون ومن مكائدها يستغيثون ولا يغاثون. بل يقال لهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[المؤمنون: ١٠٨] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[البقرة: ٨٦]

وروى أن سليمان بن داود عليهما السلام مرّ فى موكبه والطير تظله والجن والإنس عن يمينه وشماله قال: فمر بعابد من بنى إسرائيل فقال: والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكًا عظيمًا، قال: فسمع سليمان وقال: لتسبيحة فى صحيفة مؤمن خير مما أُعطى ابن داود، فإن ما أعطى ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقرأ ﷺ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾، ثم قال يقول ابن آدم : مالى مالى قال: وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت أو تصدّقت فأمضيت؟»[1]، . . . . . وقال ﷺ: «إن الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له، وعليها يعادى من لا علم له، وعليها يحسد من لا فقه له، ولها يسعى من لا يقين له»[2].

وقال عيسى عليه السلام: لا يستقيم حب الدنيا والآخرة فى مؤمن، كما لا يستقيم الماء والنار فى إناء واحد.

وروى أن جبريل عليه السلام قال لنوح عليه السلام: يا أطول الأنبياء عمرًا كيف وجدت الدنيا؟ فقال: كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر.

وقال ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرًا ولضحكتم قليلاً ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى»[3].

وقال عيسى عليه السلام: «يا معشر الحواريين ارضوا بدنىء الدنيا مع سلامة الدين، كما رضى أهل الدنيا بدنىء الدين مع سلامة الدنيا». وفى معناه قيل:

---

(١) أخرجه مسلم (١٨/ ٢٩٥٨) عن عبد الله بن الشخير ــ كتاب الزهد والرقائق.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٧١) عن عائشة.

(٣) رواه الطبراني في الكبير والحاكم عن أبي الدرداء وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٦٢).

**أرى رجالاً بأدنى الدين قد قنعوا وما أراهم رضوا في العيش بالدون**

**فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين**

قال على ﷺ: من جُمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلبًا ولا عن النار مهربًا؛ أولها: من عرف الله فأطاعه، وعرف الشيطان فعصاه، وعرف الحق فاتبعه، وعرف الباطل فاتقاه، وعرف الدنيا فرفضها، وعرف الآخرة فطلبها.

وقال الحسن: رحم الله أقوامًا كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها إلى من ائتمنهم عليها، ثم راحوا خفافًا.

وقال أيضا رحمه الله: من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره.

وقال لقمان ﷺ لابنه: يا بنى إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيه تقوى الله عز وجل، وحشوها الإيمان بالله تعالى، وشراعها التوكل على الله عز وجل، لعلك تنجو وما أراك ناجيًا.

وقال يحيى بن معاذ: الدنيا حانوت الشيطان، فلا تسرق من حانوته شيئًا، فيجيء في طلبه فيأخذك، . . . . وقال الفضيل: لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى؛ لكان ينبغى لنا أن نختار خزفًا يبقى على ذهب يفنى. فكيف وقد اخترنا خزفًا يفنى على ذهب يبقى؟

وقال أبو حازم: إياكم والدنيا فإنه بلغنى أنه يوقف العبد يوم القيامة إذا كان معظمًا للدنيا فيقال: هذا عظّم الدنيا فيقال: هذا عظّم ما حقره الله.

وقال ابن مسعود: ما أصبح أحد من الناس إلا وهو ضيف وماله عارية، فالضيف مرتحل والعارية مردودة. وفى ذلك قيل:

**وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بدّ يومًا أن تُرد الودائع**

وزارت رابعة أصحابها، فذكروا الدنيا فأقبلوا على ذمها، فقالت: اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها. ألا من أحب شيئًا أكثر من ذكره. . . . .وقيل لإبراهيم بن أدهم: كيف أنت؟ فقال:

**نرقّع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقعُ**

**فطوبى لعبد آثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقعُ**

وكان عيسى عليه السلام يقول: إدامى الجوع، وشعارى الخوف ولباسى الصوف، وصلاتى فى الشتاء فى مشارق الشمس، وسراجى القمر، ودابتى رجلاى، وطعامى وفاكهتى ما أنبتت الأرض، أبيت وليس لى شىء، وأصبح وليس لى شىء، وليس على الأرض أحد أغنى منى.

وقال لقمان لابنه: يا بنى بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعًا، ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعًا. وقال مطرف بن الشخير: لا تنظر إلى خفض عيش الملوك ولين رياشهم، ولكن انظر إلى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم.

وقال ابن عباس: إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء: جزء للمؤمن، وجزء للمنافق، وجزء للكافر. فالمؤمن يتزوّد، والمنافق يتزين، والكافر يتمتع.

وقال بعضهم: الدنيا جيفة، فمن أراد منها شيئا فليصبر على معاشرة الكلاب.

وقال بِشر: مَن سأل الله الدنيا فإنما يسأله طول الوقوف بين يديه.

وقال الحسن: لا تخرج نفس ابن آدم إلا بحسرات ثلاث: أنه لم يشبع مما جمع، ولم يدرك ما أمّل، ولم يحسن الزاد لما يقدم عليه.

وقال الحسن: أهينوا الدنيا فوالله ما هى لأحد بأهنأ منها لمن أهانها.

وقال أيضًا: إذا أراد الله بعبد خيرًا أعطاه من الدنيا عطية ثم يمسك، فإذا نفد أعاد عليه، وإذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطًا.

وكان بعضهم يقول فى دعائه: يا ممسك السماء أن تقع على الأرض، الدنيا تبغض إلينا نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت إلينا؟

وقيل لحكيم: الدنيا لمن هى؟ قال: لمن تركها؟ فقيل : الآخرة لمن هى؟ قال: لمن طلبها.

وقال حكيم : الدنيا دار خراب وأخرب منها قلب من يعمرها، والجنة دار عمران وأعمر منها قلب من يطلبها.

وقال الجنيد: كان الشافعى رحمه الله من المريدين الناطقين بلسان الحق فى الدنيا، وعظ أخًا له فى الله وخوفه بالله فقال: يا أخى إن الدنيا دحض مزلة ودار مذلة، عمرانها إلى الخراب صائر، وساكنها إلى القبور زائر، شملها على الفُرقة موقوف، وغناها إلى الفقر مصروف، الإكثار فيها إعسار، والإعسار فيها يسار،

فافزع إلى الله وارض برزق الله لا تتسلف من دار بقائك إلى دار فنائك، فإن عيشتك فيء زائل وجدار مائل، أكثر من عملك وأقصر من أملك.

وقال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله: العقلاء ثلاثة، من ترك الدنيا قبل أن تتركه وبنى قبره قبل أن يدخله، وأرضى خالقه قبل أن يلقاه.

وقال أبو أمامة الباهلى رضي الله عنه: لما بُعث محمد ﷺ أتت إبليس جنوده فقالوا: قد بُعث نبى وأُخرجت أمة قال: يحبون الدنيا؟ قالوا: نعم قال: لئن كانوا يحبون الدنيا ما أبالى ألاّ يعبدوا الأوثان وإنما أغدو عليهم وأروح بثلاث: أخذ المال من غير حقه، وإنفاقه فى غير حقه، وإمساكه عن حقه والشر كله من هذا نبع.

وقال رجل لعلى كرم الله وجهه: يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا، قال: وما أصف لك من دار من صح فيها سقم، ومن أمن فيها ندم، ومن افتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها افتتن، فى حلالها الحساب، وفى حرامها العقاب، ومتشابهها العتاب. وقيل له ذلك مرة أخرى فقال: أطيل أم أقصر؟ فقيل: أقصر، فقال: حلالها حساب، وحرامها عذاب.

وقال سفيان: خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الآخرة لقلبك.

وقال الحسن: والله لقد عبدت بنو إسرائيل الأصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم الدنيا.

وقال لقمان لابنه: يا بنى إنك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الآخرة، فأنت إلى دار تقرب منها أقرب من دار تباعد عنها.

وقال سعيد بن مسعود: إذا رأيت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راضٍ فذلك المغبون الذى يلعب بوجهه وهو لا يشعر(١).

وصدق من قال:

**النفس تبكى على الدنيا وقد علمت**

**أن السلامة فيها ترك ما فيها**

---

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ـ كتاب ذم الدنيا (جـ٣ ـ صـ ٢٨٦ : ٢٩٨) بتصرف كبير.

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها
إلا التي كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخيرٍ طاب مسكنه
وإن بناها بشرٍ خاب بانيها
أين الملوك التي كانت مسلطنة
حتى سقاها بكأس الموت ساقيها
أموالنا لذوى الميراث نجمعها
وديارنا لخراب الدهر نبنيها
كم من مدائن في الآفاق قد بُنيت
أمست خراباً وأفنى الموت أهليها
إن المكارم أخلاق مطهرة
الدين أولها والعقل ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها
والجود خامسها والفضل ساديها
والبر سابعها والشكر ثامنها
والصبر تاسعها واللين باقيها
والنفس تعلم أني لا أصادقها
ولست أرشد إلا حين أعصيها
لا تركنن إلى الدنيا وما فيها
فالموت لا شك يُفنينا ويفنيها
واعمل لدارٍ غداً رضوان خازنها
والجار أحمد والرحمن ناشيها

قصورها ذهبٌ والمسك طينتها

والزعفران حشيشٌ نابت فيها

أنهارها لبن مصفى ومن عسلٍ

والخمر يجرى رحيقًا فى مجاريها

والطير تجرى على الأغصان عاكفةً

تسبح الله جهرًا فى مغانيها

فمن يشترى الدار فى الفردوس يعمرها

بركعةٍ فى ظلام الليل يحييها

ولقد أطلت فى الحديث عن حسرة الانشغال بالدنيا؛ لأنها هى التى شغلت الخلق عن عبادة الخالق جل وعلا، فكان لزامًا علينا أن نذكر أنفسنا وإياكم بحقارة الدنيا، . . . . فاللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا.

## الحسرة على البدع ومحدثات الأمور

إن الله جل وعلا أرسل إلينا إمام الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ وامتن علينا بتلك النعمة العظيمة، فقال سبحانه: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾[آل عمران: ١٦٤]

وأنزل عليه أكمل الرسالات ألا وهى القرآن الكريم الذى قال الله عنه: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾[النحل: ٨٩]

وأكمل لنا الدين كله ولم يرضَ لنا غيره، فقال جل وعلا: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾[المائدة: ٣].

ثم جعل الله جل وعلا اتباع النبى ﷺ علامة على محبة الله فقال: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[آل عمران: ٣١]، فمن جاء بعد كل هذا بشىء لم يأت به النبى ﷺ ولم يرد فى كتاب الله

جل وعلا فقد أحدث فى دين الله، وأمره مردودٌ عليه، فقد قال ﷺ: «من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[١].

وهذا الصنف من الناس قد أخبر الله عنه فى كتابه فقال: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ الكهف: ١٠٣: ١٠٤]

وقال: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨]

فهذا الصنف من الناس يجد مشاهد الحسرة فى الدنيا والآخرة.

فأما فى الدنيا فإنه يكدّ ويتعب فى الباطل ولا يؤجر على هذا بل يكتب عليه الذنوب جزاء ما أحدثه فى دين الله ويكتب عليه أيضًا أوزار من تبعوه على هذا الضلال تحقيقًا لقول النبى ﷺ: «ومن سن فى الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[٢].

ثم يوم القيامة يجد كل ما عمله هباءً منثوراً فى الوقت الذى يكون فيه فى أشد الحاجة لحسنة واحدة لينجو بها من عذاب الله جل وعلا، فلقد وصف الله أعمالهم بقوله: ﴿أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم :١٨].

﴿أَوْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩]

**يا أيها اللاهى الذى افترش الهوى ... وبكل معنى للضلال تدثرا**

**إن كنت ذا عقلٍ ففكر بُرهةً ... ما خاب ذو عقلٍ إذا ما فكرا**

ومن هنا كانت دعوتنا إلى التمسك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ والبعد عن محدثات الأمور... امتثالاً لقول رسول الله ﷺ: «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتى ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض»[٣].

---

(١) متفق عليه عن عائشة ـ صحيح الجامع (٥٩٧٠).

(٢) أخرجه مسلم والترمذي عن جرير ـ صحيح الجامع (٦٣٠٥).

(٣) رواه الحاكم عن أبي هريرة وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٣٧).

### • إنها الحسرة على من تركت حجابها وخرجت سافرة متبرجة

فأما حسرتها فى الدنيا فيكفيها أنها تغدو وتروح فى سخط الله ولعنته؛ لأنها كانت سببًا فى فتنة الشباب المسلم عن دينه، وقد قال جل وعلا ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾[البقرة : ١٩١].

وكذلك فإن المتبرجة لا يرغب فى نكاحها إلا من انتكست فطرته وذهبت رجولته فى أدراج الرياح فهو ديوث لا يغار على عرضه وشرفه.. وإذا قدر الله لها الهداية والتوبة بعد زواجها فإن زوجها يقف عقبة بينها وبين الحجاب!!!.

لأنه يتباهى بجمالها أمام الناس فى كل مكان !!!! .

وأما عن حسرتها فى الآخرة فقد أخبر عنها ﷺ بقوله: «صنفان من أهل النار لم أرهما - وذكر منهما - ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»[١].

### • إنها الحسرة على من شرب الخمر فى الدنيا

فأما حسرته فى الدنيا فحسبه (يعنى يكفيه) أنه مطرودٌ من رحمة الله جل وعلا، فقد قال ﷺ: «أتانى جبريل فقال: يا محمد إن الله عز وجل لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وبائعها ومبتاعها وساقيها ومسقيها»[٢]..... واللعن هو الطرد من رحمة الله .

ثم إنه من شربها فتح له الشيطان بابًا إلى ارتكاب الفواحش.. قال ﷺ: «الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر من شربها وقع على أمه وخالته وعمته»[٣].

وكذلك فإن الملائكة لا تقرب شارب الخمر، وهذا والله عقاب أليم أن يُحرم العبد صحبة الملائكة فقد قال ﷺ: «ثلاثة لا تقربهم الملائكة: السكران، والمتضمخ بالزعفران، والجُنُب»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم وأحمد عن أبي هريرة ـ صحيح الجامع (٣٧٩٩).
(٢) رواه الطبراني في الكبير والحاكم عن ابن عباس وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٢).
(٣) رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٤٥).
(٤) رواه البزار عن بريدة وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٦٠) ـ الصحيحة (١٨٠٤).

وقال ﷺ: «الخمر أم الخبائث من شربها لم تُقبل صلاته أربعين يومًا فإن مات وهى فى بطنه مات ميتة جاهلية»[١]. وفى رواية «ومن تاب تاب الله عليه فإن عاد كان حقًا على الله أن يسقيه من ردغة الخبال يوم القيامة .عصارة أهل النار»[٢] وقال ﷺ: «فى هذه الأمة خسف ومسخ وقذف .... إذا ظهرت القيان والمعازف وشُربت الخمور»[٣].

وأما عن حسرتهم فى الآخرة فقد قال ﷺ «ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدًا[٤]: الديوث والرجلة من النساء ومدمن الخمر»[٥].

وقال ﷺ: «من شرب الخمر فى الدنيا ثم لم يتب منها حُرمها فى الآخرة»[٦] وقال ﷺ: «من مات وهو مدمن خمر لقى الله وهو كعابد وثن»[٧].

فنسأل الله العافية.

## إنها الحسرة على كل من جمع ماله من الحرام وعلى كل من أخذ أموال الناس ولم يردَّها

فأما حسرته فى الدنيا فإن الله ينزع البركة من هذا المال ولا يبارك له فى ولد ولا فى زوجة فتجده يعانى من عقوق أولاده ومن عصيان زوجته وتمردها بل يفتح الله عليه من مصائب الدنيا ما لا يعلمه إلا الله وكذلك فإن الله لا يقبل دعاءه ولا عبادته إلا إذا تاب وردّ إلى الناس حقوقهم.

قال ﷺ: «من أخذ أموال الناس يريد أداء ها أدى الله عنه ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله »[٨].

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط عن ابن عمرو وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٤٤).

(٢) رواه ابن ماجة عن ابن عمرو وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٣١٣). (٣) سبق تخريجه.

(٤) المقصود منها أنه إذا استحل شرب الخمر أو أنكر حرمانية الخمر فهو كافر ومخلد فى النار وأما إن شربها وعلم أنه عاصٍ لله فهو فى مشيئة الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه ولكنه لا يدخل الجنة مع أول الداخلين بل يؤخر عنهم لمعصيته وحكمه حكم أهل الكبائر.

(٥) رواه الطبرانى فى الكبير عن عمار بن ياسر وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٠٦٢).

(٦) متفق عليه عن ابن عمر ـ صحيح الجامع (٦٣١٠).

(٧) رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٥٤٩).

(٨) أخرجه البخارى وأحمد وابن ماجة عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٥٩٨٠)

وأما حسرته فى الآخرة فقد قالﷺ : «كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به»(١)

وقال ﷺ : «لاتزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يُسأل عن خمس ـ وذكر منهم : وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟»(٢).

وقال ﷺ : مخبرًا عن تلك العاقبة الشديدة لمن يأخذ أموال الناس ولا يردها: «سبحان الله ماذا أُنزل من التشديد فى الدِّين والذى نفسى بيده لو أن رجلاً قُتل فى سبيل الله ثم أُحيى ثم قُتل ثم أحيى ثم قُتل وعليه دين ما دخل الجنة حتى يُقضى عنه دينه»(٣). ثم إننا لا يجب أن ننسى أبدًا مظالم البشر فمن أخذ أموالهم فى الدنيا ولم يردها أخذوا منه يوم القيامة حسناته فإن فنيت حسناته أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار كما ورد فى حديث «المفلس».

روى «أن من لم يبال من أين اكتسب المال، لم يبال الله من أى باب أدخله النار».

«وروى أن من اشترى ثوبًا بعشرة دراهم، وفيه درهم من حرام؛ لم يقبل الله له صلاة مادام عليه» .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: «لأن يجعل أحدكم فى فيه ترابًا خير من أن يجعل في فيه حرامًا».

وقد روى عن يوسف بن أسباط - رحمه الله - قال: «إن الشاب إذا تعبد قال الشيطان لأعوانه: انظروا من أين مطعمه؟، فإن كان مطعم سوء؛ قال: دعوه يتعب، ويجتهد فقد كفاكم نفسه، إن اجتهاده مع أكل الحرام لا ينفعه».

وقال عبد الله بن المبارك: «لأن أرد درهمًا من شبهة أحب إلىّ من أن أتصدق بمائة ألف ومائة ألف ـ حتى عدّ ستمائة ألف» .

وقال وهب بن الورد: «لو قمت قيام السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل

(١) رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى بكر وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٥١٩).
(٢) رواه الترمذى عن ابن مسعود وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٢٩٩).
(٣) رواه أحمد والنسائى والحاكم عن محمد بن جحش وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٠٠).

بطنك أحلال أم حرام».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «لا يقبل الله صلاة امرئ وفى جوفه حرام حتى يتوب إلى الله - تعالى - منه».

وقال سفيان الثورى : «من أنفق الحرام فى الطاعة، كان كمن طهر الثوب بالبول، والثوب لا يطهره إلا الماء، والذنب لا يكفره إلا الحلال» .

وقال عمر رضي الله عنه: «كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع فى الحرام». وروى أن من حج بمال حرام فقال : لبيك، قال ملك: لا لبيك ولا سعديك حجك مردود عليك.

وعن بعض الصالحين أنه رؤى بعد موته فى المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟

قال: خيرًا، إلا أنى محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردها.

قال العلماء - رحمهم الله -:

ويدخل فى هذا الباب : المكاس، والخائن، والسارق، والبطال وآكل الربا وموكله، وآكل مال اليتيم، وشاهد الزور، ومن استعار شيئًا فجحده، وآكل الرشوة، ومنقص الكيل والوزن، ومن باع شيئًا فيه عيب فغطاه، والمقامر، والساحر، والمنجم، والمصور، والزانية، والنائحة، والدلال: إذا أخذ أجرته بغير إذن من البائع، ومخبر المشترى بالزائد، ومن باع حرًا فأكل ثمنه[1].

## • إنها الحسرة على أهل التصاوير والتماثيل فى الدنيا والآخرة

فأما عن حسرتهم فى الدنيا فإن الله لا يبارك فى أرزاقهم وبالتالى فإنه لا يبارك فى أولادهم لأن من اعتاد أكل الحرام فقد أبعد نفسه عن الله جل وعلا وكذلك فإنهم يُحرمون صحبة الملائكة كما أخبر المصطفى ﷺ حيث قال:

«لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا تصاوير»[2].

وأما عن حسرتهم فى الآخرة فقد أخبر عنها النبى ﷺ بقوله : «إن أشد الناس

---

(١) كتاب الكبائر للإمام الذهبى ـ تحقيق د. أسامة عبد العظيم (صـ ١١٢ :١١٣).

(٢) متفق عليه عن أبى طلحة ـ صحيح الجامع (٧٢٦٢).

عذابًا يوم القيامة المصورون»[١].

ولكى نتخيل عذابهم فلابـد أن نعرف من هو أهون أهل النار عذابًا، قال ﷺ: «إن أهون أهل النار عذابًا من له نعلان وشراكان من نار يـغلى منهما دماغـه كما يغلى المرجل ما يرى أن أحدًا أشد منه عذابًا وإنه لأهونهم عذابًا»[٢].

فإن كان هذا هو أهون أهل النار عذابًا فكيف بأشد الناس عذابًا؟ !!!

بل تأمل معى هذا المشهد الذى أخبر عنه النبى ﷺ حيث يقول: «يخرج عنق من النار يوم القـيامة له عـينان يبصـران وأذنان يسمعـان ولسان ينطق يـقول: إنى وُكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع اللّه إلهًا آخر وبالمصورين»[٣].

وكل ذلك لأن المصور يكـون بتصويره مضـاهيًا لخلق الله وكذلك فـإن مهنة التصويـر كانت فى الدنيا سببًا لكشف العورات واطلاع الناس عـلى النساء وإلى ارتكاب الفواحش وإنفاق الأمـوال فى الباطل بدلاً من إنفاقها علـى فقراء المسلمين وعلى الرغم من ذلك فقـد أباح بعض العلماء تلك الصور للضـرورة فقط كصور البطاقة أو جواز السفر أو غير ذلـك من الضرورات... أما إن كانت للذكرى فهى لا تجوز لأن الذكرى محلها القلب وتلك الصور كم جددت من أحزان وفى النهاية فإن الميت لا ينفعه إلا الدعاء والاستغفار والصدقة الجارية.

## إنها الحسرة على كل من قنَّط الناس من رحمة اللّه (جل وعلا)

فأما حسرته فى الدنيا فإنه يُحرم الخير الكثير فبدلاً من أن يكون سببًا فى هداية الناس فإنه يكون سببًا فى تقنيط الناس من رحمة اللّه وقد قال ﷺ:

«فـواللّه لأن يهـدى اللّه بك رجـلاً واحدًا خـير لك من أن يـكون لك حمـر النعم»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم وأحمد عن ابن مسعود ـ صحيح الجامع (١٥٦٣).
(٢) أخرجه مسلم عن النعمان بن بشير ـ باب أهون أهل النار عذابًا ـ كتاب صفة النار.
(٣) رواه أحمد والترمذى عن أبى هريرة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨٠٥١).
(٤) متفق عليه عن سهل بن سعد ـ صحيح الجامع (١٥١١).

وأما عن حسرته فى الآخرة فإليك يا أخي هذا المشهد الذى أخبر عنه النبى ﷺ حيث قال: « كان رجلان من بنى اسرائيل متواخيان وكان أحدهما مذنبًا والآخر مجتهدًا فى العبادة وكان لايزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول: أقصر. فوجده يومًا على ذنب فقال له: أقصر . فقال : خلّني وربى. أبُعثت عليّ رقيبًا؟ فقال : والله لا يغفر الله لك أو لا يدخلك الله الجنة . فقبض روحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا المجتهد : أكنت بى عالمًا أو كنت على ما فى يدى قادرًا؟! وقال للمذنب : اذهب فادخل الجنة برحمتى وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار» (١).

فما عليك يا أخى إلا أن تدعو الناس إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وأن تتذكر قول الله عز وجل ﴿ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[النساء : ٩٤]

## • إنها الحسرة على كل من تكبر وتجبر وتباهى وتفاخر على الناس

فأما حسرته فى الدنيا فإنه يُحرم من محبة الناس ومحبة الملائكة ويحرم من محبة رب العالمين ﴿ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾[النحل : ٢٣].

وقد قال ﷺ مخبرًا عن ربه أنه «إذا أبغض عبدًا دعا جبريل فيقول : إنى أبغض فلانًا فأبغضه فيبغضه جبريل ثم ينادى فى أهل السماء: إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه فيبغضونه ثم يوضع له البغضاء فى الأرض» (٢).

ثم إن المستكبر يحرم الخير العظيم الذى لم يجعله الله إلا لأحبابه حيث يقول : «فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وإن سألنى لأعطينه وإن استعاذنى لأعيذنه» (٣).

وكذلك فإن الله جل وعلا يصرفه عن آياته ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾[الأعراف : ١٤٦]

---

(١) رواه أحمد وأبو داود عن أبى هريرة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٤٥٥).
(٢) أخرجه مسلم عن أبى هريرة ــ صحيح الجامع (١٧٠٥).
(٣) أخرجه البخارى عن أبى هريرة ــ باب التواضع ــ كتاب الرقاق.

أى سأمنع المتكبرين عن فهم آياتى فلا يتفكرون ولا يتدبرون بما فيها وأطمس على قلوبهم عقوبة لهم على تكبرهم.

قال ﷺ : «احتجت الجنة والنار فقالت الجنة : يدخلنى الضعفاء والمساكين. وقالت النار: يدخلنى الجبارون والمتكبرون فقال الله للنار : أنت عذابى أنتقم بك ممن شئت وقال للجنة : أنت رحمتى أرحم بك من شئت ولكل واحدة منكما ملؤها»[١] .

وأما عن عذاب أهل الكبر فى الآخرة فتأمل معى ما قاله الحبيب ﷺ حيث يقول: «يُحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذّر فى صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن فى جهنم يُسمى بولس تعلوهم نار الأنيار يُسقون من عصارة أهل النار»[٢] فيا له من عذاب شديد!!!

## إنها الحسرة على كل امرأة بغت على زوجها وطلبت الطلاق من غير علة أو سبب شرعى

فقد أخبر النبى ﷺ أنها فى الدنيا من المنافقات فقال ﷺ : «إن المختلعات والمنتزعات هن المنافقات»[٣] ثم أخبر أن رائحة الجنة عليها حرام فقال ﷺ «أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأسٍ فحرام عليها رائحة الجنة»[٤] .

أما إن كان هناك سبب شرعى لطلب الطلاق فلا بأس بذلك مثل أن يصر الزوج على ترك الصلاة أو على شرب الخمر والمخدرات أو أن يطلب منها نزع الحجاب أو فعل المحرمات فعلى المرأة هنا أن تدعوه إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة فإن لم يستجب فلا إثم عليها إن طلبت الطلاق بعد ذلك.

## • إنها الحسرة على كل من لم يعدل بين أزواجه

فإنه يجنى الحسرة فى الدنيا بأن يتعرض لدعوة المظلوم التى ليس بينها وبين الله حجاب وذلك لأنه ظلم إحدى زوجاته وفضّل عليها الأخرى.

---

(١) أخرجه مسلم والترمذى عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (١٨٥).
(٢) رواه أحمد والترمذى عن ابن عمرو وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٨٠٤٠)
(٣) رواه الطبرانى عن عقبة بن عامر وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٩٣٨)
(٤) رواه أحمد وأبو داود والترمذى عن ثوبان وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٧٠٦).

وأما حسرته فى الآخرة فـإنه يأتى يوم القيامة أمام الخلائق وشقـه مائل كما قال النبى ﷺ : «من كـانت له امرأتان فـمال إلى إحـداهما جـاء يوم القيـامة وشـقه مائل»(١) .

## إنها الحسرة على كل من خاض فى أعراض المسلمين وأطلق للسانه العنان ليغتاب المسلمين فى كل زمان ومكان

فأما حـسرته فى الدنيا فإنه يـجنى كراهية الخلق والخالـق جل وعلا بل إن الله يسلط عليه من يقع فى عرضه.

قال الإمام مالك: أعـرف أناسًا لم يكن لهم عيوب فخاضـوا فى عيوب الناس فأوجد الناس لهم عيـوبًا وأعرف أناسًا كان لهم عيوبٌ فستروا عـيوب الناس فستر الله عيوبهم.

وقد قال ﷺ : «الربا اثنان وسبعون بابًا أدنـاها مثل إتيان الرجل أمه وإن أربى الربا استطالة الرجل فى عرض أخيه»(٢) .

وأما عن حسرته فى الآخرة يقول النبى ﷺ واصفًا تلك الحسرة: «لما عرج بى ربى عز وجل مـررت بقومٍ لهم أظفار من نحـاسٍ يخمشون وجـوههم وصدورهم فقلت: من هؤلاء يا جـبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الـناس ويقعون فى أعراضهم»(٣) . قال الطـيبى: لما كان خـمش الوجه والصـدر من صفات الـنساء النائحات جعلها جزاء من يقع فى أعراض المسلمين إشعارًا بأنهما ليستا من صفات الرجال بل هما من صفة النساء فى أقبح حالة وأبشع صورة.

وفى حديـث أبى هريرة يرفعـه : «من أكل لحم أخيـه فى الدنيا قُـرب له يوم القيامة فيقال له: كله ميتًا كما أكلته حيًا فيأكله ويكلح ويصيح»(٤) .

وفى المقابل فإن النبى ﷺ قد رغب فى أن يدفع المسلم ويدافع عن عرض أخيه

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والنسائى عن أبى هريرة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٥١٥).

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط عن البراء وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٥٣٧).

(٣) رواه أحمد وأبو داود عن أنس وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢١٣).

(٤) أخرجه أبو يـعلى بسند حسن ــ وقالـه ابن حجر فى الفتح (١٠/ ٤٨٥) كـتاب الأدب ــ باب الغيبة.

المسلـم فقـال ﷺ : «من ردَّ عـن عـرض أخيـه ردَّ الـلّه عن وجـهـه النـار يوم القيامة»[١].

## • إنها الحسرة على كل من سعى بالنميمة بين المسلمين بقصد الإفساد بينهم

فأما حـسرته فى الدنيا فإن اللّه ينـزع الطمأنينة والسعادة من قـلبه لأن الإنسان الذى يسعى بين الناس بالنميمة لا يفـعل ذلك إلا لحقده وحسده ولذا فإن اللّه جل وعلا يشعل النار فى صدره ويشعلها عليه فى قبره كما أشعل نار الفتنة بين إخوانه المسلمين . . . . . وتأمل معى هذا المشهـد عندما مر رسول اللّه ﷺ بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير. أما أحدهما فكان لا يستتر من البول ــ وفى رواية لا يستنزه من البول ــ وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة»[٢] .

وأما عن حسرته فى الآخرة فقد قال ﷺ : «لا يدخل الجنة قتات»[٣] والقتات هو النمام!!!

## إنها الحسرة على كل من انتسب لغير أبيه، وعلى كل من أدخلت على قومها من ليس منهم، وعلى كل من جحد ولده

قال ﷺ : «من ادعى إلى غـير أبيه أو انتـمى إلى غير مواليـه فعليـه لعنة اللّه المتتابعة إلـى يوم القيامة»[٤]. وقال ﷺ : «من ادعى إلى غير أبـيه لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام»[٥].

وقال ﷺ لما نزلت آية الملاعنـة : «أيما امرأة أدخلت على قومٍ مـن ليس منهم فليست مـن اللّه فى شئ ولن يدخلها اللّـه جنته وأيما رجل جحـد ولده وهو ينظر إليه احتجب اللّه منه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين»[٦] .

---

(١) رواه أحمد والترمذى عن أبى الدرداء وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٦٢).
(٢) متفق عليه عن ابن عباس ــ صحيح الجامع (٢٤٤٠).
(٣) متفق عليه عن حذيفة ــ صحيح الجامع (٧٦٧٢).
(٤) رواه أبو داود عن أنس وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٩٨٧).
(٥) رواه ابن ماجة عن ابن عمرو وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٩٨٨).
(٦) رواه أبو داود (٢/ ٦٩٥) ـ أنظر مشكاة المصابيح (٣٣١٦).

فياله من خزى ويالها من حسرة فوالله ليس هناك عذاب فى الآخرة أشد من أن يُحجب الإنسان عن رؤية الحق جل وعلا ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾

[المطففين : ١٥]

## • إنها الحسرة على كل من غصب أرضًا من الناس بغير حق

فإن الناس لما ضاع الإيمان والأمان بينهم وغابت مراقبتهم للواحد الديان أصبحت القوة هى اللسان لمن أراد أن يتكلم وهى البيان لمن أراد أن يفصح وهى السلاح لمن أراد أن يحارب.

فأما الحسرة التى يجنيها من غصب أرضًا فى الدنيا فإنه يجنى كراهية الخلق والخالق جل وعلا ويكون صدره وقلبه هدفًا يوجه إليه سهام المظلومين (دعاؤهم) ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب.

وأما فى الآخرة فإن النبى ﷺ قال: «من أخذ من الأرض شيئًا بغير حق خُسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين»[1].

وقال ﷺ: « أيما رجلٍ ظلم شبرًا من الأرض كلفه الله تعالى أن يحفره حتى يبلغ آخر سبع أرضين ثم يطوقه يوم القيامة حتى يقضى بين الناس»[2].

## • إنها الحسرة على كل من منع الأجير حقه

فلقد رغب النبى ﷺ فى سرعة إعطاء الأجير حقه فقال : «أعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه»[3]. فمن خان تلك الأمانة فإنه يجنى الحسرة فى الدنيا بدعوة المظلوم ونزع البركة من ماله وأولاده وأما حسرته فى الآخرة فقد أخبر عنها النبى ﷺ بقوله: «قال الله تعالى : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ـ وذكر منهم: ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعطه أجره»[4].

---

(١) أخرجه البخارى عن ابن عمر ـ صحيح الجامع (٥٩٨٣).

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير عن يعلى بن مرة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع ( ٢٧٢٢).

(٣) رواه ابن ماجه عن ابن عمر وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٠٥٥).

(٤) أخرجه البخارى عن أبى هريرة ـ باب إثم من باع حرًا ـ كتاب البيوع.

## • إنها الحسرة على كل من كذب على الله وعلى رسول الله ﷺ

فأما فى الدنيا فحسبه أن يُكتب عند الله كذابًا كما أخبر بذلك الحبيب ﷺ: «وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذابًا»(١).

وكذلك فإنه يدخل فى دائرة المنافقين كما قال ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا - وذكر منهم: وإذا حدث كذب»(٢). بل لقد دعا النبى ﷺ على أهل الكذب فقال «ويل للذى يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويلٌ له ويلٌ له»(٣).

وأما عن حسرة أهل الكذب فى قبورهم فلقد أخبر ﷺ بعذابهم فى قبورهم .

قال ﷺ: «رأيت الليلة رجلين أتيانى فأخذا بيدى فأخرجانى إلى الأرض المقدسة، فإذا رجل جالس ورجل قائم على رأسه بيده كلوب من حديد فيدخله فى شدقه فيشقه حتى يخرجه من قفاه ثم يخرجه فيدخله فى شدقه الآخر ويلتئم هذا الشدق فهو يفعل ذلك به، فقلت : ما هذا؟

(فقالا فى آخر الحديث ردًا على السؤال): أما الرجل الأول الذى رأيت فإنه رجل كذاب يكذب الكذبة فتحمل عنه الآفاق فهو يصنع به ما رأيت إلى يوم القيامة ثم يصنع الله تعالى به ماشاء(٤).

وأما عن حسرتهم يوم القيامة قال ﷺ : «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم :شيخ زانٍ وملك كذاب وعائل مستكبر(٥). وقال ﷺ: «من كذب علىّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»(٦).

بل تأمل معى هذا الوعيد من الله جل وعلا للمكذبين حيث يقول:

﴿ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً (١١) إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا (١٢)

(١) أخرجه مسلم عن ابن مسعود ـ صحيح الجامع (٤٠٧١).
(٢) متفق عليه عن ابن عمرو ـ صحيح الجامع (٨٨٩).
(٣) رواه الترمذى وأحمد عن معاوية بن حيدة وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٧١٣٦).
(٤) سبق تخريجه.
(٥) أخرجه مسلم عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٣٠٦٩).
(٦) أخرجه البخارى والترمذى عن ابن عمرو ـ صحيح الجامع (٢٨٣٧).

وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً﴾ [المزمل :١٢ : ١٤] بل إن الفضيحة تأتيهم يوم القيامة من كل حدب وصوب كما قال تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُوْلَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود : ١٨].

بل إن الذين كذبوا بيوم الدين يدخلون وادى سقر الذى جعل الله فيه من العذاب والنكال مايناسب كل من كذب بيوم الدين، . . . بل إن من كذب بيوم الدين فإنه لا تنفعه شفاعة الشافعين. . . . قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٣٨ : ٤٨]

وأخيراً ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر : ٦٠] .

## آثار الذنوب والمعاصى

وللمعاصى من الآثار القبيحة المذمومة المضرة بالقلب والبدن فى الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله . فمن آثار الذنوب والمعاصى حرمان العلم فإن العلم نور يقذفه الله فى القلب والمعصية تطفئ ذلك النور. . . ومن آثارها أنها تجلب فى القلب وحشة يجدها العاصى فى قلبه بينه وبين الله ومنها (من آثارها) القلق وتعسير الأمور ووهن البدن وحرمان الطاعة وأنها تعقب أمثالها (من المعاصى) وأنها تضعف القلب عن إرادته وتفسد فطرته فيستحسن القبيح وهى سبب مهانة العبد عند الله وعند خلقه وهى التى تورث الذل وتفسد العقل وتورث الطبع على القلب وتدخل تحت لعنة رسول الله ﷺ وبها يحدث الفساد فى الأرض وتطفئ نار الغيرة والرجولة من القلب وهى التى تقتل الحياء الذى هو مادة حياة القلب

وتضعف تعظيم الرب بل تميته وهى التى تستدعى نسيان الرب للعبد وهى التى تُخرج العاصى من دائرة الإحسان وتضعف سير القلب إلى اللّه والدار الآخرة وتزيل النعم وتحل النقم ومن آثارها مايلقيه اللّه من الرعب فى قلب العاصى وهى التى تصرف القلب عن صحته إلى مرضه وتسد طرق القلب وتحجبه عن مواد الهداية وهى التى تصغر النفس وتدنسها وتجعل العاصى دائمًا فى أمر شيطانه وسجن شهواته وهواه ومن عقوباتها سقوط الجاه والكرامة عند اللـه وعند خلقه ومن أعظم عقوباتها القطيعة بين العبد وبين ربه وهى التى تمحق بركة العمر والرزق والعلم والعمل وتجعل العاصى من السفلة وتنزع عنه الهيبة وتعمى القلب والبصيرة والمعاصى تكون بمثابة المدد الذى يمده العاصى إلى عدوه ليكون وبالاً عليه وهى التى تضعف جند اللّه وهى التى تباعد العبد عن وليه وتستجلب مواد الهلاك للعبد فى دنياه وآخرته وهى سبب فى الختم على القلوب والأسماع وجعل القلب أصم لا يسمع الحق وهى سبب فى الخسف بالقلب ومسخ القلب ونكسه وهى سبب فى حجاب القلب عن الرب فى الدنيا ويوم القيامة وهى سبب فى المعيشة الضنك التى يعيشها الناس(١).

فهل بعد كل هذه الآثار التى يجنيها الإنسان من وراء الذنوب والمعاصى وهل بعد ما قرأناه عن العقوبات التى نحصدها من جراء الذنوب والمعاصى . . . هل بعد كل هذا نرجع ونتوب إلى علام الغيوب عسى أن يوقظ قلوبنا من سباتها العميق وأن يحييها بعد موتها فهو القائل : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد : ١٦]

ثم فتح اللّه جل وعلا بعد تلك الدعوة باب الأمل لكل من مات قلبه ولكل من قسا قلبه فقال: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد : ١٧] فهو القادر جل وعلا على أن يحيى القلوب بعد موتها وهو

---

(١) كتاب الداء والدواء للإمام ابن القيم وتلك هى العناوين المدونة بفهرس الكتاب بتصرف يسير.

القادر على أن يزيل الران من عـليها. . . . فتوجه يا عبـد الله إلى الحق جل وعلا واسأله أن يحيى قلـبك بطاعته بل اسأله أن يجدد الإيمان فى قلـبك فقد قال ﷺ : «إن الإيمان ليخلق فى جوف أحدكم كما يخلـق الثوب فاسألوا الله تعالى أن يجدد الإيمان فى قلوبكم».[1] . فاللهم جدد الإيمان فى قلوبنا .

## وقفة مع النفس

لقد آن الأوان لأن نُعـد العدة لتلك المواقف والمشـاهد . . . . آن لنا أن نخلص العبادة لـلّه وحده ونجرد المتابعـة لرسول الله ﷺ . آن لنا أن نحذر من كل ناعق ملبس خائن يمكر فى الليل والنهار قبل أن تقول نفس ياحسرتى ولات حين مناص . . .آن الأوان للضعفة الأتباع أن يتبرأوا من متبوعيهم الضالين المفسدين فلا يكونوا أداةً لهم فى ظلم فى دماء أو أعراض طمعًا فى دارٍ أو حطام.

آن الأوان للإنابة والبراءة من الظـالمين قبل أن يتبرأوا من تابعـيهم بين يدى الله يوم ينقلبون عليـهم فيلعن بعضهم بعضًـا حيث لا ينفع لعن ولا ندم، . . . . . آن الأوان للمرأة المسكينة فى زمـاننا أن تتنبه لهذه المواقف، فتـتبرأ اليوم من كل ناعقٍ لها باسـم الحرية والتمدن ومـتابعة الأزياء والموضـات حتى لا تجنى مرارة الحـسرة الكبرى عندما يتبرأ منها شياطين الإنس والجن الذين أضلوها ثم لا يغنون عنها من عذاب الله من شىء إلا الخصام والتلاعن اللذين أخبر الله عنهما فى كتابه ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيراً ﴾ [الأحزاب : ٦٧ : ٦٨]

آن الأوان لأتباع الطوائف الضالـة المبتدعة أن يفيقوا ويدركـوا خطر هذه المتابعة التى ستنقلب حسرة كبرى وعـداوة ولعنات بينهم يوم القيامة ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٥]. وآن الأوان لقطع العلائق بأصدقاء السوء، وإن لم يقطعوها فى الدنيا فهى لا

(١) رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عمرو وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٥٩٠)

شك منقطعة يوم القيامة، وستنقلب عداوة وخصام وحسرة ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾[الزخرف : ٦٧]

آن الأوان للمجاهرين عمومًا بالمعاصى والمجاهرين خصوصًا برفع أطباق القنوات (الدش) فوق البيوتات غير معظمين لشعائر الله والحرمات الذين فتحوا بيوتهم للضلال والمكر والعفن والترهات بحجة الأخبار والمباريات يستقبلون الأفكار فى عُلب الهوى.

آن لهم أن يعلنوها توبة نصوحًا قبل يوم الحسرات، فالحقائق ساطعات غير مستورات وإن تعامتها نفوس أهل الشهوات.

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمدٍ ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

وكل أمة محمد ﷺ كما أخبر معافى إلا المجاهرين.

وما من راع استرعاه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة، وكلكم راع ومسئول عن رعيته.

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾

[النساء : ٢٧]

آن الأوان لمضيع وقته أمام ما تبثه هذه القنوات المحرمات أن يتوب. آن الأوان لمن عقله فى أذنيه ولُبه فى عينيه أن يتوب قبل أن يُقبل على الله فتشهد عليه الجوارح والأعضاء فيُختم على فمه وتتكلم يده وتنطق رجله ويشهد سمعه وبصره بما كان يعمل ثم لا يكون إلا الحسرات.

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾

[فصلت : ٢٢ : ٢٤]

ولا تنس يا أخى أنك طالب جنة فلا ترضَ بديلاً عنها ولا ترضَ نعيمًا سواها،

فكل ما سوى الجنة فهو لا يساوى عند الله جناح بعوضة، فأسرع التوبة والعودة إلى الله، فهو القائل:

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾

[آل عمران : ١٣٣ : ١٣٦]

وقد أجمع علماء الأمة الإسلامية على وجوب التوبة، قال القرطبى رحمه الله: «واتفقت الأمة على أن التوبة فرض على المؤمنين»[١].

وقال ابن قدامة المقدسى رحمه الله: «الإجماع منعقد على وجوب التوبة لأن الذنوب مهلكات مبعدات عن الله تعالى فيجب الهروب منها على الفور»[٢].

وهذا لأن كل إنسان - بدون استثناء - معرض للخطأ والزلل.

قال ﷺ: «كل بنى آدم خطّاء وخير الخطائين التوابون»[٣].

ولكن اعلم يا أخى المسلم - علمنى الله وإياك - أن هذا لا يعنى استصغار الذنوب والتساهل بعملها.

## أشياء يجب أن نحذرها

**أولاً** - احذر أن تستصغر ذنبًا مهما كان يسيرًا:

لأن الذنوب الصغيرة إذا تجمعت عليك دون أن تتوب منها قد تهلكك.... قال ﷺ: «إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا

(١) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٩٠).

(٢) مختصر منهاج القاصدين (صـ٢٥١).

(٣) رواه أحمد والترمذي والحاكم عن أنس وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥١٥).

بطن وادٍ، فجاء ذا بعـود، وجاء ذا بعود حتى حملوا ما أنضـجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه»[١].

وقال ﷺ: «إياكم ومـحقرات الـذنوب، فإنهن يـجتمـعن على الرجل حـتى يهلكنه، كرجل كان بـأرض فلاة فحضر صنيع القوم، فجـعل الرجل يجئ بالعود والرجل يجئ بالعود حتى جمعوا من ذلك سواداً وأججوا ناراً فأنضجوا ما فيها»[٢]

فلا تنظر إلى صغر المعصية ولكن انظر إلى عظمة من عصيت.

**ثانيًا** - هناك بعض الذنوب يراها عامة الناس أنها صغيرة وهى عند الله كبيرة: فيسـتسهلون الوقوع فيـها لأنهم يشاهدون بعض النـاس يقترفونها ويجـاهرون بها والعياذ بالله فيظنون أنها ذنوب صغيرة .

ففي مسند الإمام أحـمد عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: «إنكم لتـعملون أعمالاً هى أدق فى أعينكم من الشعر، كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات» (أى المهلكات) فاحذر اسـتصغار الذنوب ولو رأيت الناس يستسـهلونها. . . . قال تعالى ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور : ١٥] .

**ثالثًا** - احذر المجاهرة بالذنوب وإخبار الناس بما اقـترفته من ذنوب ولو كانت فى الماضى:

قال رسول الله ﷺ : «كل أمتى مـعافى إلا المجاهريـن، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد سـتره الله تعالى فيقول : يا فلان عملت البارحة كذا وكذا. وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه»[٣].

ومن أحـد الأسبـاب التى تجـعل المجاهرة بـالذنب ذنبًـا آخر هو أن المجـاهرة بالذنوب تعين على استسهال الناس واستصغارهم لها وتساعد على إشاعة الفاحشة بين الناس.

---

(١) رواه أحمد والطبراني عن سهل بن سعد وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٨٦).
(٢) رواه أحمد والطبرانى عن سعد ــ صحيح الجامع (٢٦٨٧).
(٣) متفق عليه عن أبي هريرة - صحيح الجامع (٤٥١٢).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النور : ١٩]

وفى التحذير من التهاون فى اقتراف المعاصى عندما يخلو الإنسان بنفسه.

قال ﷺ: «لأعلمن أقوامًا من أمتى يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء، فيجعلها الله هباءً منثورا، أما إنهم إخوانكم، ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها»(١).

فاحذر من المجاهرة بالمعصية واحذر الاستهانة باقتراف المعاصى عندما تخلو بنفسك فالله يعلم ما تسر وما تعلن والله بكل شئ عليم.

**رابعًا** - احذر - رحمنى الله وإياك - تأخير التوبة وتسويفها:

فلا تدرى متى سيدركك الموت فقد يكون الموت أقرب مما تتخيل وقد يأتى فجأة والتوبة لا تقبل عند الغرغرة أى عندما تبلغ الروح الحلقوم.

قال ﷺ: «إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»(٢)... فسارع إلى التوبة من كل ذنب ولا تؤجل... قال ﷺ: «ما من عبد يذنب ذنبًا فيتوضأ، فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ركعتين، ثم يستغفر الله بذلك الذنب، إلا غفر الله له»(٣).

**خامسًا** - احذر الإصرار على الذنوب :

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران : ١٣٥]

**سادسًا** - احذر أن تقع فيما يقع فيه كثير من الناس :

عندما يجدون أنهم لا يقومون ببعض الواجبات أو لا يجتنبون بعض المحرمات

---

(١) رواه ابن ماجه عن ثوبان وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٠٢٨).

(٢) رواه أحمد والترمذى وابن ماجة عن ابن عمر وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٩٠٣).

(٣) رواه أحمد وابن حبان عن ابى بكر وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٧٣٨).

فيدخل عليهم الشيطان ويزين لهم أن يقولوا.. هذا ليس بواجب أو هذا ليس محرمًا ويجادلون ويظنون أنهم بذلك قد أخلوا أنفسهم من المسئولية وتخلصوا من العقاب بالإنكار، ولكن هيهات.. هيهات، فالله يعلم ما تخفى الصدور، فاحذر هذا المدخل من مداخل الشيطان.

**سابعًا** - احذر أن تغتر بالنعمة الدنيوية الزائلة التي يسبغها الله عليك، وأنت متمادٍ في معاصيك ولا تظن أن هذا يدل على أنك مع ما أنت عليه من معصية بخير، فهذا قد يكون استدراج من الله لك ....

قال ﷺ: «إذا رأيت الله تعالى يعطي العبد من الدنيا ما يحب وهو مقيم على معاصيه، فإنما ذلك منه استدراج»[1].

**ثامنًا** - احذر من القنوط من رحمة الله فقد قال الله تبارك وتعالى:

﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]

ثم حذّر الله تبارك وتعالى من التسويف فقال: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤]

واعلم أنه يجب أن تكون التوبة خالصة لوجه الله سبحانه وتعالى لا لغرض آخر أو لعدم القدرة على فعل الذنب فلا يعتبر تائبًا من ترك السرقة مثلاً لأنه لم يجد ما يسرقه، ولا من ترك شرب الخمر لأن الطبيب حذره من أضراره أو لأنه لم يجده متوفرًا عنده.

قال ﷺ: «إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا، وابتُغي به وجهه»[2]. [3].

(١) رواه أحمد والطبراني عن عقبة بن عامر وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦١) (٤١٤).
(٢) رواه النسائي عن أبي أمامة وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٨٥٦) - الصحيحة (٥٢).
(٣) ملخص كتاب (معرفة الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة) الإمام ابن حجر (ص٦: ١١).

وهذا هو الوجـه المشرق وحتى لا يدب اليـأس فى قلوبنا فلقـد رأيت أن أختم تلك الرسالة بمشاهد الفـرحة التى سيجنيها العبد المـؤمن فى الدنيا والآخرة لنكون بذلك قد جمـعنا بين الخوف والرجاء، فلقد قال رب الأرض والسـماء جل وعلا: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المائدة: ٩٨).

## فبذلك فليفرحوا

إن الله عز وجل قـد ذكر (الفرح) فى القـرآن كثيراً... تـارة على وجه الذمّ، وتارة على وجه الإخبار، وتارة على وجه الاستحباب.

فالفرح على إطلاقه مذموم؛ لأن المؤمن لا يفـرح لإقبال الدنيا عليه، أو يحزن لإدبارها عنه، وإنما فرحة المؤمـن الحقيقية إذا وفّقه الله إلـى طاعته، ومن ثَم تكون فرحته الكبرى يوم القيامة يوم تزفّه ملائكة الرحمن إلى جنته: ﴿ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (الأنبياء: ١٠٣).

وأسوق إلى حضراتكم موقفًا يعبر عن تلك الفرحة بطاعة الله جل وعلا.... عندما دخل المسلمـون فى يوم العيد ليهنئـوا أمير المؤمنين عمر بن عـبد العزيز.. فلما انصرف الرجال ودخل الغلمان، وكان من بينهم ابن عمر بن عبد العزيز وهو يلبس ثيابًا رثة (قـديمة) وأبناء الرعية يلبسـون الثياب الجديدة الجميلة، فـبكى أمير المؤمنين فتقـدم إليه هذا الابن المبارك، فقال له: يا أبتـاه ما الذى طأطأ بك رأسك وأبكاك؟! قال: لا شيء يا بنى سوى أنى خشـيت أن ينكسر قلبك وأنت بين أبناء الرعية بتلك الثيـاب البالية القديمة وهم يلبسون الثـياب الجديدة... فقال له الابن مقالة يجب أن تُنقش على الصدور... قـال له: يا أبتاه إنما ينكسر قلب مَن عرف الله فعصاه، وعقَّ أمه وأباه، أما أنا فلا والله. إنما العيد لمن أطاع الله.... وتالله يا إخوانى إنى لا أجد كلامًا أعلق به على تلك الجواهر الثمينة الغالية التى خرجت من فم هذا الطفل المبارك.

حقًا.. إنما العيد لمن أطاع الله.

فكل يوم يمر عليك وكـل ساعة تمر عليك وأنت فى طاعة الله فـأنت فى عيد وفى فرحة غامرة؛ لأن تلك الفرحة بطاعة الله سوف تثمر لك أفراحًا وأفراحًا يوم القيامة عندما تلقى الله ويقول لك: خذ صحيفتك بيمينك وادخل الجنة.

ولذا قال أحد السلف الصالح: والله إننا فى سعادة لو علم بها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف.

وقال الإمام ابن تيمية - رحمه الله - : إن فى الدنيا جنة من لم يدخلها فلن يدخل جنة الآخرة.. إنها جنة الإيمان.

- ودعونا نعيش مع الفرحة من خلال تلك الآية العظيمة التى سطّرها الله فى كتابه... قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ (يونس: ٥٨).. وفضل الله هو الإسلام والإيمان. ورحمته: العلم والقرآن... فتوجه الخطاب من رب الأرض والسماء إلى سيد الأولين والآخرين ﷺ ليعلّم أمته أدبًا رفيعًا مع الله عز وجل.. ألا وهو أن الفرح الحقيقى لا يكون إلا بنعمة الإسلام والقرآن واتباع النبى الذى هو من أعظم الرحمات، فقد أخرجنا الله به من الظلمات إلى النور بإذن ربه جل وعلا.

ولنتأمل سويًا تلك الفرحة التى غمرت الصحابى الجليل (أُبى بن كعب) فقد جاءه رسول الله ﷺ فقال له: «إن الله عز وجل أمرنى أن أقرأ عليك: (لم يكن الذين كفروا) قال: وسمّانى لك؟ قال: «نعم». قال: فبكى[1].

وفى رواية الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن أبزى عن أُبىّ بن كعب قال: قال لى رسول الله ﷺ : «إنى أُمرت أن أقرأ عليك سورة كذا وكذا». قلت: يا رسول الله، وقد ذُكرت هناك؟! قال: «نعم» فقلت له: يا أبا المنذر، ففرحت بذلك؟ قال: وما يمنعنى والله يقول: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ (يونس: ٥٨).

يقول الإمام ابن القيم فى قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾... قال: ففضله: الإسلام والإيمان. ورحمته: العلم والقرآن.

وهو يحب من عبده: أن يفرح بذلك ويُسَرّ به، بل يحب من عبده: أن يفرح بالحسنة إذا عملها وأن يُسر بها. وهو فى الحقيقة فرح بفضل الله، حيث وفقه الله

---

(١) أخرجه مسلم عن أنس ـ كتاب فضائل القرآن ـ باب قراءة النبى ﷺ القرآن على غيره.

لها وأعانه عليها ويسرها له. ففى الحقيقة: إنما يفرح العبد بفضل الله وبرحمته.

ومن أعظم مقامات الإيمان: الفرح بالله والسرور به. فيفرح به إذ هو عبده ومُحبه. ويفرح به سبحانه ربًا وإلهًا ومنعمًا ومربيًا أشد من فرح العبد بسيده المخلوق المشفق عليه القادر على ما يريده العبد ويطلبه منه. المتنوع فى الإحسان إليه والذبّ عنه[1].

## المؤمن يزرع فى دنياه ليحصد فى أُخراه

ونحن حينما نتحدث عن فرحة المؤمن بفضل الله وبرحمته لا نستطيع أن ننكر تلك السعادة التى يجدها المؤمن فى دنياه.. ولكن نظرة المؤمن لكل ما يُفتح عليه من زهرة الدنيا تختلف عن نظرة أهل الدنيا، فهو يفرح بكل نعمة؛ لأنه يتقرب بها إلى خالقه جل وعلا، فإن رزقه الله بالمال، فإنه يسعى لإسعاد من حوله من فقراء المسلمين ويرى سعادته فى بسمة تخرج من فم طفل يتيم أو فرحة تبدو على وجه رجل فقير...

قال ﷺ: «سعادة لابن آدم ثلاث، وشقاوة لابن آدم ثلاث، فمن سعادة ابن آدم: الزوجة الصالحة والمركب الصالح، والمسكن الواسع، وشقوة لابن آدم ثلاث: المسكن السوء، والمرأة السوء، والمركب السوء»[2].

فسعادة المؤمن بتلك الأشياء لأنها تعينه على أمر دينه وليست سعادة أشرٍ وبطر وكِبر وتفاخر.

والمؤمن يعلم أن الخير كله من عند الله جل وعلا، ولذا فإنه لا يكاد يخطو خطوة أو يفعل شيئًا إلا بعد أن يتبرأ من حوله وقوته إلى حول الله وقوته.... فيستخير الله فى كل صغيرة وكبيرة.

فالمؤمن لا يحرك ساكنة ولا يخطو خطوة إلا لمرضاة الله جل وعلا، فهو يعلم أن الدنيا مزرعة للآخرة، فهو يزرع هنا ليحصد هناك الفرحة التى لا توازيها الدنيا بما فيها... ومن هنا كانت الدنيا على الرغم مما فيها من لذة الطاعة لله جل وعلا

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ١١١) ط. دار الحديث.

(٢) رواه الطيالسى عن سعد، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٦٢٩).

فهى سجن للمؤمن، وذلك بالمقارنة بما ينتظره من النعيم والإكرام عند رب السماوات والأرض.

فتجد الصائم مثلاً يشعر بلذة غامرة، رغم الجوع والعطش، وذلك طمعًا فى الأجر والمثوبة.... فعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «كُلُّ عمل ابن آدمَ يُضاعفُ. الحسنة عشرُ أمثالها إلى سبعمائة ضعف. قال الله عز وجل: إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به يدعُ شهوتهُ وطعامهُ من أجلى. للصائم فرحتانِ؛ فرحةٌ عند فطره، وفرحةٌ عند لقاء ربه، ولخلوف فيه ـ أى فمه ـ أطيب عند الله من ريح المسك»(١).

فحينما يستحضر المؤمن هذا الجزاء العظيم تهون عنده المشقة التى يجدها من أجل الله جل وعلا.

بل إنه يستعذب البلاء فى سبيل الله لعلمه يقينًا أن الله أرحم به من رحمة الأم بطفلها الرضيع، وأن الله لا يقضى له قضاءً إلا كان خيرًا له فى دينه ودنياه... ولذا تجده يرضى ويسلم بقضاء الله.

ولذا قال ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن. إن أصابته سراء شكر وكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له»(٢).

فالمؤمن يعلم أن مناديل سعد بن معاذ فى الجنة خير من الدنيا وما فيها، وأن موضع قدمه فى الجنة خير من كل هذا.

- ولذا فإنك تجد أن المؤمن هو أحرص الناس على مرضاة الله وأشدهم شوقًا إلى جنته... ومن ثَم فإذا وقع المؤمن فى معصية فإنه يبادر إلى التوبة؛ لأن الله وعده بالجنة على تلك التوبة إن كانت صادقة وخالصة لوجه الله تعالى. قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ

---

(١) أخرجه مسلم (الصيام ـ ١٩٤٥) والبخارى (التوحيد ـ ٦٩٣٨).

(٢) أخرجه مسلم وأحمد عن صهيب ـ صحيح الجامع (٣٩٨٠).

(١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُوْلَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦)﴾ (آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٦).

بل إن المؤمن يعلم أن الله يفرح بتوبته إليه.. كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ، حيث قال: «لَلَّهُ أشدُّ فرحًا بتوبة عبده حين يتوبُ إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فَلاة، فانفلتت منه وعليها طعامهُ وشرابه، فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع فى ظلهـا قد أيس من راحلتـه، فبينا هـو كذلك إذا هو بها قـائمةً عنده، فـأخذ بخطامـها ثم قال من شـدة الفرح: اللهمَّ أنـت عبدى وأنا ربُّكَ. أخطـأ من شدة الفرح»[1].

وعلى وجه العموم، فالمؤمن دائمًا يجعل سكناته وحركاته وأفعاله كلها لله جل وعلا، ممتثلاً قول الحق جل وعلا: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣).

ولسان حاله ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ (طه: ٨٤).

## دعاء يملأ قلبك فرحاً

بل أقول لكل من أصابه الهم والحـزن: احرص على هذا الدعاء وسوف يُذهب الله همك وحزنك ويبدلك مكانهما فرحًـا وسعادة... مصداقًا لقول الحبيب ﷺ إذ يقول: «ما أصاب عـبدًا همّ ولا حزن فقال: اللهم إنى عبـدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك ماضٍ فىَّ حكمك عدلٌ فىَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسـك أو أنزلته فى كتابك أو علَّمته أحـدًا من خلقك، أو استأثرت به فى علم الـغيب عندك أن تجـعل القـرآن ربيع قلبى ونـور صدرى وجلاء حُـزنى،

(١) أخرجه مسلم عن أنس ـ التوبة (٤٩٣٢).

وذهاب همى، إلا أذهب الله عز وجل همه وأبدله مكان حُزنه فرحًا. قالوا: يا رسول الله ينبغى لنا أن نتعلَّم هؤلاء الكلماتِ. قال: أجل ينبغى لمن سمعهن أن يتعلمهن»(١).

## فرحة غامرة

قد يفرح المؤمن بالمال إذا جاءه أو بغيره من متاع الدنيا، ولكنها فرحة مؤقتة تزول بزوال تلك النعمة، وقد تزول حتى فى حال وجود تلك النعمة إذا كان المال حائلاً بينه وبين طاعة الله جل وعلا. ولكن إذا جاءت البشرى من الصادق المصدوق ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى... فقال لك: إنك من أهل الجنة، فكيف تكون فرحتك؟!!

أقول عن نفسى: لقد توقف قلمى عن وصف هذا الشعور، ولذا فإنى أتركك لتعيش مع هذا المشهد من خلال هذا الحديث.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: أقبلت فاطمةُ تمشى كأن مشيتها مشىُ النبى ﷺ، فقال النبى ﷺ: «مرحبًا بابنتى، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسرَّ إليها حديثًا، فبكت. فقلت لها: لِمَ تبكين؟ ثم أسرَّ إليها حديثًا فضحكت. فقلت: ما رأيت كاليوم فرحًا أقرب من حُزنٍ، فسألتها عما قال فقالت: ما كنت لأُفشى سر رسول الله ﷺ، حتى قُبضَ النبىَ ﷺ فسألتها، فقالت: أسر إلىَّ أن جبريل كان يُعارضُنى القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضنى العام مرتين، ولا أراه إلا حَضَرَ أجَلى، وإنك أولُ أهل بيتى لحاقًا بى، فبكيت. فقال: أما ترضين أن تكونى سيدة نساءِ أهل الجنة أو نساء المؤمنين؟ فضحكت لذلك»(٢).

## الفوز بمحبة الله جل وعلا

إن أعظم فرحة تحصل للمؤمن فى الدنيا أن يفوز بمحبة الله، فهى التى تثمر له السعادة فى الدنيا والجنة والرضوان فى الآخرة. فليس الشأن أن تحب.. ولكن الشأن أن تُحَب!!!

(١) رواه أحمد عن عبد الله (٤٠٩١) وابن حبان فى صحيحه.

(٢) أخرجه البخارى عن عائشة رضي الله عنها (٣٣٥٣) كتاب المناقب.

فكم من مسلم يدّعى محبته لله جل وعلا، ولكن الله جعل السبيل للوصول لمحبته هو اتباع النبى ﷺ وكثرة النوافل وإخلاص العمل لله بعد تحقيق التوحيد له عز وجل، ولذا قال تعالى عن أحبابه: (من عادى لى وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحبَ إلىّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى لأعطينّه، وإن استعاذنى لأعيذنّه، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساء ته)[1].

فانظر يا أخى إلى تلك المحبة التى تحدث بين الله وبين العبد، والسبب فى ذلك هو التقرب إلى الله بالنوافل التى هى سبب من أهم الأسباب التى تجلب محبة الله جل وعلا، ومن ثَم فإنك تتحصل على خيرى الدنيا والآخرة.

بل إنه من تمام الموافقة بين الله وبين العبد أن الله جل وعلا يخبر أنه ما تردد فى شىء تردده عن نفس عبده المؤمن (أى عن قبض نفس عبده المؤمن)، كما ورد فى رواية أخرى: (وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس المؤمن)... فلماذا؟ لأن العبد يكره الموت، والخالق جل وعلا يكره مساءته.

بل إنه بعد كل تلك الموافقات الربانية التى لا تدانيها الدنيا بما فيها، فإن الله يُعلن فى السماء والأرض إعلانًا سماويًا أرضيًا أنه يحبك أيها المؤمن!!!

ففى الحديث يقول النبى ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدًا دعا جبريل عليه السلام، فقال: إنى أحب فلانًا فأحبه قال: فيحبه جبريل، ثم ينادى فى السماء، فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء. قال: ثم يوضع له القَبول فى الأرض، وإذا أبغض الله عبدًا دعا جبريل عليه السلام، فيقول: إنى أبغض فلانًا فأبغضه. قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادى فى أهل السماء: إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه، فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء فى الأرض»[2].

---

(١) أخرجه البخارى عن أبى هريرة ـ باب التواضع ـ كتاب الرقاق.

(٢) أخرجه مسلم عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (١٧٠٥).

## الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين

إن العدواة التى تكون بين المنافقين والكفار والعصاة يوم القيامة يقابلها على الوجه الآخر تلك المحبة والألفة والسعادة بين أهل الإيمان والتقوى. . . وشتان ما بين الفريقين.

فأهل التقوى كم جمعتهم من مشاهد الفرحة فى الدنيا على طاعة الله جل وعلا، فكم جلسوا لذكر الله، وكم تنزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفّتهم الملائكة حتى إن من يجلس معهم تناله الفرحة التى غمرتهم عندما يقول الحق جل جلاله لملائكته: «فأشهدكم أنى قد غفرت لهم، فيقول مَلك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجةٍ فيقول: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»[1].

فالشقاء لا يعرف لهم طريقًا، بل إن الإيمان يجلب لهم الفرحة ولمن يجالسهم، ثم تكون الفرحة الكبرى عندما يجمعهم الله فى ظل عرشه، ثم يأذن لبعضهم فى الشفاعة لإخوانهم، ومن ثَم يجمعهم فى الجنة على سُررٍ متقابلين.

فالأخوة الصادقة والمحبة فى الله جل وعلا تجعل المؤمن يجنى الفرحة فى الدنيا بصحبة الصادقين وفى الآخرة بمحبة رب العالمين، فهو القائل سبحانه وتعالى: «حُقت محبتى للمتحابين فىَّ، وحُقت محبتى للمتواصلين فىَّ، وحقت محبتى للمتناصحين فىَّ، وحُقت محبتى للمتزاورين فىَّ، وحُقت محبتى للمتباذلين فىَّ. المتحابون فىَّ على منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء»[2].

وفى الرواية الأخرى: «حُقت محبتى على المتحابين. أظلهم فى ظل العرش يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظلى».

## من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه

إن معرفة الإنسان بأن هناك من يحبه تجعل نفسه تهفو إلى لقائه (ولله المثل الأعلى) فما ظنك بإنسان تهفو نفسه إلى لقاء الحق جل جلاله، فيتمنى اللحظة

---

(١) متفق عليه عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٢١٧٣).

(٢) رواه أحمد والطبرانى فى الكبير، عن عبادة بن الصامت ـ صحيح الجامع (٤٣٢٠) (٤٣٢١).

التى يدخل فيها ملك الموت عليه. . . . فيحب لقاء الله فيحب الله لقاءه.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»، فقلت: يا نبى الله: أكراهية الموت؟ فكلنا يكره الموت. قال: «ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بُشّر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بُشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه»[1].

ولذا لما حضرت معاذًا رضي الله عنه الوفاة قال: اللهم إنى كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك. . اللهم إنك نعلم أنى لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجرى الأنهار ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالرُكب عند حِلق الذكر. . ولما اشتد به النزع ونزع نزعًا لم ينزعه أحد كان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه، ثم قال: رب ما أخنقنى خنقك فوعزتك إنك تعلم أن قلبى يحبك.

ولما حضرت بلالاً الوفاة قالت امرأته: واحزناه، فقال: بل واطرباه. غدًا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه.

## حنوط من الجنة... ومغفرة ورضوان

إن اللحظة التى يدخل فيها ملك الموت على المؤمن هى اللحظة الفاصلة والحاسمة. . فإن ملك الموت، إما أن ينادى عليه ويقول: «أيتها النفس الطيبة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان»، وإما أن يُنادى ويقول: «أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى سخط من الله وغضب». ولذا فإن الملائكة التى تسبق مَلك الموت هى التى تحمل البشرى للمؤمن حتى إذا جاء ملك الموت تكتمل فرحة المؤمن بقدومه.

فعن البراء بن عازب قال: خرجنا مع النبى ﷺ فى جنازة رجلٍ من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولما يُلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله، وكأن على رُءوسنا الطير، وفى يده عود ينكتُ فى الأرض فرفع رأسه فقال: استعيذوا بالله من عذاب القبر - مرتين أو ثلاثًا - ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من

(١) أخرجه مسلم عن عائشة ــ باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ــ كتاب الجنائز.

الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكةٌ من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفنٌ من أكفانِ الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مَدَّ البصر، ثم يجيء مَلَكُ الموتِ ﷺ حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان. قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِى السقاء فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحةِ مسكٍ وُجدت على وجه الأرض....»[1].

فاللهم ارزقنى وإخوانى وأخواتى حُسن الخاتمة.

## احتفال فى السماوات السبع !!!

وما زالت الفرحة تتوالى على المؤمن، فهو يتنقل من فرحة إلى فرحة، فها هو المؤمن تحتفل به ملائكة السماوات السبع، بل ويأمر الله جل وعلا أن يكتبوا كتابه فى علّيين... ففى الحديث السابق «... قال: فيصعدون بها فلا يمرون - يعنى بها - على ملإٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له فيُفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها حتى يُنتهى به إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدى فى عليين وأعيدوه إلى الأرض فإنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أُخرجهم تارةً أخرى....».

فملائكة السماوات السبع تعرفك أيها الأخ الكريم لأن أعمالك الصالحة تُرفع إلى الله جل وعلا فى كل وقت... تلك الأعمال التى تجلب لك محبة الرحمن، ومن ثَم محبة جبريل ﷺ، ومن ثَم محبة الملائكة فى السماوات السبع فتصبح معروفًا فى الملأ الأعلى... فعندما تموت على التوحيد تقوم ملائكة السماوات كلها فتحتفل بك احتفالاً سماويًا ملائكيًا لا مثيل له.

فاللهم إنا نسألك من فضلك العظيم.

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والحاكم عن البراء، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٧٦).

## صدق عبدى.. فأفرشوه من الجنة

وها هو التثبيت يأتى للمؤمن فى أشد لحظة يحتاج إليها، ألا وهى اللحظة التى يدخل فيها عليه الملكان فى قبره. ففى الحديث السابق: «. . . . قال فتُعادُ روحه فى جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربى الله. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: دينى الإسلامُ، فيقولان له: ما هذا الرجل الذى بُعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما علمُك؟ فيقولُ: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدّقت، فيُنادى منادٍ فى السماء: أن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة. قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له فى قبره مَدَّ بصره. قال: ويأتيه رجلٌ حسن الوجه حسن الثياب طيبُ الريح، فيقول: أبشر بالذى يسُرُّكَ هذا يومك الذى كنت تُوعدُ، فيقول له: من أنت فوجهك الوجهُ يجىءُ بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: ربِّ أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى. . . »[1].

بل إن المؤمن والكافر كل واحد منهما يرى مقعده من الجنة أو النار، فقد قال ﷺ: «كل أهل الجنة يرى مقعده من النار، فيقول: لولا أن الله هدانى، فيكون له شكر. وكل أهل النار يرى مقعده من الجنة، فيقول: لو أن الله هدانى فيكون عليه حسرة»[2].

## فرحة أرواح المؤمنين فى قبورهم

وها هى الفرحة تغمر أرواح المؤمنين فى قبورهم.

فعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «إذا حُضِر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء، فيقولون: اخرجى راضية مرضيًا عنك إلى روح الله وريحان ورب غير غضبان، فتخرج كأطيب ريح المسك حتى إنه ليناوله بعضهم بعضًا حتى يأتوا به باب السماء، فيقولون: ما أطيب هذه الريح التى جاءتكم من الأرض، فيأتون به أرواح المؤمنين، فلهم أشد فرحًا به من أحدكم بغائبه يقدمُ عليه، فيسألونه: ماذا

---

(١) رواه أحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٧٦).

(٢) رواه أحمد والحاكم عن أبى هريرة، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٥١٤).

فعل فلان؟ ماذا فعل فلان؟ فيقولون: دعوه. فإنه كان فى غم الدنيا، فإذا قال: أما أتاكم؟ قالوا: ذُهبَ به إلى أُمه الهاوية ـ النار ـ وإن الكافر إذا حُضر أتته ملائكة العذاب بمسحٍ، فيقولون: اخرجى ساخطةً مسخوطًا عليك إلى عذاب الله عز وجل، فيخرج كأنتن ريح جيفةٍ حتى يأتوا بها باب الأرض، فيقولون: ما أنتن هذه الريح حتى يأتوا بها أرواح الكفار»[1].

## قائد يقودك إلى الجنة

قال سعيد عن قتادة: بلغنا أن نبى الله ﷺ قال: «إن المؤمن إذا خرج من قبره صُوِّر له عمله فى صورة حسنة وبشارة حسنة، فيقول له: من أنت؟ فوالله إنى لأراك امرأ الصدق، فيقول له: أنا عملك فيكون له نورًا وقائدًا إلى الجنة، وأما الكافر إذا خرج من قبره صُوِّر له عمله فى صورة سيئة وبشارة سيئة، فيقول: من أنت فوالله إنى لأراك امرأ السوء، فيقول له: أنا عملك فينطلق به حتى يدخل النار».

## فرحة فى ظل عرش الرحمن

ففى الوقت الذى يقف فيه الكفار والمنافقون فى أرض المحشر فى لفح الشمس التى تدنو فوق الرءوس حتى تكون كمقدار ميل، فيغرق الناس فى عرقهم (كل واحدٍ بحسب ذنبه) يقفون خمسين ألف سنة بلا طعام ولا شراب.

تجد أن المؤمن يجلس فى ظل عرش الرحمن جل وعلا. قال رسول الله ﷺ: «سبعة يُظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله، الإمام العادل، وشاب نشأ فى عبادة الله، ورجل قلبه معلق فى المساجد، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إنى أخاف الله، ورجل تصدَّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»[1]. وهؤلاء السبعة يأكلون من زيادة كبد الحوت. تلك الوجبة التى أعدها لهم الرحمن جل وعلا، وإذا أرادوا الماء شربوا من حوض النبى ﷺ الذى

---

(١) رواه النسائى والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٩٠).

(٢) متفق عليه عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٣٦٠٣).

قال عنه «حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء، وماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء من يشرب منه فلا يظمأ أبدًا»(١).

## ستر فى الدنيا.. ومغفرة فى الآخرة

عن صفوان بن محرز قال: قال رجل لابن عمر ﷺ: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول فى النجوى؟ قال: سمعته يقول: «يُدنَى المؤمن يوم القيامة من ربه عز وجل حتى يضع عليه كَنَفَه، فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أى رب أعرف. قال: فإنى قد سترتها عليك فى الدنيا، وإنى أغفرها لك اليوم، فيُعطى صحيفة حسناته، وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على الله»(٢).

بل قال ﷺ: «يُوتَى بالرجل يوم القيامة من أهل الجنة، فيقول له: يا ابن آدم كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أى رب! خير منزل، فيقول: سل وتمنَّ. فيقول: يارب ما أسأل ولا أتمنى إلا أن تردنى إلى الدنيا فأُقتل فى سبيلك عشر مرار. . . . لما يرى من فضل الشهادة. ويُؤتى بالرجل من أهل النار، فيقول له: يا ابن آدم: كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أى رب! شرَّ منزلٍ. فيقول له: أتفتدى منه بطلاع الأرض ذهبًا؟ فيقول: أى رب! نعم، فيقول: كذبت قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل فيُردُّ إلى النار»(٣).

## مشهد البطاقة والسجلات

فعن ابن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله سيخلّص رجلاً من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثلُ مدّ البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتى الحافظون؟ فيقول: لا يارب. فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يارب. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنةً وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن

---

(١) متفق عليه عن ابن عمرو ـ صحيح الجامع (٣١٦١).

(٢) أخرجه مسلم، باب فى النجوى وتقرير العبد بذنوبه كتاب التوبة.

(٣) أخرجه مسلم وأحمد عن أنس ـ صحيح الجامع (٧٩٩٦).

محمدًا عبده ورسوله، فيقول: أحضر وزنك. فيقول: يارب! ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: فإنك لا تُظلم.. فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله تعالى شىء»[١].

## ساق أثقل من جبل أحد !!!

إن موازين البشر ليس لها أى قيمة، إلا إذا كانت موافقة لميزان الشرع، ولذلك فإن المؤمن كلما ازداد إيمانًا كلما ازداد وزنه فى الآخرة؛ لأنه يوضع فى ميزان ربانى لا يشبه موازين البشر.

ولك أن تتخيل معى ذلك المشهد المهيب الذى حدث لذلك الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كنت أجتنى لرسول الله ﷺ من الأراك (ليأتيه بالسواك) قال: فضحك القوم من دقة ساقى، فقال النبى ﷺ: «مم تضحكون؟» قالوا: من دقة ساقيه. فقال: «والذى نفسى بيده لهى أثقل فى الميزان من أُحُد»[٢]، أى من جبل أُحُد. وفى المقابل يقول النبى ﷺ: «إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة اقرءوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾[٣].

وهذا مشهد نراه فى حياتنا فى كل يوم... فقد يرى الناس رجلاً فقيرًا، ولكنه من أهل التقوى والصلاح فلا يلتفتون إليه مع أنه قد يكون من أحب الناس إلى الخالق جل وعلا.

قال ﷺ: «رُب أشعث مدفوعٍ بالأبواب. لو أقسم على الله لأبرّه»[٤].... وفى رواية: «رُب ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبرّه»[٥].

---

(١) رواه أحمد والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٧٧٦).

(٢) أخرجه أحمد والطيالسى (٣٥٥) وحسنه الألبانى فى الصحيحة (٢٧٥٠).

(٣) أخرجه مسلم عن أبى هريرة باب فى قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ كتاب التفسير.

(٤) أخرجه مسلم وأحمد عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٣٤٨٤).

(٥) رواه البزار عن ابن مسعود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٤٨٧).

وفى المقابل فـقد يرى الناس رجلاً كافـرًا أو فاسقًا، ولكنه من أصـحاب الجاه والمال والرئاسة، فيعظّمون قـدره مع أنه قد يكون من أبغض الناس إلى الخالق جل وعلا.

## فرحة لمن يملك الثمن !!!

قال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)﴾ (آل عمران: ١٣٤).

فمـا أجمل أن يـتخلق المؤمـن بخُلق العفـو.. فإن ذلك يـكون سببًا لمغـفرة الذنوب، بل وللتنعم بجنات النعيم عند علام الغيوب - جل وعلا -.

فعن أنس عـن رسول الله ﷺ أنه قال: بينـا رسول الله ﷺ جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه، فقال عمر: ما أضحكك يا رسول الله بأبى أنت وأمى؟ فقال: «رجلان من أمتـى جثيا بين يدى رب العزة تبارك وتعالى، فـقال أحدهما: يارب خذ لى مظلمتى من أخى، قال الله تعالى: أعط أخاك مظلمته. قال: يارب لم يبق من حـسناتى شىء، فقـال الله تعالى لـلطالب: كيف تصنـع ولم يبق من حسناته شىء. قال: رب فـليحمل عنى أوزارى». قال: ففاضـت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء، ثم قال: «إن ذاك ليوم عظيم يحتاج الناس إلى من يتحمل عنهم من أوزارهم»، قال: «فـقال الله تعالى لـلطالب: ارفع بصرك وانظر فى الجـنان فرفع رأسه، فقال: يـارب أرى مدائن من فضة وقصوراً مـن ذهب مكللة باللؤلؤ.... لأى نبى هذا؟ أو لأى صدِّيق هـذا؟ لأى شهيد هذا؟ قال: هـذا لمن أعطى ثمنه. قال: يارب ومن يملك ثمنه؟ قال: أنت تملكه، قـال: ماذا يارب؟ قال: تعفو عن أخيك. قال: يارب فإنى قـد عفوت عنه، قال الله تعالى: خذ بيـد أخيك فادخلا الجنة، ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: «اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله تعـالى يُصلح بيـن المؤمنين يوم الـقيـامة»[1]. وهذا تنبـيه على أن ذلـك إنما يُنال بالتخلق بأخلاق الله وهو إصلاح ذات البين وسائر الأخلاق.

---

(١) الحديث بطوله أخرجـه ابن أبى الدنيا فى حُسن الظن بالله، والحاكـم فى المستدرك ـ وأورده ابن كثير فى تفسيره، (٢/ ٢٧٣) من رواية أبى يعلى

## سعادة لا شقاء بعدها أبداً

فعن أنس رضي الله عنه قال: «يُؤتَى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتى الميزان ويوكّل به ملك، فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يُسمع الخلائق. . . . سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدًا، وإن خفّ ميزانه نادى بصوت يُسمع الخلائق. . . شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدًا. . .».

فتفكّر الآن فى نفسك إن خلت صحيفتك عن المظالم أو تلطف لك حتى عفا عنك وأيقنت بسعادة الأبد: كيف يكون سرورك فى منصرفك من مفصل القضاء، وقد خلع عليك خلعة الرضا وعدت بسعادة ليس بعدها شقاء وبنعيم لا يدور بحواشيه الفناء؟ وعند ذلك طار قلبك سرورًا وفرحًا وابيّض وجهك واستنار وأشرق كما يشرق القمر ليلة البدر، فتوهّم تبخترك بين الخلائق رافعًا رأسك خاليًا عن الأوزار ظهرك، ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضا يتلألأ من جبينك، وخلق الأولين والآخرين ينظرون إليك وإلى حالك ويغبطونك فى حسنك وجمالك، والملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك وينادون على رؤوس الأشهاد: هذا فلان بن فلان رضي الله عنه وأرضاه وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدًا أفترى أن هذا المنصب ليس بأعظم من المكانة التى تنالها فى قلوب الخلق فى الدنيا بريائك ومداهنتك وتصنّعك وتزينك؟ فإن كنت تعلم أنه خير منه، بل لا نسبة له إليه فتوسل إلى إدراك هذه الرتبة بالإخلاص الصافى والنية الصادقة فى معاملتك مع الله، فلن تدرك ذلك إلا به.

## مشهد عظيم لأهل البلاء

يا من ابتلاك الله فى الدنيا فصبرت واحتسبت وعشت على طاعته ولم تتسخط على قضائه. . أبشر بالجزاء الذى يحسدك عليه أهل العافية يوم القيامة. . . فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «تُنصب الموازين يوم القيامة، فيؤتَى بأهل الصلاة، فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل الصيام؛ فيوفون أجورهم بالموازين؛ ويؤتى بأهل الصدقة، فيوفون أجورهم بالموازين؛ ويؤتى بأهل الحج، فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل البلاء، فلا يُنصب لهم ميزان، ولا يُنشر

لهم ديوان، ويُصب عليهم الأجر صبًا بغير حساب ثم قرأ ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠) حتى يتمنى أهل العافية فى الدنيا، أن أجسادهم تُقرض بالمقارض، مما يذهب به أهل البلاء من الفضل».

وفى رواية: قال ﷺ: «يود أهل العافية يوم القيامة حين يُعطَى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قُرضت فى الدنيا بالمقاريض»(١).

## انظرونا نقتبس من نوركم

قال تعالى فى الحديث القدسى: «وعزتى وجلالى لا أجمع لعبدى أمنين ولا خوفين. إن هو أمننى فى الدنيا أخفته يوم أجمع عبادى، وإن هو خافنى فى الدنيا أمّنته يوم أجمع عبادى»(٢).

فيا إخوانى وأحبابى ويا أخواتى الفضيلات.... يا من عشتم زمان الغربة الثانى. ويا من تعذبتم فى الدنيا وكابدتم المتاعب وصبرتم على قضاء الله وقدره... أبشروا والله بعد هذا الخوف بالأمن فى ذلك اليوم الذى قال عنه الحق جل وعلا ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (الحديد: ١٢ ـ ١٥).

فيا له من نعيم. ويا لها من فرحة لأهل الإيمان فى ذلك اليوم.

ثم ينادى الحق جل جلاله عليكم يا من تقاعستم عن طاعته ورضيتم بالحياة الدنيا قائلاً لكم: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ

(١) رواه الترمذى عن جابر وحسنه الألبانى - صحيح الجامع (٨١٧٧).

(٢) رواه أبو نعيم فى الحلية، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٣٢).

وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد: ١٦).

ولكن الله برحمته التى وسعت كل شىء ترك الباب مفتوحًا لكل من أراد أن يتوب ولكل من أراد صلاح قلبه واستسلامه لله جل وعلا. فقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ (الحديد: ١٧).

فمن أحسَّ بموت قلبه أو بمرضه، فليصدق مع الله وليسأله أن يحيى قلبه، وأن يشفى قلبه من حب الدنيا والتعلق بها، وسوف يصلح الله له قلبه، فإن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلّبها كيف يشاء.

## تلك هى الجنة... فأين مهرها ؟!!!

يقول الإمام ابن القيم فى كتابه القيم «حادى الأرواح إلى بلاد الأرواح»: «وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده وجعلها مقرًا لأحبابه، وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم ومُلكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره: وطهرها من كل عيب وآفة ونقص، فإن سألت عن أرضها وتربتها فهى المسك والزعفران، وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن، وإن سألت عن بلاطها فهو المسك الأذفر، وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب».

وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة، لا من الحطب والخشب. وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل.

وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحلل، وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مُصفًّى. وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون، وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور، وإن سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة فى صفاء القوارير.

وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام، وليأتين

عليه يوم وهو كظيظ من الزحام، وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها، فإنها تستفز بالطرب لمن يسمعها، وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المُجدّ السريع فى ظلها مائة عام لا يقطعها، وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير فى مُلكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفى عام.

وإن سألت عن خيامها وقبابها، فالخيمة الواحدة من درة مجوفة، طولها ستون ميلاً فى السماء، وإن سألت عن علاليها وجواسقها فهى غُرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار، وإن سألت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب فى الأفق الذى لا تكاد تناله الأبصار. وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب، وإن سألت عن فراشها فبطائنها من إستبرق مفروشة فى أعلى الرتب، وإن سألت عن أرائكها فهى الأسرّة عليها البشخانات وهى الحجال مزررة بأزرار الذهب، فما لها من فروج ولا خلال.

وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر. وإن سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم عليه السلام أبى البشر، وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيين وأعلى منهما خطاب رب العالمين.

وإن سألت عن مطاياهم التى يتزاورون عليها، فنجائب إن شاء الله مما شاء تسير بهم، حيث شاء وا من الجنان. وإن سألت عن حليهم وشارتهم فأساور الذهب واللؤلؤ على الرؤوس ملابس التيجان. وإن سألت عن غلمانهم فولدان مخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون.

وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم، فهن الكواعب الأتراب، اللائى جرى فى أعضائهن ماء الشباب، فللورد والتفاح ما لبسته الخدود، وللرمان ما تضمنته النهود، وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور، وللرقة واللطافة ما دارت عليه الخصور، تجرى الشمس من محاسن وجهها إذا برزت، ويضيء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت، إذا قابلت حبها فقل ما تشاء فى تقابل النيّرين (الشمس والقمر) وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحبيبين. وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين، ويرى وجهه فى صحن خدها، كما يرى فى المرآة التى جلاها صقيلها، ويرى مخ

ساقها من وراء اللحم ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حللها. لو اطلعت على الدنيا لملأت ما بين الأرض والسماء ريحًا. وأفواه الخلائق تهليلاً وتكبيرًا وتسبيحًا، ولتزخرف لها ما بين الخافقين، ولأغمضت عن غيرها كل عين، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم، ولآمن مَنْ على ظهرها بالله الحى القيوم، ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيها، ولا يزداد على طول الأحقاب إلا حسنًا وجمالاً، ولا يزداد لها على طول المدى إلا محبة ووصالاً، مبرأة من الحمل والولادة والحيض والنفاس، مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الأدناس، لا يفنى شبابها، ولا تبلى ثيابها ولا يخلق ثوب جمالها، ولا يمل طيب وصالها، قد قصرت طرفها على زوجها، فلا تطمح لأحد سواه وقصر طرفه عليها فى غاية أمنيته وهواه، وإن نظر إليها سرته، وإن أمرها بطاعته أطاعته، وإن غاب عنها حفظته، فهو منها فى غاية الأمانى. . . هذا ولم يطمثها قبله إنس ولا جان، كلما نظر إليها ملأت قلبه سرورًا، وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤاً منظومًا ومنثورًا، وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نورًا.

وإن سألت عن السن فأتراب فى أعدل سن الشباب، وإن سألت عن الحُسن، فهل رأيت الشمس والقمر، وإن سألت عن الحدق فأحسن سواد فى أصفى بياض فى أحسن حَور، وإن سألت عن القدود فهل رأيت أحسن الأغصان، وإن سألت عن النهود فهن الكواعب، ونهودهن كألطف الرمان، وإن سألت عن اللون فكأنه الياقوت والمرجان، وإن سألت عن حُسن الخُلق فهن الخيرات الحسان، اللاتى جمع لهن بين الحسن والإحسان، فأعطين جمال الباطن والظاهر فهن أفراح النفوس وقرة النواظر. وإن سألت عن حُسن العشرة ولذة ما هنالك فهن العُرُب المتحببات إلى الأزواج بلطافة التبعل التى تمتزج بالروح أى امتزاج.

فما ظنك بامرأة إذا ضحكت فى وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها. وإذا انتقلت من قصر إلى قصر قلت: هذه الشمس متنقلة فى بروج فلكها، وإذا حاضرت زوجها، فيا حُسن تلك المحاضرة، وإن خاصرته فيا لذة المعانقة والمخاصرة.

وإن غنت فيا لذة الأبصار والأسماع، وإن آنست وأمتعت فيا حبذا تلك المؤانسة والإمتاع. وإن قبّلت فلا شيء أشهى إليه من التقبيل، وإن نولت فلا ألذ ولا أطيب من ذلك التنويل.

هذا وإن سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه، كما ترى الشمس فى الظهيرة والقمر ليلة البدر كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه. فاستمع يوم ينادى المنادى: يا أهل الجنة، إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحى على زيارته، فيقولون: سمعًا وطاعة، وينهضون إلى الزيارة مبادرين، فإذا بالنجائب قد أُعدت لهم فيستوون على ظهورها مسرعين، وحتى إذا انتهوا إلى الوادى الأفيَح الذى جُعل لهم موعدًا. وجمعوا هناك فلم يغادر الداعى منهم أحدًا، أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فنُصب هناك، ثم نصبت لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة. وجلس أدناهم وحاشاهم أن يكون فيهم دنى على كثبان المسك ما يرون أن أصحاب الكراسى فوقهم فى العطايا، حتى إذا استقرت بهم مجالسهم واطمأنت بهم أماكنهم نادى المنادى: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه. فيقولون: ما هو؟ ألم يبيّض وجوهنا ويثقل موازيننا. ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار. فبينما هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرقت له الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه: وقد أشرف عليهم من فوقهم. وقال: يا أهل الجنة، سلام عليكم، فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى ويضحك إليهم، ويقول: يا أهل الجنة، فيكون أول ما يسمعون منه تعالى: أين عبادى الذين أطاعونى بالغيب، ولم يرونى، فهذا يوم المزيد، فيجتمعون على كلمة واحدة: قد رضينا فارض عنا، فيقول: يا أهل الجنة إنى لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتى. هذا يوم المزيد فاسألونى: فيجتمعون على كلمة واحدة: أرنا وجهك ننظر إليه. فيكشف لهم الرب جل جلاله الحُجب، ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله تعالى قضى أن لا يحترقوا لاحترقوا. ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة حتى إنه يقول: يا فلان أتذكر يوم

فعلت كذا وكـذا؟ يذكّره ببعض غدراته فـى الدنيا، فيقول: يارب ألـم تغفر لى؟ فيقول: بمغفرتى بلغت منزلتك هذه.

فيا لذة الأسمـاع بتلك المحاضرة ويا قرة عيون الأبرار بالنـظر إلى وجهه الكريم فى الدار الآخرة، ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢ ـ ٢٥).

فحى على جنات عدن فإنهـا ... منازلنا الأولـى وفيها المخيم
ولكننا سبى العدو فهل ترى ... نعود إلى أوطاننا ونسلم[1]

فيا من أردت الجنة ها هو مهرها... شـهادة فى سبيل الله عز وجل، وها هو عقد الجنـة الذى أخبر الله عز وجل عـنه فى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١١١).

## هؤلاء الذين بشّرهم الله بالجنة

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥)﴾ (البقرة: ٢٥)

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت: ٣٠).

وقال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (التوبة: ٢٠ ـ ٢٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ

(١) حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح للإمام ابن القيم (ص: ٢٦٢: ٢٦٥).

بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة: ١١١).

وقال فى الجنة: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٣). وقال: ﴿ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ (الحديد: ٢١). وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴾ (الكهف: ١٠٧).

وقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ - إلى قوله - أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (المؤمنون: ١: ١١).

وفى المسند وغيره أن النبى ﷺ قال: «قد أُنزلت علىَّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة، ثم تلا - قد أفلح المؤمنون - حتى ختم العشرة آيات».

وقال تعالى: ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ (مريم: ٦٣).

وقال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦) ﴾ (آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٦).

وقال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٦) ﴾ (الرحمن: ٤٦). وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٤١) ﴾ (النازعات: ٤٠ ـ ٤١).

وهذا فى القرآن كثير ومداره على ثلاث قواعد: إيمان وتقوى وعمل خالص لله على موافقة السنة، فأهل هذه الأصول الثلاثة هم أهل البشرى دون من عداهم من سائر الخلق»[1].

* * *

---

(١) حادى الأرواح (ص: ٣٧١ ـ ٣٧٣) بتصرف.

## مَن الذين تشتاق الجنة إليهم ؟!!

إنه ما من مؤمن إلا ونفسه تتوق إلى جنة الرحمن جل وعلا، ولكن يا تُرى من هم الذين تشتاق الجنة إليهم ؟!!!

قال ﷺ : «إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة: عليّ وعمار وسلمان»[1] .

ولكي تستشعر تلك الفرحة فتخيل نفسك مكان واحد من هؤلاء الصحب الكرام، وقد سمعت هذه البشرى من الحبيب ﷺ ، فيا تُرى كيف تكون فرحتك وسعادتك؟!!!

## نداء من أبواب الجنة الثمانية

إن الغاية التى يسعى إليها كل مؤمن أن يدخل الجنة، وأن ينجو من عذاب النار، فهذا هو الفوز الحقيقى مصداقًا لقول الله عز وجل: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥)﴾ (آل عمران: ١٨٥).

فما ظنك بمن يأتى يوم القيامة ويجد أن أبواب الجنة الثمانية تنادى عليه ليدخل من أى الأبواب شاء؟! فيا تُرى

## من الذين ينادي عليهم من أبواب الجنة الثمانية؟!!

وسوف أسوق لحضراتكم باقة من الأحاديث العطرة التى تخبرنا عن هذا الصنف المبارك الذى يُنادى عليه من أبواب الجنة الثمانية.

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين فى سبيل الله نُودى من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خيرٌ فمن كان من أهل الصلاة دُعى من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دُعى من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دُعى من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دُعى من باب الصدقة، فقال أبو بكر رضي الله عنه: بأبى أنت وأمى يا رسول الله ما على من دُعى من تلك الأبواب من ضرورة فهل يُدعى أحدٌ من تلك الأبواب كلها؟ قال: نعم. وأرجو أن تكون منهم»[2] .

---

(١) رواه الترمذى والحاكم، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٥٩٨).

(٢) أخرجه البخارى عن أبى هريرة ـ كتاب الصيام (١٧٦٤).

وعن معاوية بن قُرة، عـن أبيه ﷺ أن رجلاً أتى النبى ﷺ ومعه ابن لـه، فقال له: أتُحبهُ؟ فقال: أحبَّكَ الله كما أُحبهُ. . . . فـمات ففقده، فسأل عنه، فقال: ما يسرُّكَ أن لا تأتى بابًا من أبواب الجنة إلا وجدته عندهُ يسعى يفتحُ لك»[١].

قال رسول الله ﷺ: «إذا صلت المرأة خـمسها وصـامت شهرهـا، وحصّنت فرجها، وأطاعت زوجها. قيل لها: ادخلى الجنة من أى أبواب الجنة شئت»[٢].

وقال ﷺ: «من توضـأ فأحـسن الوضوء، ثم قـال: أشهـد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله. اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين، فُتحت له ثمانيةُ أبواب الجنة يدخلُ من أيها شاء»[٣].

وعن عقبـة بن عامر قال: كانت علينا رعـايةُ الإبل، فجاءت نوبتى فروَّحـتها بعشى، فأدركت رسول الله ﷺ قائمًا يُحدِّثُ الناس، فأدركت من قوله: «ما من مسلم يتوضأ فيُحسنُ وضوءه، ثم يقوم فيصلى ركـعتين مقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة» قـال: فقلت: ما أجود هذه، فإذا قائـل بين يدى يقول: التى قبلها أجودُ فنظرت فإذا عمر قال: إنى قد رأيتك جئت آنفًا قال: ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبد الله ورسوله إلا فُتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء»[٤].

وعن عبادة بن الصامـت قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن مـحمدًا عبده ورسوله، وأن عيـسى عبد الله وابن أمته، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروحٌ منه، وأن الجنة حق وأن النار حقٌ أدخلهُ الله من أى أبواب الجنة الثمانية شاء»[٥].

وعن شرحبـيل بن شُفعة قـال: لقينى عتبة بـن عبد السلمى، فقـال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم يموتُ له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا

(١) رواه النسائى عن معاوية بن قرة عن أبيه ـ كتاب الجنائز (١٨٤٧).
(٢) رواه ابن حبان، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٦٠).
(٣) رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦١٦٧).
(٤) أخرجه مسلم عن عقبة بن عامر ـ كتاب الطهارة (٣٤٥).
(٥) أخرجه مسلم عن عبادة بن الصامت ـ كتاب الإيمان (٤١).

تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل»[١].

## عروس فى الجنة !!!

- فيا لها من فرحة يا أخى إذا سمعت المنادى ينادى عليك من أحد أبواب الجنة، فما ظنك بفرحك حين تسمع النداء يأتيك من أبواب الجنة الثمانية، بل إن الملائكة تستقبل المؤمنين بتلك الكلمات ﴿هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٣).

فإن كان الزوج (العروس) فى الدنيا يقول له الناس «الليلة ليلتك»، فإن الملائكة تقول لك فى الجنة «هذا يومكم» فما أجملها من كلمات.

## أول من يقرع باب الجنة

قال ﷺ: «أنا أول من يفتح الجنة، فإذا امرأة تبادرنى فأقول من أنت؟ فتقول: أنا امرأة تأيمت على أيتامٍ لى»[٢].

فقوله تبادرنى: أى لتدخل معى أو تدخل فى أثرى، ويحتمل أن يكون المراد مجموع الأمرين: سرعة الدخول وعلو المنزلة.... فيا له من مشهد جليل وشرف عظيم.

## ويدخلهم الجنة عرّفها لهم

إن الإنسان إذا ما ذهب لزيارة إخوانه فى الدنيا أو أقاربه، فقد لا يتمكن من الوصول إليه وقد لا يعرف بيته.

أما فى الجنة فإن الذى يُعرفك بيتك هو الله جل وعلا... قال تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ⑥﴾ (محمد: ٦).

بل قال ﷺ: «.... فوالذى نفس محمدٍ بيده لأحدهم بمسكنه فى الجنة أدلُّ منه بمسكنه كان فى الدنيا»[٣].

---

(١) رواه أحمد، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٧٧٢).

(٢) رواه أبو يعلى عن أبى هريرة، وقال ابن حجر فى الفتح (وإسناده لا بأس به).

(٣) أخرجه البخارى وأحمد عن أبى سعيد ـ صحيح الجامع (٥١٠).

## ادخلوا الجنة بغير حساب !!!

لقد أخبر النبى ﷺ عن طائفة من أمته يدخلون الجنة بغير حساب، فقال ﷺ: «عُرضت علىّ الأمم فرأيت النبى ومعه الرهط، والنبى ومعه الرجل والرجلان، والنبى وليس معه أحد، إذ رُفع لى سواد عظيم، فظننت أنهم أمتى، فقيل لى: هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق، فإذا سواد عظيم، فقيل لى: انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سوادٌ عظيم، فقيل لى: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب. . . . هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون»[(١)].

فيا لها من فرحة لمن يدخل الجنة بغير حساب، وذلك لأن المؤمن يعلم أنه لو جاءه من يبشره بالجنة، ولكن بعد أن يحاسبه الله ثم يدخله الجنة لكان ذلك عذابًا شديدًا؛ لأن النبى ﷺ قال: «من نُوقش الحساب عُذّب»[(٢)].

وفى رواية: «من نُوقش المحاسبة هلك»[(٣)].

فمجرد مناقشة الحساب عذاب شديد. فحسبك أيها المؤمن أن يعدد الله عليك ذنوبك وأوزارك.

فكيف بمن يحاسبه الله وهو لا يدرى هل هو من أهل الجنة أم من أهل النار؟! وبذلك تستطيع أن تستشعر مدى فرحة هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب «فاللهم اجعلنا منهم».

## لقاء على باب الجنة

عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم، وهو خمسمائة عام»[(٤)]. وفى رواية «بأربعين خريفًا».

وعن ابن عباس قال: «التقى مؤمنان على باب الجنة، مؤمن غنى ومؤمن فقير

---

(١) متفق عليه عن ابن عباس ـ صحيح الجامع (٣٩٩٩).

(٢) متفق عليه عن عائشة ـ صحيح الجامع (٦٥٧٨).

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٥٧٩).

(٤) أحمد والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨٠٧٦).

كانا فى الدنيا، فأُدخل الفقير الجنة، وحُبس الغنى ما شاء الله أن يُحبس، ثم أدخل الجنة، فلقيه الفقير، فقال: أى أخى، ماذا حبسك؟ والله لقد احتبست حتى خفت عليك، فيقول: أى أخى، إنى حُبست بعدك محبسًا فظيعًا كريهًا، وما وصلت إليك حتى سال منى العرق ما لو ورده ألف بعير كلها آكلة حمض لصدرت عنه»(١).

وتختلف مدة السبق بحسب أحوال الفقراء والأغنياء، فمنهم من يسبق بخمسمائة، كما يتأخر مكث العصاة من الموحدين فى النار بحسب أحوالهم. والله أعلم.

ولكن ههنا أمر يجب التنبيه عليه، وهو أنه لا يلزم من سبقهم لهم فى الدخول ارتفاع منازلهم عليهم، بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة، وإن سبقه غيره فى الدخول. والدليل على هذا أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب، وهم السبعون ألفًا، وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم والغنى إذا حوسب على غناه فوجد قد شكر الله تعالى فيه وتقرب إليه بأنواع البر والخير والصدقة والمعروف كان أعلى درجة من الفقير الذى سبقه فى الدخول، ولم يكن له تلك الأعمال، ولاسيما إذا شاركه الغنى فى أعماله وزاد عليه فيها، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

فالمزية مزيتان: مزية سبق، ومزية رفعة، وقد يجتمعان وينفردان فيحصل لواحد السبق والرفعة ويعدمهما آخر، ويحصّل الآخر السبق دون الرفعة والآخر الرفعة دون السبق، وهذا بحسب المقتضى للأمرين أو لأحدهما وعدمه... وبالله التوفيق(٢).

## مشهد عظيم عند دخول الجنة

قال على بن أبى طالب رضي الله عنه: «يساق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زُمرًا، حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان،

---

(١) رواه أحمد عن ابن عباس (٢٦٣٤).

(٢) حادى الأرواح للإمام ابن القيم (ص ١١١، ١١٢) ط دار الحديث.

فعمدوا إلى إحداهما كأنما أُمروا بهـا فشربوا منها، فأذهب ما فى بطونهم من أذى وقذى وبأس، ثم عمدوا إلى الأخـرى فتطهروا منها فجرت عليـهم نضرة النعيم، فلن تتغير أبشارهم بعدها أبدًا ولن تشعث أشعارهم كأنما دهنوا بالدهان، ثم انتهوا إلى خزنة الجنة، فقـالوا: سلام عليكم طبتم فادخلوها خالـدين. قال: ثم تلقاهم الولدان يطـيفون بهـم كما يـطيف ولدان أهل الدنيـا بالحمـيم يقدم من غـيبـته، فيقولون: أبشر بما أعد الله لك من الـكرامة. كذا قال: ثم ينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجـه من الحور العيـن، فيقول: قـد جاء فلان باسـمه الذى يُدعى بـه فى الدنيـا، فتـقول: أنت رأيتـه؟ فـيقـول: أنا رأيته، وهـو ذا بأثرى، فيستخف إحـداهن الفرح حتى تقوم على أسكفة بابها، فـإذا انتهى إلى منزله نظر إلى أساس بنائه، فإذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أخضر وأصفر وأحمر من كل لون، ثم رفع رأســه فنظر إلى سقـفه، فإذا مـثل البرق، فلولا أن الله قـدّره له لألمّ أن يذهب بصره، ثم طأطأ رأسه فنظر إلى أزواجه، وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة، فنظروا إلى تلك النعـمة، ثم اتكأوا وقالوا: الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لـنهتدى لولا أن هدانا الله، ثم ينادى مناد: تحـيون فلا تموتون أبدًا، وتقيمون فلا تظعنون أبدًا، وتصحّون فلا تمرضون أبدًا»[1] .

وعن النعمان بـن سعد قال: كنا جلوسًا عند عـلىّ ﷺ فقرأ هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (مريم: ٨٥) قال: لا والـله ما علـى أرجلهم يُحشـرون ولا يُحشرُ الوفـد على أرجلهم ولكن علـى نُوقٍ لم تر الخلائق مـثلها، عليها رحائل من ذهبٍ فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة»[2] .

## أول زمرة تدخل الجنة

عن أبى هريرة قال: قـال رسول الله ﷺ : «إن أول زمرة يدخلـون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء إضاءة لا يبولون ولا يـتغوطون ولا يتـمخطون ولا يتفلون، أمـشاطهم الذهب، ورشـحهم المسك، ومـجامرهم الألوة، وأزواجـهم الحور العـين، أخلاقهم عـلى خُلق رجلٍ

(١) حادى الأرواح، للإمام ابن القيم (ص ١٤٣ ـ ١٤٤).
(٢) رواه أحمد عن النعمان بن سعد (١٢٦٣).

واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا فى السماء»[١].

وفى رواية البخارى: «ولـكل واحد منهم زوجتان، يُرى مخ سوقـهما من وراء اللحم من الحُسن لا اختـلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب واحد يسـبّحون الله بكرة وعشيًا».

وعن أبى هريـرة قال: قال رسـول الله ﷺ: «عُرض علىّ أول ثـلاثة يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلـون النار، فأما أول ثلاثة يدخلون الجـنة. فالشهيـد، وعبد مملوك أحسن عبادة ربـه ونصح لسيده، وعفيف متعـفف ذو عيال، وأما أول ثلاثة يدخلـون النار: فأمـير مُـسلَّط، وذو ثروة مـن مال لا يعطـى حق ماله، وفـقيـر فخور»[٢].

وعن ابن عمر يقـول: قال رسول الله ﷺ: «هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله؟» قـالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «أول من يـدخل الجنة من خلق الله الفقراء والمهاجرون الذين تُسد بهم الـثغور وتُتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجـته فى صـدره لا يستطيع لهـا قضـاء، فيقـول الله عز وجل لمن يـشاء من ملائكتـه: ائتوهم فحيـوهم. فتقول الملائـكة: نحن سكان سمائك وخـيرتك من خلقك، أفتأمرنا أن نأتى هؤلاء فنسلم عليهـم؟ قال: إنهم كانوا عبادًا يعبدوننى لا يشركون بى شيئًا وتُسد بهم الثغور وتُتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيع لهـا قضاء. قال: فتأتيهم الملائكة عند ذلك فـيدخلون عليهم من كل باب سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عُقبى الدار»[٣].

## درجـات الجنـة... ومن هم أهلها

قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً

---

(١) أخرجه البـخارى (٦/ ٣٢٤٥ ــ ٣٢٤٦ ــ فتح البارى) ومـسلم (١٧/ ٢٥١ ــ ح ١٥) واللفظ لمسلم.

(٢) رواه الترمذى عن أبى هريرة ــ كتاب فضائل الجهاد (١٥٦٦) وأحمد (٩١٢٨) بسند حسن.

(٣) رواه أحمد (٦٢٨٢) وقـال الهيثمى فى مجـمع الزوائد: رواه أحمد والبزار والطبـرانى ورجالهم ثقات.

وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ ﴾ (النساء: ٩٥ ـ ٩٦).

ذكر ابن جرير.... عن ابن محيريز قال: «فضّل الله المجاهدين على القاعدين أجرًا عظيمًا درجاتٍ منه..

قال: هي سبعون درجة ما بين الدرجتين عدد الفرس الجواد المضمّر سبعين عامًا». وتأمل قوله كيف أوقع التفضيل أولاً بدرجة، ثم أوقعه ثانيًا بدرجات. فقيل الأول بين القاعد المعذور والمجاهد. والثانى بين القاعد بلا عذر والمجاهد.

وقال تعالى: ﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (آل عمران: ١٦٢ ـ ١٦٣).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (الأنفال: ٢ ـ ٤).

وعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليتراء ون أهل الغرف من فوقهم، كما تراء ون الكوكب الدرى الغابر فى الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم. قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»[1] [2].

فتلك والله بشرى تثلج صدور المؤمنين... فاللهم إنا نُشهدك أنّا آمنا بك وصدقنا المرسلين فاجعلنا من أهل الغُرف.

## الأعمال التى ترفع المؤمن فى درجات الجنة

إن للمؤمن همة عالية تجعله يتطلع دائمًا إلى الأفضل والأحسن، فبينما تجد أن الكثير من المؤمنين لا يريدون إلا النجاة من النار ودخول الجنان.. إلا أن هناك

---

(١) أخرجه البخارى مع الفتح (٦/ ٣٢٥٦) ومسلم (٤/ ١٠ ـ ١١).
(٢) حادى الأرواح للإمام ابن القيم (ص: ٧٢) بتصرف.

صنف همته عالية، فهو يتطلع دائمًا إلى أعلى درجات الجنة.

وها أنا أسوق لحضـراتكم باقة من الأعمال التى ترفـع المؤمن فى أعلى درجات الجنة.

**١ - الجهاد فى سبيل الله:**

قال ﷺ: «إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فـإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجّر أنهار الجنة»[1].

وعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال: يا أبا سعيد من رضى بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمدٍ نبيًا، وجبت له الجنة، فعجب لها أبو سعيدٍ، فقال: أعدها علىّ يا رسول الله ففعل، ثم قال: وأخرى يرفع بـها العبد مائة درجة فى الجنة ما بين كل درجـتين كـما بين السـماء والأرض قال: ومـا هى يا رسول الـله؟ قال: الجهاد فى سبيل الله الجهاد فى سبيل الله»[2].

وعن أبى نجيح السلمى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من بلغ بسهم فى سبيل الله فهو له درجةٌ فى الجنة فبلغت يومئذ ستة عشر سهمًا»[3].

**٢ - التواضع لله:**

قال ﷺ: «.. ومـا تواضع أحـدٌ لله إلا رفـعـه الله..»[4] وفى رواية: من يتواضعُ لله سبحـانه درجةً يرفعه الله به درجة، ومن يتكبر عـلى الله درجة يضعه الله به درجة حتى يجعله فى أسفل السافلين».

**٣ - حفظ القرآن وقراءته:**

قال ﷺ: «يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد فيقرأ ويصعد لكل آية درجة حتى يقرأ آخر شىء معه»[5].

---

(١) أخرجه البخارى عن أبى هريرة ـ كتاب الجهاد والسير (٢٥٨١) ـ صحيح الجامع (٢١٢٦).

(٢) أخرجه مسلم عن أبى سعيد ـ كتاب الإمارة (٣٤٩٦).

(٣) رواه النسائى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦١٢٦).

(٤) رواه مسلم وأحمد والترمذى عن أبى هريرة.

(٥) رواه أحمد وابن ماجة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨١٢١).

**٤ ـ قراءة سورتي السجدة وتبارك :**

عن كعب قال: من قرأ تنزيلُ السجدة وتبارك الذى بيده الملك كُتب له سبعون حسنة وحُطَّ عنه بها سبعون سيئة، ورُفِعَ له بها سبعون درجة»[1].

**٥ ـ إسباغ الوضوء علي المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة :**

قال ﷺ: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله ﷺ. قال: إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخُطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط»[2].

وعن أبى هريرة، عن النبى ﷺ قال: «صلاة الرجل فى جماعة تزيد على صلاته فى بيته وصلاته فى سوقه خمسًا وعشرين درجة، وذلك أن أحدكم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد لا يريد إلا الصلاة لم يخطُ خطوةً إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان فى صلاة ما كانت الصلاة تحبسه وتصلى الملائكة عليه ما دام فى مجلسه الذى يُصلى فيه. يقولون: اللهم اغفر له. اللهم ارحمه. اللهم تُب عليه ما لم يُؤذ فيه أو يُحدث فيه»[3].

**٦ ـ من وصل الصفوف في الصلاة .... وسد فرجة :**

عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى وملائكته يصلون على الذين يصلون الصفوف،، ومن سدَّ فُرجة رفعه الله بها درجة»[4].

**٧ ـ ذكر الله :**

قال ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق ــ الفضة ــ وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: ذكر

(١) رواه الدارمى موقوفًا على كعب ــ كتاب فضائل القرآن (٣٢٧٥).
(٢) أخرجه مسلم وأحمد عن أبى هريرة ــ صحيح الجامع (٢٦١٨).
(٣) متفق عليه عن أبى هريرة ــ صحيح الجامع (٣٨٢٣).
(٤) رواه أحمد وابن ماجة عن عائشة ــ صحيح الجامع (١٨٤٣).

الله»[١].

**٨ـ الصبر على البلاء:**

قال ﷺ: «ما من مسلمٍ يُشاك شوكة فما فوقها إلا كُتبت له بها درجة ومُحيت عنه بها خطيئة»[٢].

**٩ـ طلب العلم:**

عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الإسلام فبينه وبين النبيين درجةٌ واحدةٌ فى الجنة»[٣].

**١٠ـ كثرة الطواف حول الكعبة:**

قال ﷺ: «من طاف بهذا البيت أُسبوعًا يحصيه كُتب له بكل خطوة حسنة، وكفّر عنه سيئة، ورفعت له درجة، وكان عدل عتق رقبة»[٤].

أُسبوعًا: أى سبعة أشواط.

**١١ـ كثرة السجود لله:**

قال ﷺ: «عليك بكثرة السجود، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحطً بها عنك خطيئة»[٥].

**١٢ـ حسن الخلق:**

قال ﷺ: «إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة القائم الصائم»[٦].

وقال ﷺ: «إن المسلم المسدَّد ليدرك درجة الصوّام القوام بآيات الله بُحسن خُلقه وكرم ضريبته»[٧].

---

(٤) رواه الترمذى وابن ماجة والحاكم عن أبى الدرداء وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٦٢٩).

(٢) أخرجه مسلم عن عائشة رضى الله عنها صحيح الجامع (٥٧٥٨).

(٣) رواه الدارمى عن الحسن (٣٥٧).

(٤) رواه أحمد والترمذى والنسائى عن ابن عمر، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٣٨٠) واللفظ لأحمد.

(٥) أخرجه مسلم وأحمد والترمذى والنسائى عن ثوبان وأبى الدرداء ـ صحيح الجامع (٤٠٥٠).

(٦) رواه أبو داود وابن حبان، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٩٣٢).

(٧) رواه أحمد والطبرانى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٩٤٩).

**١٣ ـ من قال دعاء السوق:**

قال ﷺ: «من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة وبنى له بيتًا فى الجنة»(١).

**١٤ ـ استغفار الولد لأبيه:**

قال ﷺ: «إن الرجل لتُرفع درجته فى الجنة. فيقول: أنَّى لى هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك»(٢).

**١٥ ـ محبة النبى ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم (فالمرء مع من أحب):**

عن أنس بن مالك قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: وما أعددت للساعة؟ قال: حُبَّ الله ورسوله. قال: فإنك مع من أحببت. قال أنسٌ: فما فرحنا بعد الإسلام فرحًا أشد من قول النبى ﷺ: فإنك مع من أحببت قال أنس: فأنا أحبُّ الله ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم»(٣).

ونحن نُشهدك يارب أننا نحبك حبًا يليق بجلالك وكمالك، ونحب رسولك ﷺ، ونحب الصحابة ﷺ ونحب الصالحين فى كل زمان ومكان، ونسألك أن تحشرنا يوم القيامة فى زمرة المتقين. وإن لم نعمل بأعمالهم.

**١٦ ـ طاعة الله ورسوله ﷺ:**

فعن عائشة رضى الله عنها قالت: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، والله إنك لأحب إلىَّ من نفسى، وإنك لأحب إلىَّ من أهلى، وأحب إلىَّ من ولدى، وإنى لأكون فى البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا

---

(١) رواه أحمد والترمذى والحاكم عن ابن عمر، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٣١).
(٢) رواه أحمد وابن ماجة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦١٧).
(٣) أخرجه مسلم عن أنس (٤٧٧٧) ـ كتاب البر والصلة والآداب.

ذكرت موتى وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رُفعت مع النبيين، وإنى إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك. فلم يرد عليه النبى ﷺ حتى نزل جبريل بهذه الآية: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: ٦٩)[١].

- كانت هذه بعض الأسباب التى يبلغ بها المؤمن أعلى درجات الجنة.. فنسأل الله جل وعلا أن يرفع درجتنا فى الجنة وأن يرزقنا صحبة النبى ﷺ وأصحابه، وأن ينعم علينا بنعمة النظر إلى وجهه الكريم.

## أدنى أهل الجنة منزلة

عن المغيرة بن شعبة، عن النبى ﷺ قال: «سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجىء بعد ما أُدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة. فيقول: أى رب. كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم، فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلك مَلك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول له: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال فى الخامسة: رضيت رب، فيقول له: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك، فيقول: رضيت رب. قال: رب فأعلاهم منزلةً؟. قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدى، وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر»[٢].

وفى رواية الإمام أحمد عن أبى سعيد: «... قال: فيدخله الله الجنة. قال: فإذا دخل الجنة قال: هذا لى. قال: فيقول الله عز وجل له: تمنَّ. فيتمنى ويذكّره الله: سل من كذا وكذا حتى إذا انقطعت به الأمانى قال الله عز وجل: هو لك وعشرةُ أمثاله. قال: ثم يدخل الجنة... يدخل عليه زوجتاه من الحور العين،

---

(١) رواه أحمد فى مسنده (٣/ ٨٣) وقال الحافظ أبو عبد الله المقدسى: لا أعلم بإسناد هذا الحديث بأسًا.

(٢) أخرجه مسلم وأحمد عن المغيرة بن شعبة ـ صحيح الجامع (٣٥٩٤).

فيقولان له: الحمد لله الذى أحياك لنا وأحيانا لك، فيقول: ما أُعطى أحدٌ مثل ما أُعطيت. . . .».

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن أدنى أهل الجنة منزلةً إنَّ له لسبع درجات وهو فى السادسة وفوقه السابعة، وإنَّ له لثلاث مائة خادم ويُغدى عليه ويُراح كل يوم ثلاث مائة صحفة ـ ولا أعلمه إلا قال من ذهب ـ فى كل صحفة لونٌ ليس فى الأخرى، وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره، وإنه ليقول: يارب لو أذنت لى لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص مما عندى شىء، وإن له من الحور العين لاثنين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا وإن الواحدة منهن ليأخذ مقعدها قدر ميلٍ من الأرض»[1].

## آخر أهل الجنة دخولاً الجنة

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنى لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة، رجل يخرج من النار حبوًا، فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع، فيقول: يارب وجدتها ملأى، فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة. قال: فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى. فيرجع فيقول: يارب وجدتها ملأى، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا. قال: فيقول: أتسخر بى (أو أتضحك بى) وأنت الملك؟ قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه. قال: فكان يقال: ذاك أدنى أهل الجنة منزلة»[2]. متفق عليه واللفظ لمسلم.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشى مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذى نجانى منك، لقد أعطانى الله شيئًا ما أعطاه أحدًا من الأولين

---

(١) أخرجه أحمد عن أبى هريرة (١٠٥١١).

(٢) البخارى مع الفتح (١١/ ٦٥٧١) ومسلم (٣ ـ ٤٨/ ح ٣٠٨ ـ إيمان).

والآخرين، فتُرفع لـه شجرة، فيقول: أى رب ادننى من هذه الشـجرة، فلأستظل بظلهـا وأشرب من مائهـا، فيقـول الله عز وجل: يـا ابن آدم لعلى إن أعطيتـكها سألتنى غيرها، فيقول: لا يارب ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبـر له عليه، فيدنيـه منها فيستـظل بظلها ويشرب من مائـها. ثم تُرفع له شجرة هى أحسن من الأولى، فيـقول: أى رب ادننى من هذه لأشرب من مائها، وأستظل بظلها لا أسـألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعـاهدنى أنك لا تسألنى غيرها؟ فيقول: لعلى إن أدنيتك منها تسـألنى غيرها؟ فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيـه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم تُرفع له شجرة عند باب الجنة هى أحسن من الأوليين، فيقول: أى رب ادننى من هذه لأستظل بظلهـا وأشرب من مائها لا أسألك غيرهـا، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدنى أن لا تسـألنى غيرها؟ قال: بلى يارب، هذه لا أسـألك غيرها. وربه يعذره لأنـه يرى ما لا صبر لـه عليه، فيدنـيه منها، فـإذا أدناه منها فيـسمع أصوات أهل الجنـة، فيقول: أى رب أدخلـنيها، فيـقول: يا ابن آدم ما يـصرينى منك؟ ــ والمـعنى أى شىء يرضـيك ويقطع الـسؤال بينـى وبينك ــ أيرضـيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يارب أتستهزئ منى وأنت رب العالمين. فضحك ابن مسعـود، فقال: ألا تسألونـى مم أضحك؟ فقالوا: مم تضـحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ، فقالـوا: مم تضحك يا رسول الله؟ قـال: «من ضحك رب العالمين حين قـال: أتستهزئ بى وأنت رب العالمين؟ فيقـول: إنى لا أستهزئ منك ولكنى على ما أشاء قادر» [1].

## يارب أين الكبائر؟!!!

إنه مشهد من أجمل مشاهد الفرحة يوم القيامة.

فإن العبد فى ذلك اليوم يهرب من صغائر ذنوبه، ولكن هذا الرجل يبحث عن كبائر ذنوبه.. فيا تُرى ما هو السبب؟!!

---

(١)أخرجه مسلم عن ابن مسعود (٣ ــ ٥١/ ح ٣١٠ إيمان).

فعن أبى ذر ﷺ قال: قـال رسول الله ﷺ: «إنى لأعلم آخر أهـل الجنة دخولاً وآخر أهل النـار خروجًا منهـا، رجل يؤتَى به يوم القيـامة فيـقال: اعرضـوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنـه كبارها، فتُعرض عليه صغار ذنوبه، فـيقال: عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا، فيقول: نعم لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تُعرض عليه. فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة، فيقول: رب قد عملـت أشياء لا أراها ههنا، . . . . فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه»(١).

## خيمة من لؤلؤة... وبيت الحمد

قال ﷺ: «إن فى الجنة غرفًـا يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنـها من ظاهرها. قال أبو مالك الأشعرى، لمن هى يا رسـول الله؟ قال: أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام»(٢).

وفى الصـحيحـين من حديث أبى مـوسى الأشعـرى عن النبى ﷺ قال: «إن للمؤمن فى الجنة لخيمـة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميـلاً، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا»(٣).

وقد تقدم قوله ﷺ فى الحديث الصحيح: «من بنى لله مسجدًا بنى الله له بيتًا فى الجنة»(٤). وقوله فى حديث أبى موسى: «يقول عـز وجل لمن حمد واسترجع عند موت ولده: ابنوا لعبدى بيتًا فى الجنة وسمّوه بيت الحمد»(٥).

وفى الصحـيحين مـن حديث عبـد الله بن أبى أوفى وأبى هريرة وعـائشة «أن جبريل قال للنبى ﷺ: «يا رسول الله هذه خديجة قد أتتك. معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب. فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها عز وجل ومنى وبشرها

---

(١) أخرجه مسلم عن أبى ذر (٣ ـ ٥٧/ ح ٣١٤ إيمان).
(٢) رواه أحمد وابن حبان والبيهقى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢١٢٣).
(٣) فتح البارى (٦/ ٣٢٤٣) ـ ومسلم (١٧/ ٢٥٦ ـ ح٢٢) واللفظ لمسلم.
(٤) رواه ابن ماجة عن جابر وأصله فى الصحيحين عن عثمان ـ صحيح الجامع (٦١٢٧).
(٥) رواه الترمذى عن أبى موسى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٩٥).

ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب»[1].

والقصب ههنا: قصب اللؤلؤ المجوف.

وعن مغيث بن سمى قال: إن فى الجنة قصوراً من ذهب وقصوراً من فضة، وقصورًا من لؤلؤ، وقصوراً من ياقوت، وقصوراً من زبرجد.

## يا فلان... هل تعرفنى؟!

أخرج أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس عن أنس ابن مالك رضي الله عنه أنه قال: «إنّ رجلاً من أهل الجنة يُشرف يوم القيامة على أهل النار، فيناديه رجل من أهل النار ويقول: يا فلان هل تعرفنى؟ فيقول: لا والله ما أعرفك من أنت؟ فيقول: أنا الذى مررت بى فى الدنيا فاستسقيتنى شربة ماء فسقيتك، قال: قد عرفت، قال: فاشفع لى بها عند ربك! فيسأل الله تعالى ويقول: إنى أشرفت على أهل النار فنادانى رجل من أهلها فقال: هل تعرفنى؟ فقلت: لا. من أنت؟ فقال: أنا الذى استسقيتنى فى الدنيا فسقيتك فاشفع لى عند ربك فشفّعنى فيه، فيشفعه الله فيه، فيؤمر به فيخرج من النار».

ومن أجل ذلك يا إخوانى أقول لكم: تعرفوا على الفقراء واليتامى وأطعموهم وقدموا لهم يد العون والمساعدة، فإن لهم دولة يوم القيامة... فإذا كان أحدهم من أهل الجنة، فإن الله يأمره أن ينظر فى أرض المحشر إلى من أطعمه لقمة أو كساه كسوة أو ناوله شربة ماء أن يأخذ بيديه إلى جنة الرحمن جل وعلا...

فلا تزهدوا فى فعل الخيرات وأنفقوا فى سبيل الله، فلعلك تكون فى هذا اليوم (يوم القيامة) أحوج ما تكون إلى من يأتى إليك ليأخذ بيديك إلى الجنة.

## شفاعة أهل الإيمان... وعتقاء الرحمن

عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خلص المؤمنون من النار يوم القيامة وأمنوا، فما مجادلة أحدكم لصاحبه فى الحق يكون له فى الدنيا بأشد مجادلة له من المؤمنين لربهم فى إخوانهم الذين أُدخلوا النار. قال: يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا، ويصومون معنا، ويحجون معنا، فأدخلتهم النار.

(١) البخارى (٧/ ٣٨٢٠) ومسلم (١٥/ ٢٨٦ ـ ح٧١) واللفظ لمسلم.

قال: فيقول: اذهبوا فأخرجوا من عرفتم، فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم لا تأكل النار صورهم، فمنهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من أخذته إلى كعبيه، فيخرجونهم، فيقولون: ربنا أخرجنا من أمرتنا، ثم يقول: أخرجوا من كان فى قلبه وزن دينار من الإيمان، ثم من كان فى قلبه وزن نصف دينار حتى يقول: من كان فى قلبه مثقال ذرة. قال أبو سعيد: فمن لم يصدّق بهذا، فليقرأ هذه الآية ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تكُ حسنةً يُضاعفها ويؤتِ من لدنهُ أجرًا عظيمًا﴾ قال: فيقولون: ربنا قد أخرجنا من أمرتنا فلم يبق فى النار أحد فيه خير. قال: ثم يقول الله: شفعت الملائكة وشفع الأنبياء وشفع المؤمنون وبقى أرحم الراحمين. قال: فيقبضُ قبضةً من النار، أو قال: قبضتين ناسٌ لم يعملوا لله خيرًا قط قد احترقوا حتى صاروا حُمَماً. قال: فيؤتى بهم إلى ماء يقال له ماء الحياة، فيصبُّ عليهم فينبتون كما تنبتُ الحبةُ فى حميل السيل، فيخرجون من أجسادهم مثل اللؤلؤ فى أعناقهم الخاتم عُتقاءُ الله، قال: فيقال لهم: ادخلوا الجنة فما تمنيتم أو رأيتم من شىء فهو لكم عندى أفضل من هذا. قال: فيقولون: ربنا وما أفضل من ذلك؟ قال: فيقول: رضائى عليكم فلا أسخط عليكم أبدًا»[1].

ولذلك فعليك أخى الكريم أن تتواعد من الآن مع إخوانك الصالحين على أن من رزقه الله الشفاعة يوم القيامة أن يشفع لأخيه... فإذا تواعدت مع مائة أخٍ صالح، فلربما ييسر الله لأحدهم الشفاعة فيشفع لك عند رب العزة جل وعلا... وإنى أسألك بالله يا من قرأت تلك الرسالة إذا رزقك الله الشفاعة يوم القيامة ألا تنسى أخيك من شفاعتك[2].

## يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين

قال رسول الله ﷺ: «إذا اجتمع أهل النار فى النار، ومن شاء الله معهم من أهل القبلة. قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا: بلى. فيقولون: ما أغنى عنكم إسلامكم إذ أنتم معنا فى النار، فيقولون: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها، فيسمع الله عز وجل ما قالوا. فيأمر بإخراج من كان فى النار من أهل القبلة،

---

(١) رواه أحمد عن أبى سعيد (٨/ ١١٢) بسند صحيح.

(٢) أى لا تنس أن تشفع لكاتب تلك الرسالة.

فيخرجون فإذا رأى ذلك الكفار قالوا ياليتنا كنا مسلمين فنخرج كما أُخرجوا»، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ (الحجر: ٢)[١] .

فيا لها من فرحة لأهل الإسلام والتوحيد. . . فيا إخوانى اعرفوا قدر الإسلام، بـل اعرفوا قدر أنفسكم فى ظل الإسلام.

## رحمة الله...وحسن ظن العبد بالله

قال رسول الله ﷺ : «لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الـشقيقة بولدها»[٢] ، وقال جابر بن عـبد الله: من زادت حسناته على سـيئاته يوم القيـامة فذلك الذى يدخل الجنة بغـير حساب، ومن اسـتوت حسناته وسـيئاته، فذلـك الذى يحاسَب حسابًا يسـيرًا ثم يدخل الجنة. وإنما شفـاعة رسول الله ﷺ لمن أوبق نفسه وأثقل ظهره.

ويروى أنّ الله عز وجـل قال لموسى عليه السلام: يا موسى استـغاث بك قارون فلم تغثه، وعزتى وجـلالى لو استغاث بى لأغثته وعفـوت عنه. وقال سعد بن بلال: يؤمر يوم الـقيامة بإخـراج رجلين من النار، فيـقول الله تبارك وتعـالى: ذلك بما قدّمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد، ويأمـر بردهما إلى النار، فيعدو أحدهما فى سلاسله حتى يقتحـمها ويتلكأ الآخر ويأمر بردهما ويسألهما عن فـعلهما، فيقول الذى عدا إلـى النار: قد حُذّرت من وبـال المعصيـة فلم أكن لأتعرّض لسـخطك ثانية، ويقول الذى تلـكأ: حسن ظنى بك كان يشعرنى أن لا تردنى إليـها بعد ما أخرجتنى منها، فيأمر بهما إلى الجنة.

وليس معنى ذلك أن نترك الـعبادة بحجة أننا نُحسن الظن، بل عـلينا أن نجتهد فى عبادة الله راجـين موعود الله﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت: ٦٩)

وامتثـالاً لأمر رسول الله ﷺ ، حيث يقـول: «لا يموتن أحـدٌ منكم إلا وهو يُحسن الظن بالله تعالى»[٣] .

---

(١) أخرجه النسائى فى الكبري (١١٢٧١) من حديث جابر نحوه بإسناد صحيح.

(٢) متفق عليه عن عمر ـ البخارى (٥٩٩٩) مسلم (٢٧٥٤/ ٢٢).

(٣) أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود عن جابر ـ صحيح الجامع (٧٧٩٢).

فأما من ترك طاعة الله بحجة أنه يُحسن الظن بالله. . . فنهدى إليه قول الحسن ﷺ: إن قومًا غرتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم. وقالوا: نُحسن الظن. . وكذبوا والله، فلو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل.

## ذبح الموت..وفرحة أهل الجنة

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يُجعل بين الجنة والنار، ثم يُذبح، ثم ينادى مُنادٍ: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم ويزداد أهل النار حُزنًا إلى حُزنهم»(١).

وفى رواية الترمذى عن أبى سعيد يرفعه. . . قال: «إذا كان يوم القيامة أُتى بالموت كالكبش الأملح، فيُوقف بين الجنة والنار فيُذبح وهم ينظرون فلو أن أحدًا مات فرحًا لمات أهل الجنة، ولو أن أحدًا مات حُزنًا لمات أهل النار»(٢).

وتلك الفرحة إنما كانت لعلمهم أنه بعد ذبح الموت فقد قضى الله لهم بالخلود فى نعيم الجنة فيما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

## نداء أصحاب الجنة

وتأمل معى أخى الحبيب. . وتأملى معى أختى المؤمنة الصابرة هذا النداء الذى جاء على لسان أصحاب الجنة بعد أن ورثوا جنة الرحمن جل وعلا.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٤٢) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا

---

(١) أخرجه البخاري عن ابن عمر (٦٠٦٦) ـ كتاب الرقاق.

(٢) رواه الترمذى عن أبى سعيد (صفة الجنة) وقال: حسن صحيح.

عوَجًا وَهُم بالآخرَة كَافرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَاف رجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بسيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّة أَن سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾

(الأعراف: ٤٢ ـ ٤٦)

## رجل يستأذن ربه فى الزرع

قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ (الزخرف: ٧١).

وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ كان يومًا يحدّث وعنده رجل من أهل البادية: «أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه فى الزرع، فقال: أوَ لست فيما شئت؟ قال: بلى، ولكنى أحب أن أزرع. فأسرع وبذر فتبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاؤه وتكويره أمثال الجبال، فيقول الله تعالى: دونك يا ابن آدم، فإنه لا يشبعك شىء، فقال الأعرابى: يا رسول الله، لا تجد هذا إلا قرشيًا أو أنصاريًا، فإنهم أصحاب زرع، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك رسول الله ﷺ»[1].

وليس الأمر مقصورًا على الزرع. فهذا مجرد مثال ودليل على أن المؤمن فى الجنة يجد كل ما يشتهيه. فاللهم ارزقنا الجنة.

## قوة أهل الجنة

إن المال والجاه لا يعتبر نعيمًا إذا كان هناك ما يحول بينه وبين صاحبه (من مرض أو عجز أو ضعف)، فإنه قد لا يتمتع بشىء من هذا المال لشدة مرضه.. ولذا فإنه من كمال النعيم واللذة فى الجنة أن المؤمن فيها لا يصيبه الضعف أو المرض، بل يكون دومًا وأبدًا فى صحة وعافية، بل إن قوته تزيد على قوة (أشد أهل الدنيا) مائة مرة فى الطعام والشراب والشهوة والجماع... وقوته لا تضعف ولا تفتر أبدًا مع مرور السنين والأيام.

ففى المسند وسنن النسائى بإسناد صحيح على شرط الصحيح، عن زيد بن أرقم قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبى ﷺ قال: يا أبا القاسم، ألست تزعم

---

(١) أخرجه البخارى مع الفتح (١٢/ ٧٥١٩).

أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون؟ وقال لأصحابه: إن أقرّ لى بهذه خصمته. قال: فقال رسول الله ﷺ: بلى والذى نفسى بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل فى المطعم والمشرب والشهوة والجماع. قال: فقال له اليهودى: فإن الذى يأكل ويشرب تكون له الحاجة. قال: فقال رسول الله ﷺ: حاجة أحدهم عرق يفيض من جلودهم مثل ريح المسك، فإذا البطن قد ضمر»(١).

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إنك لتنظر إلى الطير فى الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويًا».

وقال الحاكم: أنبأنا الأصمّ.... عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن فى الجنة طيرًا أمثال البخاتى»، فقال أبو بكر: إنها لناعمة يا رسول الله، قال: «أنعم منها من يأكلها. أنت ممن يأكلها يا أبا بكر».

## ثياب أهل الجنة...ومناديل سعد بن معاذ

عن أبى سعيد عن رسول الله ﷺ أن رجلاً قال له: يا رسول الله طوبى لمن رآك وآمن بك، فقال: «طوبى لمن رآنى وآمن بى، وطوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى»، فقال له رجل: وما طوبى؟ قال: «شجرة فى الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها»(٢).

وعن شريح بن عبيد قال: قال كعب: «لو أن ثوبًا من ثياب أهل الجنة لُبس اليوم فى الدنيا لصعق من ينظر إليه وما حملته أبصارهم».

وفى الصحيحين أيضًا من حديث البراء قال: أُهديت لرسول الله ﷺ حُلة حرير، فجعل أصحابه يلمسونها ويعجبون من لينها، فقال رسول الله ﷺ: «تعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة خير منها وألين»(٣).

ولا يخفى ما فى ذكر سعد بن معاذ بخصوصه ههنا، فإنه كان فى الأنصار بمنزلة الصدّيق فى المهاجرين واهتز لموته العرش، وكان لا يأخذه فى الله لومة

---

(١) أخرجه أحمد والطبرانى فى الكبير، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٢٧).

(٢) رواه أحمد وابن حبان، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٩٢٣).

(٣) البخارى مع الفتح (٦/ ٣٢٤٩) ومسلم (١٦/ ٣٣ _ ح١٢٦) فضائل الصحابة.

لائم، وختم الله له بالشهادة، وآثر رضا الله ورسوله، على رضا قومه وعشيرته وحلفائه، ووافق حكمه الذى حكم به حُكم الله فوق سبع سموات، ونعاه جبريل إلى النبى ﷺ يوم موته، فحق له أن تكون مناديله، التى يمسح بها يديه فى الجنة أحسن من حُلل الملوك.

# مطر أهل الجنة

إن المطر كان فى الدنيا يأتى إما للرحمة وللحياة، وإما للعذاب والموت. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (الأنبياء: ٣٠).

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ (الأعراف: ٥٧).

وقال تعالى عن عقاب الأمم الكافرة بالماء والمطر: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ (الحجر: ٧٤).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ (الفرقان: ٤٠)

وقال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾ (النمل: ٥٨)

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَىٰ إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ (الأحقاف: ٢٤ ـ ٢٥).

أما فى الجنة فإن السحابة تمر فوق رءوس المؤمنين، فيأمرها المؤمن أن تُمطر عليه ما شاء من النعيم واللذة والطعام والشراب.

فعن خالد بن معدان، عن كثير بن مُرة قال: «إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة، فتقول: ماذا تريدون أن أمطركم؟ فلا يتمنون شيئًا إلا أُمطروا» قال: يقول كثير: لئن أشهدنى الله ذلك لأقولن: أمطرينا جوارى مزينات»[1].

(١) حادى الأرواح للإمام ابن القيم (ص: ٢٢٣).

وعن شفى بن ماتع أن رسول الله ﷺ قال: «إن من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنُجب، وأنهم يؤتون فى الجنة بخيل مسرجة ملجمة لا تروث ولا تبول. يركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله فيأتيهم مثل السحابة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، فيقولون: أمطرى علينا فما يزال المطر عليهم حتى ينتهى ذلك فوق أمانيهم، ثم يبعث الله ريحًا غير مؤذية فتنسف كثبانًا من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم، فيأخذون ذلك المسك فى نواصى خيولهم وفى مفارقهم وفى رؤوسهم ولكل رجل منهم جُمَّة على ما اشتهت نفسه، فيتعلق ذلك المسك فى تلك الجمام، وفى الخيل وفيما سوى ذلك من الثياب، ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء الله، فإذا المرأة تنادى بعض أولئك: عبد الله أما لك فينا من حاجة؟ فيقول: ما أنت ومن أنت؟ فتقول: أنا زوجتك وحبك. فيقول: ما كنت علمت بمكانك، فتقول المرأة: أو ما تعلم أن الله تعالى قال: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ (السجدة: ١٧)، فيقول: بلى وربى فلعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفًا، ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم»[١].

## مصافحة الملائكة

تقول الملائكة: أما وعزة ربنا وجلاله ما ضحكنا منذ خُلقنا إلا معكم، ولا هزلنا إلا معكم، فهنيئًا لكم هنيئًا بكرامة ربكم، فلما ودّعوهم وانصرفوا عنهم دخلوا قصورهم فليس أحد منهم إلا وقد وجد الله عز وجل قد جمع له فى قصره أمنيته التى تمنّى، وإذا على كل قصر منها باب يُفضى إلى وادٍ أفيح من أودية الجنة محفوفة تلك الأودية بجبال من الكافور الأبيض، وكذلك جبال الجنة، وهى معادن الجوهر والياقوت والفضة فارعة أفواهها فى بطون تلك الأودية، فى بطن كل واحد منها أربع جنان: جنتان ذواتا أفنان، فيهما عينان تجريان، فيهما من كل فاكهة زوجان، وجنتان مدهامتان، فيهما عينان نضاختان، وفيهما فاكهة ونخل ورمان، وحور مقصورات فى الخيام، لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان، كأنهن

---

(١) إسناده لا بأس به، فإسماعيل بن عياش روايته عن الشاميين مقبولة، وثعلبة بن مسلم شامى إلا أن الحديث مرسل، فإن شفى ابن ماتع ليس صحابيًا.

الياقوت والمرجان، فلما تبوءوا المنازل واستقر قرارهم زارهم ربهم تبارك وتعالى فى ملائكته فيقول لهم: هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟ قالوا: نعم، قال: كيف وجدتم ثواب ربكم؟ قالوا: ربنا رضينا فارض عنا. فيقول لهم الجليل جل جلاله: برضائى عنكم نظرتم إلى وجهى، وسمعتم كلامى، وحللتم دارى، وصافحتكم ملائكتى، فهنيئًا هنيئًا عطائى لكم، ليس فيه نكد ولا تكدير، فقالوا: الحمد لله الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب[1].

## الحور العين تطلبك من الله... فأسرع فى طلبها

قال ﷺ: «لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا»[2].

- والمؤمن إذا دخل الجنة يكرمه الله عز وجل بزوجتين من الحور العين... وهذا هو الذى أخبر عنه الحق جل وعلا بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧)﴾ (الكهف: ١٠٧) فالنُزُل هو ما أُعد للضيف.

وهذا الأمر لا يتعارض مع كون عدد الأزواج قد يصل إلى سبعين أو أكثر، فإن الله يكرم المؤمن بالزوجتين عند دخول الجنة ثم يكرمه بعد ذلك بزوجات على قدر منزلته فى الجنة... والله أعلم.

وذكر ابن أبى الدنيا عن أبى سليمان الدارانى قال: كان شاب بالعراق يتعبد فخرج مع رفيق له إلى مكة فكان إن نزلوا فهو يصلى وإن أكلوا فهو صائم، فصبر عليه رفيقه ذاهبًا وجائيًا، فلما أراد أن يفارقه قال له: يا أخى أخبرنى ما الذى هيّجك إلى ما رأيت؟ قال: رأيت فى النوم قصرًا من قصور الجنة، وإذا لبنة من فضة ولبنة من ذهب، فلما تم البناء إذا شرافة من زبرجدة وشرافة من ياقوت، وبينهما حوراء من حور العين مرخية شعرها، عليها ثوب من فضة ينثنى معها كلما تثنت، فقالت: جِدّ إلى الله فى طلبى، فقد والله جددت إليه فى طلبك، فهذا الذى تراه فى طلبها.

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين لابن الجوزى (ص ١٣٣ ـ ١٣٤) ط. مكتبة الإيمان.

(٢) رواه أحمد والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧١٩٢).

قال أبـو سليمـان: هذا فى طلـب حوراء، فكيف بمـن قد طلب مـا هو أكـثر منها؟!(١).

## استقبال الحور العين لأزواجهن

عن يحيى بن أبى كثير قال: «إن الحور العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة، فيقـلن: طال ما انتظرناكم فنحـن الراضيات فلا نسـخط، والمقيمـات فلا نظعن، والخالدات فـلا نموت... بأحسن أصوات سُـمعت وتقول: أنت حـبى وأنا حبك وليس دونك تقصير ولا وراءك معدل.

روى أبو نعيم عن عبد الله بن مـسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يسطع نور فى الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا هو من ثغر حوراء، ضحكت فى وجه زوجها».

وعن ابن عبـاس قال: «كنا جلوسًا مع كـعب يومًا فقـال: لو أن يدًا من الحور دليت من السـماء، لأضاء ت لها الأرض كـما تضىء الشمس لأهل الـدنيا، ثم قال: إنما قلت: يدها، فكيف بالوجه وبياضه وحسنه وجماله!!».

وقال عطاء السلمى لمالك بن دينار: «يا أبا يـحيى شوّقنا، قال: يا عطاء إن فى الجنة حوراء يتبـاهى أهل الجنة بحسنها لولا أن الله تعـالى كتب على أهل الجنة أن لا يموتوا لماتوا من حسنها، فلم يزل عطاء كمدًا من قول مالك».

وقال ابن أبى الحـوارى: سمعت أبا سـليمان يقـول: «ينشأ خلق الحـور العين إنشاء، فإذا تكامل خلقهن ضرب عليهن الملائكة الخيام».

وعن سعيد بن جـبير، قال: سمعت ابن عبـاس يقول: «لو أن حوراء أخرجت كفها بـين السماء والأرض لافتتن الخلائق بحـسنها، ولو أخرجت نصيـفها لكانت الشمس عند حـسنها مثل الفتيلـة فى الشمس لا ضوء لها، ولو أخرجـت وجهها لأضاء حسنها ما بين السماء والأرض».

وقال الأوزاعى عن يحيـى بن أبى كثير: «إذا سبّحت المرأة مـن الحور العين لم يبق شجرة فى الجنة إلا ردّت».

* * *

---

(١) حادى الأرواح (ص: ٣٦٦).

## سوق الحور العين

ففى الحديث الذى رواه الإمام أحمد عن علىّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن فى الجنة سوقًا ما فيها بيعٌ ولا شراءٌ إلا الصورُ من النساء والرجال، فإذا اشتهى الرجل صورةً دخل فيها، وإن فيها لمجمعًا للحور العين يرفعن أصواتًا لم ير الخلائق مثلها يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الراضيات فلا نسخط، ونحن الناعمات فلا نبأس، فطوبى لمن كان لنا وكنا له».

## دلال الحور العين

رُوى عن الحسن ﷺ أنه قال: «بينما ولى الله فى الجنة مع زوجته من الحور العين على سرير من ياقوت أحمر وعليه قبة من نور، إذ قال لها: قد اشتقت إلى مشيتك، قال: فتنزل من سرير ياقوت أحمر إلى روضة مرجان أخضر، وينشئ الله عز وجل لها فى تلك الروضة طريقين من نور، أحدهما نبت الزعفران، والآخر نبت الكافور، فتمشى فى نبت الزعفران، وترجع فى نبت الكافور، وتمشى بسبعين ألف لون من الغنج»[١].

## يا ولى الله! أما لنا فيك من دولة؟

قال ابن عباس ﷺ: وذلك أن ولى الله فى الجنة على سرير والسرير ارتفاعه خمسمائة عام، وهو قول الله عز وجل ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾(الواقعة: ٣٤) قال: والسرير من ياقوت أحمر وله جناحان من زمرد أخضر، وعلى السرير سبعون فراشًا حشوها النور، وظواهرها السندس، وبطائنها من استبرق، ولو دلّى أعلاها فراشًا ما وصل إلى آخرها مقدار أربعين عامًا.

وعلى السرير أريكة وهى الحَجلة وهى من لؤلؤة عليها سبعون سترًا من نور، وذلك قوله عز وجل: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾(يس: ٥٦) يعنى ظلال الأشجار، ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ يعنى الأسرّة فى الحجال، فبينما هو معانقها لا تمل منه ولا يمل منها والمعانقة أربعين عامًا، فإذا رفع رأسه فإذا هو بأخرى متطلعة تناديه: يا ولى الله أما لنا فيك من دولة؟ فيقول: حبيبتى من أنت؟

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين لابن الجوزى (ص: ١٣٧).

فتقول: أنا من اللواتى قال الله فيهن: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (ق: ٣٥) قال: فيطير سريره، أو قال كرسى من ذهب له جناحان، فإذا رآها فهى تضعف على الأولى بمائة ألف جزء من النور فيعانقها مقدار أربعين عامًا لا تمل منه ولا يمل منها، فإذا رفع رأسه رأى نورًا ساطعًا فى داره، فيعجب فيقول: سبحان الله أمَلَك كريم زارنا؟ أم ربنا أشرف علينا؟ فيقول الملك وهو على الكرسى من نور بينه وبين الملك سبعون عامًا، والملك فى حجبته فى الملائكة: لم يزرك ملك ولم يشرف عليك ربك عز وجل، فيقول: ما هذا النور؟.

فيقول الملك: إنها زوجتك الدنيوية وهى معك فى الجنة، وإنها اطلعت عليك ورأتك معانقًا لهذه فتبسمت فهذا النور الساطع الذى تراه فى دارك هو نور ثناياها، فيرفع رأسه إليها فتقول: يا ولى الله أما لنا فيك من دولة؟ فيقول: حبيبتى من أنت؟ فتقول له: يا ولى الله أما أنا فمن اللواتى قال الله عز وجل فيهن: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ (السجدة: ١٧) قال: فيطير سريره إليها، فإذا لقيها فهى تضعف عن هذه الأخرى بمائة ألف جزء من النور؛ لأن هذه صامت وصلت وعبدت الله عز وجل، فهى إذا دخلت الجنة أفضل من نساء الجنة؛ لأن أولئك أُنبتن نباتًا، فيعانق هذه مقدار أربعين عامًا لا تمل منه ولا يمل منها، ثم إنها تقوم بين يديه وخلاخلها من ياقوت، فإذا وطئت يسمع من خلاخلها صوت صفير كل طير فى الجنة، فإذا مس كفها كان ألين من المخ، ويشم من كفها رائحة طيب الجنة، وعليها سبعون حُلة من نور لو نشر الرداء منها لأضاء ما بين المشرق والمغرب، خُلقت من نور، والحلل عليها أسورة من ذهب، وأسورة من فضة، وأسورة من لؤلؤ، وتلك الحلل أرقّ من نسج العنكبوت، وهو أخف عليها من النقش، وأنه يرى مخ ساقها من صفائها ورقتها من وراء العظم واللحم والجلد والحلل، مكتوب على ذراعها اليمين بالنور ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ (الزمر: ٧٤)، وعلى الذراع الآخر مكتوب بالنور ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ (فاطر: ٣٤)[١].

* * *

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين لابن الجوزى (ص: ١٤٠ ـ ١٤١) ط. مكتبة الإيمان.

## طوبى لك يا لعبة !!!

ذكر الأوزاعى عن حسان بن عطية عن ابن مسعود قال: «إن فى الجنة حوراء يقال لها اللعبة، كل حور الجنات يعجبن بها يضربن بأيديهن على كتفها ويقلن: طوبى لك يا لعبة، لو يعلم الطالبون لك لجدّوا فى طلبك... بين عينيها مكتوب: مَن كان يبتغى أن يكون له مثلى فليعمل برضاء ربى».

## الأخت المسلمة أجمل من الحور العين

وعلى الرغم من كل ما ذُكر عن جمال الحور العين، إلا أن الأخت المؤمنة الصابرة على طاعة الله جل وعلا، وعلى طاعة زوجها المؤمن... يكون جمالها فى الجنة أفضل من جمال الحور العين سبعين ضعفًا؛ لأنها هى التى صلت وصامت وتحملت أعباء الدعوة وتكاليف الإيمان.

فإن كنت أيتها الأخت المؤمنة تريدين أن تكونى جميلة مثل فلانة (من الفنانات أو غيرهن) فاعلمى أنك ستكونين فى الجنة أجمل من أجمل حوراء فى جنة الرحمن جل وعلا، بشرط أن تصبرى حتى تلقى الله على الطاعة والإيمان... وأنت الآن والله ـ بحجابك وإيمانك وحيائك ـ أجمل من أجمل امرأة، فاصبرى يا أختاه حتى تلقى رسول الله ﷺ على الحوض وحتى تنظرى إلى وجه الله جل وعلا.

## يا من تشتهى الولد

قال ﷺ: «المؤمن إذا اشتهى الولد فى الجنة كان حملُه ووضعه وسنه فى ساعة واحدة كما يشتهى» [1].

فيا من حُرمت فى الدنيا من نعمة الولد... اصبر على قضاء الله، فإنما هى ساعات يوشك أن تنقضى ثم يعوضك الله جل وعلا بالنعيم فى الجنة حتى أنك تنسى كل الهموم والغموم والآلام التى تعذبت بها فى الدنيا مع أول غمسة فى الجنة.

* * *

(١) رواه أحمد والترمذى وابن ماجة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٦٤٩).

# ذكريات أهل الجنة !!!

وما أجمل أن يجلس المؤمنون فى الجنة يتذاكرون بينهم كل ما حدث لهم فى تلك الدار الفانية، فيحمدون ربهم على هذا النعيم فى الجنة.

قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ (الصافات: ٥٠ ــ ٥٧).

فأخبر سبحانه وتعالى أن أهل الجنة، أقبل بعضهم على بعض يتحدثون ويسأل بعضهم بعضًا، عن أحوال كانت فى الدنيا، فأفضت بهم المحادثة والمذاكرة إلى أن قال قائل منهم: إنى كان لى قرين فى الدنيا ينكر البعث والدار الآخرة، ويقول ما حكاه الله عنه. يقول: أئنك لمن المصدقين، بأنا نُبعث ونجازى بأعمالنا ونحاسب بها بعد أن مزقنا البلى، وكنا ترابًا وعظامًا، ثم يقول المؤمن لإخوانه فى الجنة: هل أنتم مطلعون فى النار لننظر منزلة قرينى هذا وما صار إليه.

قال كعب: «بين الجنة والنار كوى فتحة فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو كان له فى الدنيا اطّلع من بعض تلك الكوى».

وقال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ (الطور: ٢٥ ــ ٢٨).

وذكر ابن أبى الدنيا من حديث الربيع بن صبيح عن الحسن، عن أنس يرفعه: «إذا دخل أهل الجنة الجنة فيشتاق الإخوان بعضهم إلى بعض فيطير سرير هذا إلى سرير هذا، وسرير هذا إلى سرير هذا، حتى يجتمعا جميعًا فيتكئ هذا ويتكئ هذا، فيقول أحدهما لصاحبه: تعلم متى غفر الله لنا؟ فيقول صاحبه: نعم يوم كذا وكذا، فى موضع كذا وكذا، فدعونا الله فغفر لنا»[1].

* * *

(١) حادى الأرواح للإمام ابن القيم (ص: ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٣٦٩).

# أهل الجنة هم الملوك

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠)﴾ (الإنسان: ٢٠). عن مجاهد «ملكًا كبيرًا» قال: عظيمًا.

وعن ابن عباس أنه ذكر مراتب أهل الجنة ثم تلا: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠)﴾.

وقال ابن أبى الحوارى: سمعت أبا سليمان يقول فى قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠)﴾. قال الملك الكبير، أن رسول الله (من الملائكة) يأتيه بالتحفة واللطف، فلا يصل إليه حتى يستأذن له عليه، فيقول للحاجب: استأذن على ولى الله، فإنى لست أصل إليه، فيُعلم ذلك الحاجب حاجبًا آخر وحاجبًا بعد حاجب، ومن داره إلى دار السلام باب يدخل منه على ربه إذا شاء بلا إذن، فالمُلك الكبير أن رسول رب العزة لا يدخل عليه إلا بإذن، وهو يدخل على ربه بلا إذن.

وعن أبى هريرة قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دنى، من يغدو عليه كل يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم، ليس منهم خادم إلا ومعه طُرفة ليست مع صاحبه».

وعن أبى هلال حدثنا حميد بن هلال: قال: «ما من رجل من أهل الجنة إلا وله ألف خازن ليس منهم خازن إلا على عمل ليس عليه صاحبه».

وعن أبى عبد الرحمن الحبلى قال: «إن العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ».

وعن أبى عبد الرحمن المغافرى قال: «إنه ليُصفّ للرجل من أهل الجنة سماطان لا يرى طرفاهما من غلمانه، حتى إذا مر مشوا وراءه»[1].

وعن أبى سعيد قال: «خلق الله الجنة لبنة من فضة، ولبنة من ذهب، وغرسها بيده، وقال لها: تكلمى، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فدخلتها الملائكة، فقالت: طوبى لك منزل الملوك».

---

(١) حادى الأرواح (ص: ٢٥٧ ــ ٢٥٨).

## يا من أردت الحسن والجمال..

# ها هي ريح الشمال!!!

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة لسوقًا يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حُسنًا وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنًا وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالاً، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالاً»(١).

عن أنس بن مالك قال: إن في الجنة سوقًا من كثبان المسك يخرجون إليها ويجتمعون إليها، فيبعث الله ريحًا فتدخلها بيوتهم، فيقول لهم أهلوهم إذا رجعوا إليهم: قد ازددتم أيضًا بعدنا حسنًا»(٢).

# هيا إلى يوم المزيد

عن عبد الله بن عبد بن عمير أنه سمع أنس بن مالك يقول: «أتى جبريل بمرآة بيضاء فيها وكت إلى النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: ما هذا؟ قال: الجمعة فُضلت بها أنت وأمتك، فالناس لكم فيها تبع... اليهود والنصارى، ولكم فيها خير الساعة، وفيه ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير إلا استجيب له، وهو عندنا يوم المزيد، قال النبي ﷺ: يا جبريل وما يوم المزيد؟ قال: إن ربك اتخذ من الفردوس واديًا أفيح فيه كُثب المسك، فإذا كان يوم القيامة أنزل الله تبارك وتعالى ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور، عليها مقاعد النبيين، وحفٌ تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد، عليها الشهداء والصديقون، فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب، فيقول الله تعالى: أنا ربكم قد صدقتم وعدي فسلوني أعطكم، فيقولون: ربنا نسألك رضوانك، فيقول: قد رضيت عنكم ولكم ما تمنيتم، ولدي مزيد، فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير، وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش وفيه خلق آدم عليه السلام وفيه تقوم

---

(١) أخرجه مسلم (١٧ ـ ٢٤٩/ ح١٣ الجنة).

(٢) حادي الأرواح (ص: ٢٥٠).

الساعة[١].

وذكر أبو نعيم أيضًا من حديث أبي إسحاق عن الحارث عن عليّ قال: «إذا سكن أهل الجنة الجنة، أتاهم ملك فيقول لهم: إن الله تبارك وتعالى يأمركم أن تزوروه، فيجتمعون، فيأمر الله تبارك وتعالى داود عليه السلام، فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل، ثم يوضع مائدة الخلد. قالوا: يا رسول الله وما مائدة الخلد؟ قال: زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب. فيطعمون ثم يسقون ثم يكسون فيقولون: لم يبق إلا النظر في وجه ربنا عز وجل، فيتجلى لهم فيخرون سُجدًا، فيقال لهم: لستم في دار عمل إنما أنتم في دار جزاء».

# وفد الرحمن

وها هو وفد الرحمن قد ناداهم الرب جل جلاله من وراء الحُجب: مرحبًا بعبادي وزواري وجيراني ووفدي، يا ملائكتي انهضوا إلى عبادي فأطعموهم، قال: فتقرب الملائكة إليهم لحم طير كأنها البُخت لا ريش معها ولا عظم، فأكلوا ثم ناداهم الرب جل جلاله من وراء الحُجب: مرحبًا بعبادي وزواري وجيراني ووفدي، أكلوا: اسقوهم يا ملائكتي، قال: فنهض إليهم غلمان كأنهم اللؤلؤ المنثور بأباريق الذهب بأشربة مختلفة تجد لذة آخرها كلذة أولها ﴿لا يُصَدَّعُونَ عَنهَا وَلاَ يُنْزِفُونَ﴾ (الواقعة: ١٩) قال: ثم ناداهم الرب تبارك وتعالى من وراء الحُجب: مرحبًا بعبادي وزواري وجيراني ووفدي، أكلوا وشربوا: فكّهوهم فقُربت إليهم أطباق مكللة بالياقوت من الرُطب الجنى الذي أسماه الله، أشد بياضًا من اللبن، وأطيب من عذوبة الشهد، فطعموا وشربوا وفكهوا، ثم ناداهم الرب جل جلاله من وراء الحُجب: مرحبًا بعبادي وزواري وجيراني ووفدي أكلوا وشربوا وفكهوا: اكسوهم.

فإذا بهم قد فُتحت لهم أشجار الجنة بُحلل مصقولة بنور الرحمن فأُلبسوا، ثم ناداهم الرب من وراء الحُجب: مرحبًا بعبادي وزواري ووفدي أكلوا ، شربوا

---

(١) إسناده ضعيف جدًا لضعف موسى بن عبيدة، وفيه إبراهيم بن محمد.... متروك. ولكن للحديث طرق أخرى، كما قال المنذري في «الترغيب والترهيب» وجوّد أحدها للطبراني في الأوسط. وصححها الألباني في صحيح الترغيب (جـ ١/ ٦٩٤).

وفكهوا وكُسوا، طيبوهم، قال: فهاجت عليهم ريح من تحت العرش يُقال لها (المثيرة) بأنابيب المسك الأبيض الأذفر، فنضحت على وجوههم من غير غبار ولا قتار، ثم يناديهم الرب تبارك وتعالى من وراء الحُجب: مرحبًا بعبادى وزوارى وجيرانى ووفدى أكلوا وشربوا وفكهوا وكُسوا وطيبوا، وعزتى وجلالى لأتجلين لهم حتى ينظروا إلىّ... فذلك منتهى العطايا وفضل المزيد، فيتجلى الرب تبارك وتعالى، فيقول: السلام عليكم عبادى انظروا إلىّ فقد رضيت عنكم، قال: فتداعت قصور الجنة وأشجارها واهتزت تقول: سبحانك - أربع مرات - وخر القوم سجدًا، فناداهم الرب عز وجل: عبادى ارفعوا رؤوسكم فإنها ليست بدار عمل، ولا بدار نَصَب، وإنما هى دار جزاء، ودار ثواب، وعزتى وجلالى ما خلقتها إلا لأجلكم وما من ساعة ذكرتمونى فيها فى دار الدنيا إلا ذكرتكم فوق عرشى[1].

## رضوان لا سخط بعده أبداً

عن أبى سعيد الخدرى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة. فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربنا، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك! فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون: وأى شىء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»[2].

## لقاء فى الجنة تكتمل به السعادة

قال ﷺ: «إن الرجل لتُرفع درجته فى الجنة فيقول: أنىّ لى هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك»[3].

وعن ابن عباس يرفعه: «إن الله يرفع ذرية المؤمن إلى درجته وإن كانوا دونه فى العمل لتقر بهم عينه» فهذا يدل على أنهم دخلوا بأعمالهم ولكن لم يكن لهم أعمال يبلغوا بها درجة آبائهم فبلّغهم إياها وإن تقاصرت أعمالهم عنها. قالوا:

---

(١) بستان الواعظين لابن الجوزى (١٣٥ - ١٤٠ - ١٤٥) بتصرف.

(٢) متفق عليه عن أبى سعيد الخدرى ـ صحيح الجامع (١٩١١).

(٣) رواه أحمد وابن ماجة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦١٧).

وأيضًا فالإيمان هو القول والعمل والنية، وهذا إنما يمكن من الكبار وعلى هذا يكون المعنى: أنه سبحانه يجمع ذرية المؤمن إليه إذا أتوا من الإيمان بمثل إيمانه إذ هذا حقيقة التبعية، وهذا كما أن زوجات النبى ﷺ معه فى الدرجة تبعًا وإن لم يبلغوا تلك الدرجة بأعمالهن[1].

## يا من تشتهى الغناء فى الجنة

يا من صُنت أذنيك عن سماع الغناء فى الدنيا.. لقد حان وقت السماع فى الجنة التى فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت (إنها اللذة التى لم يسمعها أحدٌ قبلك أيها المؤمن وأيتها المؤمنة).

فعن أبى هريرة قال: «إن فى الجنة نهرًا بطول الجنة حافتاه العذارى قيام متقابلات يغنين بأصوات حتى يسمعها الخلائق ما يرون فى الجنة لذة مثلها. فقلنا: يا أبا هريرة وما ذاك الغناء؟ قال: إن شاء الله التسبيح والتحميد والتقديس، وثناء على الرب عز وجل».

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحدٌ قط. إن مما يغنين به: نحن الخيّرات الحسان أزواج قومٍ كرام ينظرن بقُرة أعيان. وإن مما يغنين به: نحن الخالدات فلا يمتنه، نحن الآمنات فلا يخفنه، نحن المقيمات فلا يظعنّه»[2].

وقال ابن وهب: حدثنى سعيد بن أبى أيوب قال: وقال رجل من قريش لابن شهاب: «هل فى الجنة سماع، فإنه حُبب إلىَّ السماع؟ فقال: إى والذى نفس ابن شهاب بيده. إن فى الجنة لشجرًا حمله اللؤلؤ والزبرجد وتحته جوار ناهدات يتغنين بألوان يقلن: نحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الخالدات فلا نموت، فإذا سمع ذلك الشجر صفق بعضه بعضًا، فأجبن الجوارى، فلا ندرى أصوات الجوارى أحسن أم أصوات الشجر»[3].

---

(١) حادى الأرواح (ص: ٣٦٣).

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٥٦١).

(٣) حادى الأرواح للإمام ابن القيم (ص: ٢٣٩).

## غناء داود ... وكلام الرحمن (جل وعلا)

عن محمد بن المنكدر قال: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الذين كانوا ينزهون أسماعهم وأنفسهم عن مجالس اللهو ومزامير الشيطان: أسكنوهم رياض المسك، ثم يقول للملائكة: أسمعوهم تمجيدى وتحميدى».

وعن مالك بن دينار فى قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ (ص: ٢٥) قال: «يقيم الله سبحانه داود عند ساق العرش فيقول: يا داود مجّدنى اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم، فيقول: إلهى كيف أمجدك وقد سلبتنيه فى دار الدنيا؟ قال: يقول الله عز وجل: فإنى أرده عليك، قال: فيرده عليه فيزداد صوته. قال: فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنة».

وعن عبيدة بن أبى لبابة قال: «إن فى الجنة شجرة ثمرها زبرجد وياقوت ولؤلؤ، فيبعث الله ريحًا فتصفق فتسمع لها أصوات لم يسمع ألذ منها».

وعن ابن عباس قال: «فى الجنة شجرة على ساق قدر ما يسير الراكب فى ظلها مائة عام فيتحدثون فى ظلها فيشتهى بعضهم، فيذكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحًا من الجنة، فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان فى الدنيا».

ولهم سماع أعلى من هذا يضمحل دونه كل سماع، وذلك حين يسمعون كلام الرب جل جلاله وخطابه وسلامه عليهم ومحاضرته لهم، ويقرأ عليهم كلامه، فإذا سمعوه منه، فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك.

وعن عبد الله بن بريدة قال: «إن أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار جل جلاله، فيقرأ عليهم القرآن، وقد جلس كل امرئ منهم مجلسه الذى هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والزبرجد والذهب والزمرّد، فلم تقر أعينهم بشىء ولم يسمعوا شيئًا قط أعظم ولا أحسن منه، ثم ينصرفون إلى رحالهم ناعمين قريرة أعينهم، إلى مثلها من الغد»[1] .

## للذين أحسنوا الحسنى وزيادة

عن صهيب قال: قرأ رسول الله ﷺ : «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» قال: إذا

(١) حادى الأرواح للإمام ابن القيم (ص: ٢٤٠ ــ ٢٤١).

دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يثقّل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجينا من النار؟! فيكشف الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئًا أحب إليهم من النظر إليه وهى الزيادة»[(١)].

وفى الحديث الذى رواه أنس عن النبى ﷺ أنه قال فى آخر الحديث: «ثم يتجلى لهم عز وجل فيقول: أنا الذى صدقتكم وعدى وأتممت عليكم نعمتى وهذا محل كرامتى، فسلونى، فيسألونه حتى تنتهى رغبتهم فيفتح لهم فى ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وذلك بمقدار منصرفكم من الجمعة، ثم يرتفع على كرسيه عز وجل ويرتفع معه النبيون والصديقون، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم وهى لؤلؤة بيضاء وزبرجدة خضراء وياقوتة حمراء، غرفها وأبوابها وأنهارها مُطّردة فيها وأزواجها وخدامها وثمارها متدليات فيها، فليسوا إلى شىء بأحوج منها إلى يوم الجمعة ليزدادوا نظرًا إلى ربهم ويزدادوا منه كرامة»[(٢)].

هذا حديث كبير عظيم الشأن رواه أئمة السنة وتلقوه بالقبول وجمّل به الشافعى مسنده.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله:

أما بعد، فإنى أوصيك بتقوى الله ولزوم طاعته والتمسك بأمره، والمعاهدة على ما حمّلك الله من دينه، واستحفظك من كتابه، فإنه بتقوى الله نجا أولياء الله من سخطه، وبها رافقوا أنبياءه. وبها نضرت وجوههم ونظروا إلى خالقهم، وهى عصمة فى الدنيا من الفتن ومن كرب يوم القيامة.

قال الحسن: لو علم العابدون فى الدنيا أنهم لا يرون ربهم فى الآخرة لذابت أنفسهم فى الدنيا.

وقال الأعمش وسعيد بن جبير: إن أشرف أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى الله تبارك وتعالى غدوة وعشية[(٣)].

---

(١) رواه أحمد وابن ماجة وابن خزيمة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢١).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) حادى الأرواح (ص: ٣٠٨).

## إخوانى.. هل تستحق الدنيا أن نضحى بتلك الفرحة؟!!

وأخيرًا بعد أن عشنا سويًا رحلة الفرحة ومشاهدها التى تُثلج الصدور بقى لنا أن نسأل أنفسنا سؤالاً واحدًا:

هل تستحق الدنيا أن تجعل المؤمن ينشغل بها عن طاعة الله جل وعلا، وأن يُحرم من تلك الفرحة الغامرة؟!!

كلا والله... لأن الدنيا بأسرها لا تساوى عند الله جناح بعوضة. ولذا قال الحبيب ﷺ: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالمًا أو متعلمًا»[1].

بل يكفى والله أن تعلم أن حب الدنيا يبعدك عن محبة الله جل وعلا، وأن الزهد فيها يجعلك تظفر بمحبته.

فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس. فقال: «ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»[2].

بل تأمل معى لحال (أنعم أهل الدنيا) الذى انشغل بدنياه عن دينه وعن طاعة ربه عز وجل.

قال ﷺ: «يُوتَى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيُصبغ فى جهنم صبغة، ثم يقال له: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط؟ هل مرّ بك نعيمٌ قط؟ فيقول: لا والله يارب. ويؤتى بأشد الناس بُؤسًا فى الدنيا من أهل الجنة، فيُصبغ فى الجنة صبغة فيقال له يا ابن آدم! هل رأيت بُؤسًا قط؟ هل مرّ بك شدة قط؟ فيقول لا والله يارب! ما مرّ بى بؤس قط ولا رأيت شدة قط»[3].

فيا له من مشهد تنخلع منه القلوب... فمتاع الدنيا بأسرها يُنسى مع أول غمسة فى نار جهنم.

---

(١) رواه ابن ماجة والطبرانى فى الأوسط، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٤١٤).
(٢) رواه الطبرانى وابن ماجة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٩٢٢).
(٣) أخرجه مسلم وأحمد عن أنس ـ صحيح الجامع (٨٠٠٠).

بل إن الله جل وعلا حينما يسأل الكفار والمنافقين، ويقول لهم: «كم لبثتم فى الأرض عدد سنين» فإنهم يشهدون أن الدنيا بأسرها وبكل ما فيها من نعيم ولذة فانية لا تساوى يومًا «قالوا لبثنا يومًا أو بعض يوم فسئل العادين» فيبكتهم الله عز وجل بقوله: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤)﴾ (المؤمنون: ١١٢ ـ ١١٤). فهل تستحق ساعات لذة مؤقتة أن يفرط المسلم فى دينه وينسى ربه وخالقه ويترك الجنة ونعيمها؟!

إذن فلنبدأ صفحة جديدة كلها فرحة بطاعة الله جل وعلا، عسى الله أن يجمعنا على أجمل فرحة إخوانًا على سُرُرٍ متقابلين وتنادينا الملائكة وتقول: ﴿هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٣)

## كيف نتوب

ولعل سائلاً يسأل ريقول: كيف أتوب؟!

أقول لك يا أخى الحبيب تأمل معى ما قاله الإمام ابن حجر .

يقول الإمام ابن حجر - رحمه الله - :

إن أول خطوة تخطوها فى طريق التوبة هى أن تقلع فورًا وبدون تردد عن الذنب أو الذنوب التى تعملها - ولا يعنى عدم استطاعتك الإقلاع عن جميع ذنوبك أن لا تترك بعضها، ولكن تركها جميعًا أفضل - ثم تستحضر فى قلبك النية والعزم على أنك لن تعود. . . . وتندم على ما فعلته من هذه الذنوب وتعزم على عدم العودة لفعلها مرة أخرى. ثم تقوم بالتخلص من جميع الأشياء والأدوات التى كنت تستخدمها فى ارتكاب المعاصى والذنوب.

ومن المفيد جدًا أن تتوضأ وتحسن الوضوء ثم تصلى ركعتين.

لقوله ﷺ: «ما من رجل يذنب ذنبًا، ثم يقوم فيتطهر، ثم يصلى ركعتين، ثم يستغفر الله، إلا غفر الله له» ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا

وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران : ١٣٥][١] ».

واهتم بإسباغ الوضوء كما أمر الله قبل أن تصلى ركعتين لقوله ﷺ : «من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره»[٢] .

وتحاول أن تكثر من الاستغفار وذكر الله فى جميع أحوالك وتجتهد فى الإكثار من الأعمال الصالحة قدر ما تستطيع لقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود : ١١٤]

وقوله ﷺ : «وأتبع السيئة الحسنة تمحها»[٣] .

قال تبارك وتعالى: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان : ٧٠]، وتحاول أن تأتى بالأعمال الصالحة خاصة التى ورد فيها نص صحيح عن الرسول ﷺ أنها تكفر الذنوب.

وفى الختام نقول لك أخى المسلم :إن الله سبحانه وتعالى رحيم كريم عفو غفور أرحم بعباده من الأم بوليدها فأقبل على الله وارجع إليه تائبًا مستغفرًا نادمًا فالله لا يتخلى عن عبده إذا جاءه مقبلاً عليه راجيًا رحمته التى وسعت كل شىء فلا تسوف بالتوبة فإنك لا تدرى متى يدركك الموت، كما أن المعاصى كلما طال عليها الزمن طالت جذورها «وما مثل المسوِّف إلا مثل من احتاج إلى قلع شجرة، فرآها قوية لا تنقلع إلا بمشقة شديدة، فقال: أؤخرها سنة ثم أعود إليها، وهو لا يعلم أن الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها، وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه وازدادت الشجرة قوة وجذورها تشعبًا فكيف ينتظر أن يغلبها ويقطعها إذا زاد ضعفه وازدادت هى قوة»[٤] .

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي وغيرهما - صحيح الترغيب والترهيب (٦٧٧).

(٢) أخرجه مسلم وأحمد عن عثمان - صحيح الجامع (٦٠٦٩).

(٣) رواه أحمد والترمذي عن معاذ وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٩٧).

(٤) نقلاً عن مختصر منهاج القاصدين بتصرف يسير (صـ ٢٦٧).

قال الله تبارك وتعالى فى الحديث القـدسي: «ومن تقرب منى شبرًا تقربت منه ذراعًـا ومن تقـرب منـى ذراعـًا تقـربـت منه باعـًا ومن أتـانى يمـشى أتيـتـه هرولة...»(١).

فاسعَ إلى الله تائباً وألق بنفسك بين يديه سبـحانه نادمًا على ما فعلت، فالندم توبة فما ظنك إذا فعلت هذا بمن هو أرحم بعبده من الأم بوليدها.... يقول الله تبارك وتعالى فى الحديث القدسى: «أنا عـند ظن عبدى بى إن ظن بى خيرًا فله، وإن ظن بى شرًا فله»(٢).

فأحسن الظن بأرحم الراحمين وسر إليه تائبًا مستغفرًا متيقنًا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه، وسارع إلى فعل الخيرات والأعمال الصالحة ورفقة عباده الصالحين.

وقل كما قال الشاعر:

يـا رب إن عظمـت ذنوبـى كـثرةً
فلقـد علمـت بـأن عفـوك أعظـم
إن كـان لا يرجـوك إلا محسنـًا
فبمـن يلـوذ ويستجـير المجـرمُ
ربـى دعوت كمـا أمـرت تضرعـًا
فـإذا رددت يـدى فمـن ذا يرحـمُ

* * *

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة - صحيح الجامع (٨١٣٨).

(٢) رواه أحمد عن أبي هريرة، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣١٥).

# الأمور التى تعين على التوبة

إن الأمور التى تعين على التوبة والاستمرار عليها كثيرة منها:

١ ـ إخلاص النية لله تعالى فى التوبة وجميع الأعمال الأخرى، قال ﷺ: «إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا، وابتغى به وجهه»[١].

٢ ـ أن يحاول التائب قدر ما يستطيع أن يعمل أعمالاً صالحة تثبته على طريق الخير وترجح ميزان حسناته وتُذهب سيئاته.... قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤].

ووصى النبى ﷺ معاذًا لما بعثه إلى اليمن فقال: «يا معاذ: اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»[٢].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «.. فالكيس هو الذى لا يزال يأتى من الحسنات بما يمحو السيئات...»[٣].

٣ ـ أن يستشعر قبح وفداحة الذنب أو الذنوب التى ارتكبها وضررها عليه فى الدنيا والآخرة.

٤ ـ أن يبتعد عن المكان الذى يمارس فيه المعصية، بحيث لا يعود لارتياد المكان الذى فيه المعصية.

٥ ـ إتلاف الأدوات التى كان يعمل بها المعصية كأن يرمى ويكسر المسكر المتبقى عنده أو آلات اللهو.

٦ ـ أن يجد لنفسه رفقة صالحة تعينه على الخير من الصالحين وأن لا يجالس رفقاء السوء الذين كان يعمل المعاصى معهم.

٧ ـ أن يداوم على قراءة الآيات المخوفة للمذنبين فى القرآن الكريم والسنة

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) رواه أحمد والترمذي عن معاذ وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٧).

(٣) الوصية الجامعة (صـ ٣).

المطهرة.

٨ ـ أن يتذكر أن العقوبة المعجلة قد تأتيه فى أى وقت.. قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر : ٥٤]

٩ ـ أن يداوم على ذكر الله سبحانه وتعالى فى جميع الأوقات،.... فذكر الله من أعظم الأسباب المعينة على طرد الشيطان.... ويحاول المحافظة على الأذكار، خاصة التى تقال فى الصباح والمساء وعند النوم وغيرها الثابتة عن الرسول ﷺ.

## سعة رحمة الله تبارك وتعالى

إن كثيرًا من الناس يرتكبون ألوانًا وأصنافًا من المعاصى وعندما يقال لأحدهم: اتق الله وتب، يقول: أتوب من ماذا ؟!!!.... ذنوبى كثيرة وعظيمة .

فإننى أهدى لهؤلاء قول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

[الزمر : ٥٣]

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة : ٢٢٢].

قال ﷺ: «إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»[1].

وقال تبارك وتعالى : ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ١١٠]

وقال عز وجل : ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر : ٤٩ : ٥٠]

---

(١) أخرجه مسلم - شرح صحيح مسلم للنووي (١٧/ ٧٦).

فبادر يا أخى المسلم إلى التوبة ولا تؤجل فعذاب الله أليم، فقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤] فاللهم ارزقنا توبة ترضيك عنا .

## الفوائد التى نجنيها من التوبة

ولكى تسارع إلى التوبة فلابد أن تعلم ما هى الثمرة وما هى الفوائد التى تجنيها من التوبة والتى لخصها الإمام ابن حجر فى تلك السطور:

### أولاً ـ التوبة تمحو عنك الذنوب :

قال ﷺ : «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»[1].

### ثانيًا ـ التوبة تبدل السيئات إلى حسنات :

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان : ٧٠]

### ثالثًا ـ التوبة تطهر قلب التائب :

قال ﷺ : «إن العبد إذا أخطأ خطيئة، نكتت فى قلبه نكتة سوداء، فإن هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه، وهو الران الذى ذكر الله تعالى ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[2] .

### رابعًا ـ التوبة سبب فى الحياة الهادئة المطمئنة:

قال تبارك وتعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود : ٣].

### خامسًا ـ التوبة سبب فى سعة الرزق والقوة:

قال الله تبارك وتعالى على لسان نبيه نوح: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا

---

(١) رواه ابن ماجة عن ابن مسعود، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٠٨).

(٢) رواه أحمد والترمذي وغيرهما عن أبي هريرة وحسنه الألباني في صحيح الجامع (ر١٦٧٠).

(١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾ [نوح : ١٠ : ١٢]

**سادسًا ـ التوبة سبب الفلاح فى الدنيا والآخرة:**

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ [القصص : ٦٧]

وقال تبارك وتعالى: ﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ [مريم : ٦٠]

**وأما عن أضرار الذنوب والمعاصى**

فقد ذكر ابن القيم رحمه الله فى كتابه «الداء والدواء» أضرارًا كثيرة للاستمرار على الذنوب منها:

| | | |
|---|---|---|
| * حرمان العلم | * ذهاب الحياء | * ضيق الصدر |
| * حرمان الطاعة | * سوء الخاتمة | * الطبع على القلب |
| * قلة التوفيق | * الوحشة فى القلب | * نزول النقم |
| * هوان المذنب | * محق البركة | * عذاب الآخرة |

# مكفرات الذنوب

وبعد أن عرفنا أضرار الذنوب والمعاصى كان لزامًا علينا أن نصف الدواء بعد ذكر الداء . . . . والدواء يكمن فى معرفة الأشياء التى تكفّر الذنوب.

يقول الإمام ابن حجر: من فضل الله سبحانه وتعالى علينا أن شرع لنا بعض الأعمال التى تكفر الذنوب وتمحو الخطايا، وقد جاءت بعضها فى كتاب الله تبارك وتعالى، والبعض الآخر فى سنة نبيه ﷺ.

وقد صنف الحافظ ابن حجر العسقلانى كتابًا بعنوان (معرفة الخصال المكفرة للذنوب المقدمة والمؤخرة)، وقد استقينا هذه الخصال من هذا الكتاب وغيره من الكتب التى تعنى بنفس الموضوع. أسأل الله تبارك وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته

العلى أن ينفعنى وجميع المسلمين بما فيها، وإليك الآن بعض الخصال المكفرة للذنوب:

### ١ـ إسباغ الوضوء والمشى إلى المساجد :

قال ﷺ : «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخُطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»[١].

وقال رسول الله ﷺ : «أتانى الليلة آت من ربى، قال: يا محمد! أتدرى فيم يختصم الملأ الأعلى؟. قلت: نعم، فى الكفارات والدرجات، ونقل الأقدام للجماعات، وإسباغ الوضوء فى السبرات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، ومن حافظ عليهن عاش بخير، ومات بخير، وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[٢].

### ٢ـ صيام يوم عرفة وعاشوراء :

قال ﷺ : «صيام يوم عرفة ، إنى أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده، وصيام يوم عاشوراء، إنى أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله»[٣].

### ٣ـ قيام رمضان :

قال ﷺ : «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غفر له الله ما تقدم من ذنبه»[٤].

* * *

---

(١) رواه مالك ومسلم وغيرهما - صحيح الترغيب والترهيب (١٨٥).
(٢) رواه الترمذي وأحمد عن ابن عباس وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩) بطرف (اتاني الليلة ربى ....» صحيح الترغيب والترهيب (٤٠٥ - ٤٥١).
(٣) رواه الترمذي وابن حبان عن أبي قتادة وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٥٣).
(٤) متفق عليه عن أبي هريرة - صحيح الجامع (٦٤٤٠).

### ٤ـ الحج المبرور:

قال ﷺ : «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»(١).

وقال ﷺ : «الحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة»(٢).

### ٥ـ التجاوز عن المعسر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «كان تاجر يداين الناس، فإذا رأى معسرًا قال لفتيانه: تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا، فتجاوز الله عنه»(٣).

### ٦ـ إتباع السيئات بالحسنات:

قال تبارك وتعالى : ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ..﴾ [هود : ١١٤]

ووصى النبي ﷺ معاذًا لما بعثه إلى اليمن فقال: «يا معاذ: اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن»(٤).

### ٧ـ بذل السلام وحسن الكلام:

قال ﷺ : «إن من مُوجبات المغفرة بذل السلام، وحُسن الكلام»(٥).

### ٨ـ الصبر على البلاء:

قال ﷺ : «إن الله عز وجل يقول : إني إذا ابتليت عبدًا من عبادي مؤمنًا فحمدني على ما ابتليته، فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمه من الخطايا، ويقول الرب عز وجل : أنا قيدت عبدي وابتليته، فأجروا له كما كنتم تجرون له وهو صحيح»(٦).

* * *

---

(١) أخرجه البخاري وأحمد عن أبي هريرة - صحيح الجامع (٦١٩٧).
(٢) رواه أحمد عن جابر والطبراني عن ابن عباس وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣١٧٠).
(٣) أخرجه البخاري عن أبي هريرة - فتح الباري (٤/٣٠٩).
(٤) سبق تخريجه.
(٥) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٠٣٥).
(٦) رواه أحمد (٤/١٢٣) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٠٠).

### ٩ـ المحافظة على الصلوات الخمس والجمعة وصيام رمضان :

قال ﷺ : «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»(١).

### ١٠ـ إسباغ(٢) الوضوء :

قال ﷺ : «إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرجت من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقيًا من الذنوب»(٣).

### ١١ـ أذكار تكفر الذنوب :

قال ﷺ : «من قال حين يسمع المؤذن : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، رضيت بالله ربًا، وبمحمد رسولاً، وبالإسلام دينًا، غفر له ذنبه»(٤).

قال ﷺ: «.... ومن قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حُطّت خطاياه ولو كانت مثل زَبد البحر»(٥).

وقال رسول الله ﷺ : «من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، وحمد الله ثلاثًا وثلاثين وكبر الله ثلاثًا وثلاثين، فتلك تسعة وتسعون، وقال تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»(٦).

عن معاذ بن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال : «من أكل طعامًا ثم قال:

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة - صحيح الجامع (٣٨٧٥).
(٢) الإسباغ هو إتمام وإحسان الوضوء .
(٣) أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة - صحيح الجامع (٤٥٠).
(٤) أخرجه مسلم وأحمد عن سعد ـ صحيح الجامع (٦٤٢٢).
(٥) متفق عليه عن أبي هريرة - صحيح الجامع (٦٤٣١).
(٦) أخرجه مسلم وأحمد عن أبي هريرة - صحيح الجامع (٦٢٨٦) - الصحيحة (١٠١).

الحمد لله الذى أطعمنى هذا الطعام ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه»[١].

وقال ﷺ: «ومن لبس ثوبًا، فقال: الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة، غفر له ما تقدم من ذنبه»[٢].

**١٢ـ الأذان:**

قال ﷺ : «إن المؤذن يُغفر له مدى صوته...»[٣].

**١٣ـ الصلاة:**

قال ﷺ : «أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسًا ما تقول ذلك يُبقى من درنه؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيئًا. قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»[٤].

ويفسر المقصود من الخطايا هنا الحديث الذى رواه الإمام مسلم فى صحيحه. قال ﷺ : «الصلوات الخمس كفارة لما بينها ما اجتنبت الكبائر».

كما علق الحافظ ابن حجر العسقلانى على الحديث الأول فى فتح البارى بشرح صحيح البخارى (٢/ ١٢) بقوله: (...، والذى فى الحديث أن الصلوات الخمس تكفر ما بينها - أى فى يومها - إذا اجتنبت الكبائر فى ذلك اليوم، .. أ هـ )، والله أعلم.

**١٤ـ الإكثار من السجود:**

قال ﷺ : «عليك بكثرة السجود لله، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة»[٥].

وفى صحيح مسلم أيضًا عن ربيعة بن كعب الأسلمى قال:

---

(١) رواه أحمد والحاكم وغيرهما عن معاذ بن أنس وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٨٦).
(٢) رواه أبو داود (٤٠٢٣) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود.
(٣) رواه أحمد عن أبي هريرة وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٩٢٩).
(٤) أخرجه البخاري عن أبي هريرة مع الفتح (٢/ ١١).
(٥) أخرجه مسلم والترمذي وأحمد عن ثوبان وأبي الدرداء - صحيح الجامع (٤٠٥٠).

كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته.

فقال لى : «سل».

فقلت : أسألك مرافقتك فى الجنة.

قال : أو غير ذلك.

قلت : هو ذاك.

قال: «فأعنى على نفسك بكثرة السجود».

وفى شرح هذا الحديث يقول الإمام النووى رحمه الله: (.. فيه الحث على كثرة السجود فى الصلاة.. وسبب الحث عليه ما سبق فى الحديث الماضى «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»، وهو موافق لقول الله ﴿واسجد واقترب﴾ ولأن السجود غاية التواضع والعبودية لله تعالى.. ا هـ).

**١٥ ـ المشى إلى الصلاة :**

روى الإمام البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة قال ﷺ : «..، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفعت له درجة وحُط بها خطيئة.....».

**١٦ ـ من وافق تأمينه تأمين الملائكة :**

قال ﷺ : «إذا قال الإمام ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، فقولوا: آمين، فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه»[١].

**١٧ ـ قيام الليل :**

عن أبى أمامة الباهلى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وهو قربة لكم إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري والنسائي ومالك عن أبي هريرة - صحيح الجامع (٧٠٧).

(٢) رواه الحاكم (١/٣٠٨) وحسنه الألباني في إرواء الغليل (٢/١٩٩).

### ١٨ - الجهاد فى سبيل الله :

روى الإمام مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدَّين»(١).

وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ...﴾[التوبة : ١١١]

### ١٩ - متابعة الحج بالعمرة :

قال ﷺ : «تابعوا بين الحج والعمرة، فإن متابعة بينهما تنفى الفقر والذنوب، كما ينفى الكير خبث الحديد»(٢).

### ٢٠ - الصدقة :

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[البقرة : ٢٧١]

وقال ﷺ : «الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار»(٣).

### ٢١ - إقامة الحدود :

قال ﷺ : «أيما عبد أصاب شيئًا مما نهى الله عنه، ثم أقيم عليه حده، كفر عنه ذلك الذنب»(٤).

### ٢٢ - حضور مجالس الذكر تقربًا إلى الله تبارك وتعالى :

قال ﷺ : «ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفور لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات»(٥). (٦)

---

(١) أخرجه مسلم وأحمد عن ابن عمرو ـ صحيح الجامع (٨١١٩).

(٢) رواه ابن ماجه عن عمر وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٨٩٩) ـ الصحيحة (١٢٠٠).

(٣) رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني في تخريج مشكلة الفقر (١١٧).

(٤) رواه الحاكم عن خزيمة بن ثابت وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٧٣٢) - الصحيحة (١٧٥٥).

(٥) رواه أحمد في مسنده (٣/ ١٤٢) وأبو يعلى والبزار وغيرهم - انظر مكفرات الذنوب (صـ ٦٢)، وانظر مجمع الزوائد (١٠/ ٧٦).

(٦) من ملخص رسالة الحافظ ابن حجر العسقلاني (معرفة الخصال المكفرة للذنوب المقدمة والمؤخرة) (صـ١٣ : ٣١) بتصرف.

# عشر آيات من أقامهن دخل الجنة

قال الله تـعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ② وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ③ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ④ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ⑤ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ⑥ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ⑦ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ⑧ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ⑨ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ⑩ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون ١ : ١١]

قال الإمام ابن كثير فى تفسيره لتلك الآيات :

روى الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب قال: كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحى يسمع عند وجـهه كدوى النحل، فلبثنا سـاعة، فاستقبـل القبلة ورفع يديه وقال: «اللهم زدنا ولا تنـقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنـا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عـنا وأرضنا، ثم قال: لقد أنـزل عليَّ عشر آيات من أقـامهن دخل الجنة»، ثم قرأ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ حتى ختم العشر.

وقال النسائى فى تفـسيره عن يزيد بن بابنوس، قال: قلنا لـعائشة أم المؤمنين: كيـف كان خُلُق رسـول الله ﷺ؟ قالـت: كان خُلق رسـول الله ﷺ القرآن، فقرأت: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ - حتى انـتهت إلى « والذين هم علـى صلواتهم يحافظون» قالت: هكذا كان خُلق رسول الله ﷺ .

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة بيضـاء، ولبنة من ياقـوتة حمراء، ولـبنة من زبرجدة خـضراء، ملاطهـا المسك، وحصباؤها اللؤلـؤ، وحشيشها الزعفران، ثم قـال لها: انطقى، قالت: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ . . . . . ، فقال اللـه: «وعزتى وجلالى لا يجاورنى فـيك بخيل»، ثم تلا رسول الله ﷺ : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر: ٩) وقوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ أى قد فازوا وسـعدوا وحصلوا علـى الفلاح وهم المؤمنون المـتصفـون بهذه الأوصـاف (إلى أن وصل رحمـه الله إلى تفـسير قـوله تعالى): ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ . . . ﴾

## المؤمن يبني بيته الذى فى الجنة ويهدم بيته الذى فى النار

﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ⑩ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

وثبت فى الصحيحين: «إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة، وأوسط الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة، وفوقه عرش الرحمن» .

وقال رسول الله ﷺ : «ما منكم من أحد إلا وله منزلان منزل فى الجنة ومنزل فى النار، فإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله، فذلك قوله: ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾[1].

وقال مجاهد: ما من عبد إلا وله منزلان منزل فى الجنة ومنزل فى النار، فأما المؤمن فيبنى بيته الذى فى الجنة، ويهدم بيته الذى فى النار، وأما الكافر فيهدم بيته الذى فى الجنة، ويبنى بيته الذى فى النار، فالمؤمنون يرثون منازل الكفار لأنهم أطاعوا ربهم عز وجل، بل أبلغ من هذا أيضًا، هو ما ثبت فى صحيح مسلم عن النبى ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة دفع الله لكل مسلم يهوديًا أو نصرانيًا فيقال: هذا فكاكك من النار»، فاستحلف عمر بن عبد العزيز أبا بردة بالله الذى لا إله إلا هو ثلاث مرات أن أباه حدثه عن رسول الله ﷺ بذلك قال: فحلف له.

قلت: وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ (مريم: ٦٣)، وكقوله: ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الزخرف: ٧٢)، وقد قال مجاهد: الجنة هى الفردوس[2].

## هيا إلى شاطئ الطاعة وخلّ بحر الذنوب

وبعد أن عشنا سويًا فى تلك الرحلة مع مشاهد الحسرة والفرحة فى الدنيا والآخرة، وتحدثنا عن بعض الذنوب التى تجلب تلك الحسرة «وليس هناك ذنب صغيرًا كان أو كبيرًا، إلا كانت الحسرة ملازمة له»، ثم عقّبنا بعدها بوجوب التوبة والأمور التى تعين عليها ـ بقى لنا أن نعرف شيئًا واحدًا ألا وهو أنه لا يعصمنا من تلك الذنوب والمعاصى، ومن تلك المشاهد إلا تحقيق العبودية لله جل وعلا؛

(١) رواه ابن ماجه عن أبي هريرة وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٩٩).
(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٣٠ ـ ٢٣٣) بتصرف.

لأن مَن حقق العبودية فإنه يعيش فى ظل العناية الإلـهية فيوفقه الله إلى كل خير، ويصرف عنه كل سوء، كمـا قال فى حق نبى الله يوسف ﷺ: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف : ٢٤]، فيعينـه على تحقيق تلك العبوديـة بأن يحفظ عليه جوارحه فـلا يحركها إلا فى طاعة اللـه، كما قال الحق جل وعلا: «فإذا أحـببته كنت سمـعه الذى يسمع به وبصره الـذى يبصر به ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى لأعطينه، وإن استعاذنى لأعيذنه»(١).

فإذا أخلـصنا النية لله جـل وعلا فثَم التـوفيق فى كل طريق نـسلكه لتحـقيق العبودية لله جل وعلا، ولابد أيضا أن نجاهد أنفـسنا فى الصبر على الطاعة والصبر عن المعصية ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

[العنكبوت: ٦٩]

واحرص يا أخى الحـبيب على أن تكون دائمًـا على طاعة الله، فإنمـا الأعمال بالخواتيم، وكما قال النبى ﷺ: «إن الرجل ليعمل عمل الجنة فـيما يبدو للناس، وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل النـار فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة»(٢).

وزاد الإمام البخارى : «إنما الأعمال بخواتيمها».

واعلم يا أخى أننا لا نقـنِّط أحدًا من رحمة الله، فـباب التوبة مفـتوح إلى أن تطلع الشمس من مغربها، وإلى أن تغرغر الروح، فها هى كبائر الذنوب يفتح الله أبواب التوبة لكل من ارتكبها لكى يتوبوا ويعودوا إلى الرحمن الرحيم.

قال تعالى : ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

---

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة ــ باب التواضع ــ كتاب الرقاق.

(٢) متفق عليه عن سهل بن سعد ــ صحيح الجامع (١٦٢٤).

وعلى الرغم من تلك الجرائم والكبائر إلا أن الله جل وعلا فتح لهم باب التوبة فقال: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة : ٣٣ : ٣٤] .

وها هم أصحاب الأخدود الذين حرّقوا المؤمنين والمؤمنات، وظلموهم بلا ذنب اقترفوه سوى أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد، . . . . هؤلاء الذين فرقوا بين الأم وولدها، وقذفوا ولدها أمام عينيها فى النار، وجلسوا يتلذذون بمشاهدة المؤمنين، وهم يموتون فى النيران، وعلى الرغم من ذلك يفتح الله لهم باب التوبة ليتوبوا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج : ١٠].

فقوله تعالى ﴿ثم لم يتوبو﴾ يفيد أنهم لو تابوا لتاب الله عليهم.

وها هم أهل الشرك والقتل والزنا يفتح الله أمامهم باب التوبة، فيقول: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾، ثم بعد ذلك يفتح الله لهم باب التوبة، ويقول: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان : ٦٨ : ٧١]

وهؤلاء الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات يفتح الله أمامهم باب التوبة لكى يتوبوا ويقيموا الصلاة ويتركوا الشهوات ويقبلوا على فعل الطاعات، قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾

[مريم : ٥٩ : ٦٠]

ومع كل هذه الأمثلة التى تُثلج الصدور لسعة رحمة الله جل وعلا إلا أننا لا ينبغى أن نتهاون بعواقب الذنوب والمعاصى، فإن الله كما وصف نفسه بأنه غفور

رحيم، فقد وصف نفسه بـأنه شديد العقاب، فقال: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[المائدة: ٩٨]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ...﴾ [غافر: ٣]

وقال سبحـانه وتعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾[الحجر: ٤٩: ٥٠]

فقد يستصغر الإنســان ذنبًا وهو عند الله عظيم، قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾[النور: ١٥]

- **خـلّ الـذنـوب صـغيـرهـا وكبيـرهـا ذاك التقـى**
- **واصنـع كمـاش فـوق أرض الشـوك يحـذر مـا يـرى**
- **لا تحقـرن صـغيـرة.. إن الجبـال مـن الحـصـى**

فلقد دخلت امرأة النار فى هرة،.... قال ﷺ: «دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت»[(١)].

وقال النبى ﷺ لعائشة ـ لما قالت شيئًا فى صـفية أم المؤمنين: وإنها قصيرة ـ : «لقد قلت كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته»[(٢)].

وها هو خادم رسول الله ﷺ يخدم رسول الله ﷺ... لما قُتل قال الصحابة: هنيئًا له خادم رسول الله فقال النبى ﷺ: «كلا، والذى نفسى بيده إن الشملة التى أخذها يوم خيبر لم تصبها المغانم لتشتعل عليه نارًا»[(٣)].

فالشاهـد أن الله عز وجل قد أمر ملائـكته أن تكتب كل ما يصدر عـنك خيرًا كان أو شرًا ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا

---

(١) متفق عليه عن أبي هريرة ـ صحيح الجامع (٣٣٧٤) الصحيحة (٢٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٠٢) من حديث عائشة رضي الله عنها وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه البخاري (٤٢٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٤٩]

وقال تعالى: ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴾ [القمر : ٥٣]

وقال تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة ٧ : ٨]

ومن هنا فأنا أدعو نفسى وإخوانى وأخواتى لمفارقة الذنوب، والإقبال على طاعة علام الغيوب.. ولسان الحال: ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ [طه : ٨٤]

فهيا بنا نقلع عن المعاصى ونبدأ صفحة جديدة مع الله جل وعلا، طامعين فى رحمته، راجين موعوده ﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان : ٧٠]

وهيا بنا نتواعد على طاعة الله ليكون موعدنا فى جنة الرحمن التى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وحتى ننعم برؤية وجه الله عز وجل، ونكون فى صحبة نبينا ﷺ .

والله أسأل أن ينفعنى وإياكم بتلك الكلمات التي خرجت من قلب يرجو الخير لكل المسلمين، ..... والله ما من يوم يمر علىَّ إلا وأنا أدعو فى صلاتى لكل مسلم، حيًا كان أو ميتًا، راجيًا من الله أن يجمعنى وكل المسلمين مع نبينا فى جنة الرحمن، إنه ولى ذلك والقادر عليه، وأسأله تعالى أن يرد المسلمين إليه ردًا جميلاً، وأن يعز الإسلام وأهله، وأن ينصر المسلمين فى كل مكان.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

**كتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار**

**محمود المصرى**

**أبو عمار**

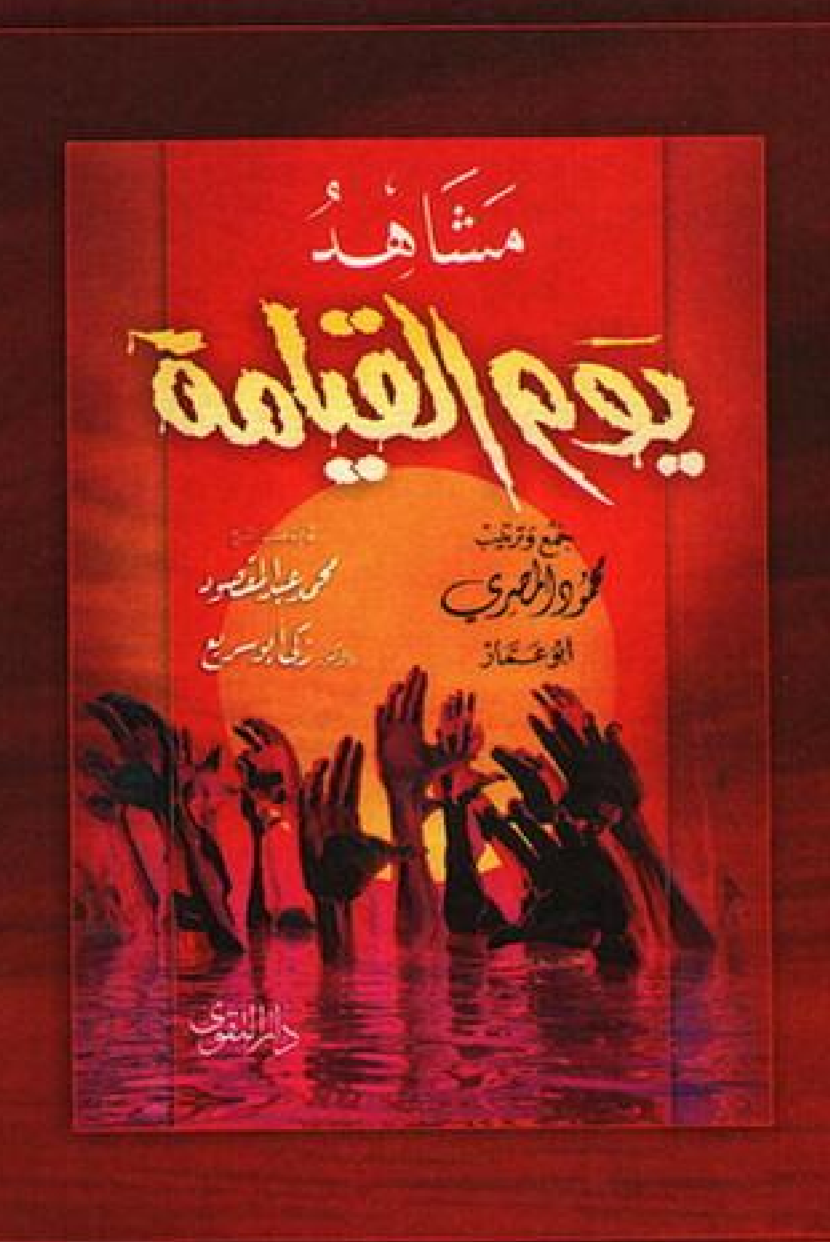
القاهرة فى ١٠ شعبان ١٤١٨هـ

١٠ ديسمبر ١٩٩٧م

# محتويات الكتاب

الموضـــوع الصفحة

* * *


مَشَاهِدُ
يوم القيامة
جمع وترتيب
محمود المصري
أبو عمار
محمد عبد المقصود
زكي أبو سريع
دار التقوى